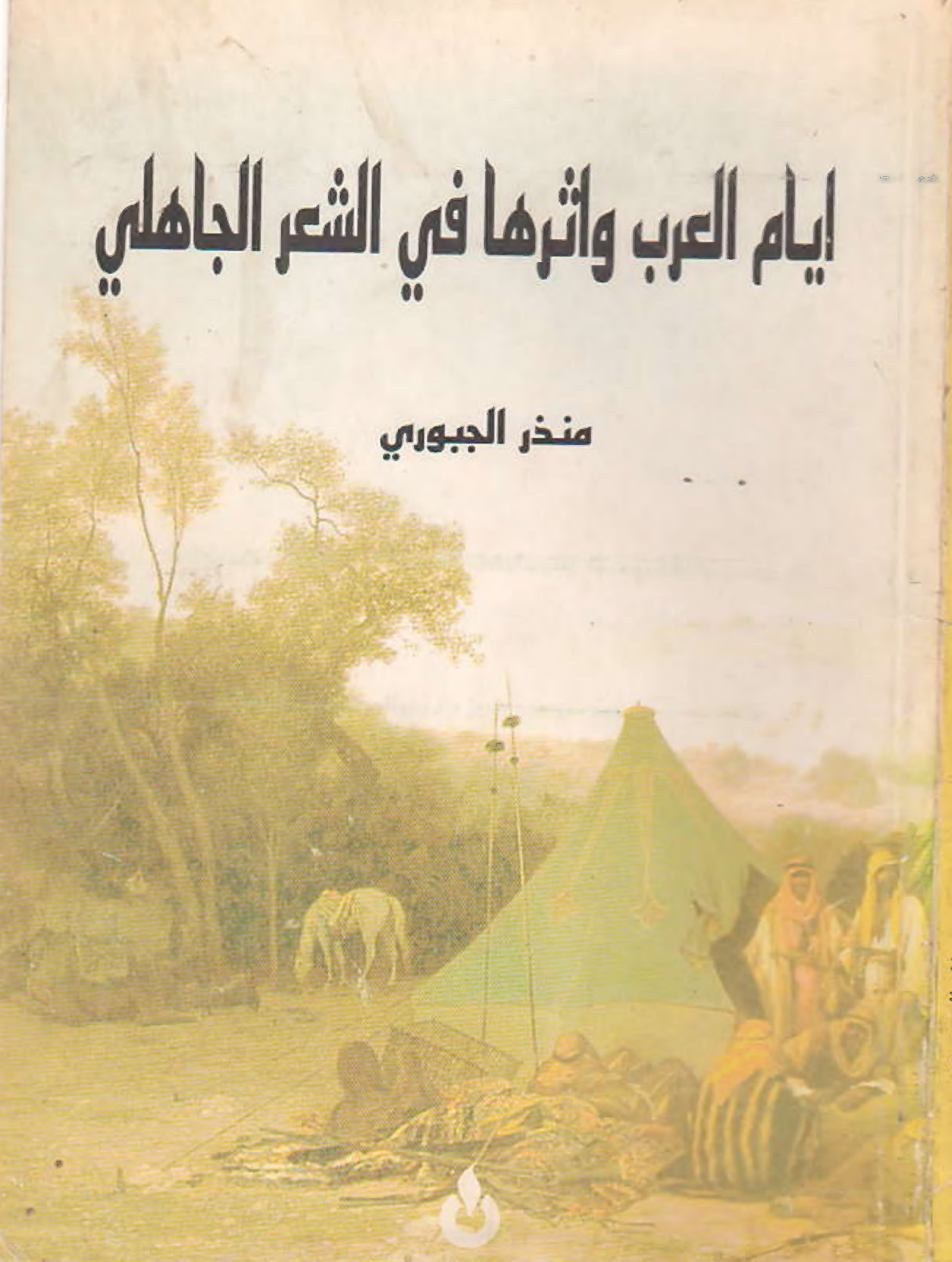
ايام العرب واثرها في الشعر الجاهلي

منذر الجبوري







دار الشؤون الثقافية العامة

وزارة الثقافة والاعلام



طبـاعـة ونـشـر
دار الشـؤون الثقافيـة العـامة، آفـاق عـربيـة.

الطبعـة الثانيـة ١٩٨٦ـ بغـداد

تعنـون جـميع المراسلات
لرئيس مجلس ادارة دار الشؤون الثقافية العامة

العنـوان :
العـراق ـ بغـداد أعظميـة
ص . ب ٤٠٣٢ ـ تلكس ٢١٤١٢ هاتف ٤٤٣٦٠٤٤

أيام العرب

وأثرها في الشعر الجاهلي

منذر الجبوري

المقدمة

بفعل من شحة الموارد الطبيعية في جزيرة العرب نتيجة لتعسف البيئة الطبيعية فقد غدا سكانها في تكوينهم الجسمي والنفسي جزءاً من الواقع الصحراوي الذي تميزت به جزيرتهم ، والواقع الصحراوي الذي نتحدث عنه يتمثل بالتطرف الذي هو سمة الصحراء وسكانها ، فالصحراء قاسية في قيظها وبردها • هي قمة الحر صيفاً وقمة القر شتاء ، وهي لا تكتفي بقسمة العام الى نقيضين بل تتطرف أكثر لتقسم اليوم الى نقيضين أيضاً •• فاليوم يبتديء في صحراء العرب قائظاً ويتصاعد في قيظه حد الغليان ظهراً ثم ينحسر فجأة حد التجمد ليلاً •• ان طقساً متذبذباً كالذي يتحكم في جزيرة العرب غير جدير بان يترك في الارض التي يتراوح فوقها متسعاً لنمو اقتصادي يسايره استقرار سكاني حصيلته ازدهار حضاري لمجتمع مستقر • ان من يتأمل عمق صحراء الجزيرة العربية لن يظفر بسبب من أسباب الحياة فيها •• هي غابة رمل أشجارها حسك وغظى وماؤها ما تجود به السماء وطعامها ما يغالب شح الطبيعة من حيوان ونبات وانسانها ذلك الصابر الذي جالد الشح حتى امتهن الكبرياء ، فهو لا يمتلك فوق بساط الصحراء القاسي غير خيمة وجمل وكثيراً ما يفتقدهما في غزوة ، فيسيح ثانية بحثاً عن البديل ••• والبديل في مجتمع اغلقته الصحراء بجدبها لا يتأتى الا بثمن ، والثمن هنا فادح وكثيراً ما يكون راس الساعي نفسه •• انها شرعة الحياة والوسيلة الابدية لاستمرار البقاء منذ ان عرفت الارض الانسان •• ولن يكون انسان الصحراء العربية متهماً بالغلظة ما دامت الصحراء قد دفعت به لهذا المسلك •

● في هذه «الرسالة الجامعية»(★) نتحدث عن هذا الانسان ، انسان الصحراء العربية الذي ابتلي احيانا بحرفة الحرب انسجاماً مع الظرف الذي ألمحنا الى

(★) رسالة ماجستير مجازة من جامعة بغداد ١٩٧١ .

فظاظته . ومن الامانة ان نتذكر بأن انسان الصحراء العربية ليس داعية حرب ابداً .. فهو مسالم ان تهيأ له القليل وهو باذل لهذا القليل حتى في أشد حالات العسر ولكنه يستأسد ان أضر به العوز ولن يتوانى ان احاط به الاعتداء .. ومن هنا كانت حياة الصحراء العربية صخباً كثيراً ما تلونه الدماء ..

● وبسبيل الاحاطة بظرف انسان الصحراء العربية وصولاً لتقييم موضوعي لاسباب الحروب التي تعلق بها في أحيان كثيرة ومن ثم الانطلاق لهدف الرسالة الاساس وهو أثر هذه الحروب او الايام ـ كما اصطلح عليها المؤرخون العرب ـ في الشعر الجاهلي فقد بوبت البحث بحيث تتواصل حلقاته الى الغاية التي طمحت اليها ، فكانت هذه الحلقات على النحو التالي :

١) الباب الاول :

احتوى هذا الباب على فصلين ، اتيت في الفصل الاول منهما على تعريف لفظة « عرب » متتبعاً في ذلك أصل اللفظة منذ ان وردت اول مرة في نص آشوري يعود تاريخه الى عام ٨٥٤ ق.م اذ كانت تعني هي ومشتقاتها آنذاك وكذلك في العصور التالية البادية وسكانها من الاعراب عموماً الى ان تخصص معناها القومي اثر ورودها في القرآن الكريم . ثم تحدثت عن أصل العرب السامي وعن التفرعات التي اصطنعها لهم النسابة من عرب بائدة وعاربة ومستعربة وناقشت هذه التفرعات التي توحي بأن الامة العربية قد تشطرت ثلاثياً وجهدت بهدف بلورة جذر واحد لهذه الامة يتجاوز التفرعات التي تعسف النسابة في ايرادها . وعند تعرضي لموطن العرب تقصيت جغرافية الجزيرة العربية والعوامل التي جعلت من معظمها صحراء مقفرة ثم أشرت الى الاثر الذي تركه المناخ المتطرف في حياة ساكن الجزيرة العربية . أما في الفصل الثاني من البحث فقد تحدثت عن ثلاثة أمور هي على التوالي : بيئة العرب الطبيعية ، حياة العرب السياسية ، حياة العرب الاجتماعية . وفي حديثي عن الفقرة الاولى من هذا الفصل « بيئة العرب الطبيعية » اتيت على مناخ الجزيرة الصحراوي والرياح الجائرة التي تتحكم به وعلى انواع النبات والحيوان التي استطاعت ان تفلت من قساوة الظروف المناخية ، ثم خلصت ثانية لاثر هذه البيئة

في الصفات الجسمية لسكانها « فهي التي أضفت عليهم سمرة قاتمة وجعلتهم ضامرين أشداء يحاكون الصحراء في تكوينهم الجسدي » وفي الفقرة الثانية « حياة العرب السياسية » تناول الحديث نظام الدولة في جزيرة العرب منذ عصور ما قبل الميلاد حيث شهد الشمال والجنوب منها مثل هذا النظام ، فقد شهدت الجزيرة دولة المعينين والسبئيين والحميريين في الجنوب ودولتي الانباط وتدمر في الشمال ، وبالرغم من التدخل الاجنبي في شؤون هذه الدول من قبل الاحباش والفرس والروم فانها استطاعت ان تغني الحضارة العربية في أكثر من مجال اذ ما تزال لمسات من هذه الحضارة شاخصة عبر ما تبقى من آثار تلك الدول • اما في عصور ما بعد الميلاد فقد شهد العرب نظام الدولة متمثلاً بالامارات الثلاث : المناذرة في العراق والغساسنة في الشام وكندة في نجد ، وكما امتدت يد الغزو والتحكم الاجنبي لدول ما قبل الميلاد فانها امتدت لهذه الامارات متمثلة بالتسلط الفارسي والرومي ، ولكن امارات الشمال العربية جالدت التسلط وخلفت تراثاً حضاريا قيماً • وفي الجزء الاخير من هذه الفقرة تحدثت عن السلطة السياسية للقبيلة في البادية والمدينة، تلك السلطة التي اعتمدت العصبية القبلية ناموساً لمجمل العلاقات في جزيرة العرب• أما الفقرة الاخيرة من الفصل فقد استغرقت الحديث عن حياة العرب الاجتماعية وأثر التسلط القبلي في توجيه الخلق الاجتماعي لهم : الكرم ، الوفاء ، الصبر ، التطرف ، علاقة الرجل بالمرأة ، المهن التي تعامل معها الجاهلي ، المعارف التي ابتدعها ، الديانة التي اعتنقها وما الى ذلك من القهم التي تعارف عليها عرب الجاهلية•

٢) الباب الثاني :

احتوى هذا الباب على أربعة فصول هي :

- الايام
- أشهر الايام
- اثر ايام العرب من حيث كونها عاملاً مؤثراً في شحذ القرائح وحمل الشعراء على قول الشعر ابان المعركة وفيما بعدها ومن حيث كونها عاملا في انتحال الشعر •

- معاني شعر الايام وخصائصه •

وقد احتوى الفصل الاول على ثلاث فقرات ، ففي الفقرة الاولى تعريف لمعنى اليوم لغوياً ثم اصطلاحياً حيث اطلقه العرب الجاهليون على الحرب عموما ، وفي الفقرة الثانية « الى أي حد يصح الاعتماد على الايام من الناحيـــة التاريخيـــة » مناقشة للتواريخ المفترضة للايام واقتراب لسند تاريخي يضع في الحسبان افتعـال المؤرخين والنسابة ورواة الشعر لبعض حوادثها والمدى الزمني الذي وقعت فيه •

أما الفقرة الثالثة من الفصل « الايام عدها العرب حقيقة واقعة فتأثروا بها في الجاهلية والاسلام •• » ففيها بالرغم من عدم الاطمئنان التاريخي وقفة عند الاثـر النفسي لهذه الايام عند الجاهليين والاسلاميين وكيف انهم عدوها جـــزءاً مـن تاريخهم بغض النظر عن مظان الافتعال فيها • اما الفصل الثاني فهو رواية مقتضبة عن أشهر أيام العرب في الجاهلية ، فيها تبويب للجهـــات التي اشتجرت بينهـا ومجملها : أيام العرب والفرس ، أيام القحطانيين فيما بينهم ، أيام القحطـــانيين والعدنانيين ، أيام العدنانيين فيما بينهم •

وفي الفصل الثالث وهو غاية البحث « اثر ايام العرب في الشعر من حيث كونها عاملاً مؤثراً في شحذ القرائح وحمل الشعراء على قول الشـــعر ابان المعركة وفيما بعدها ومن حيث كونها عاملاً في انتحال الشعر • » •• في هذا الفصل تبويب للاغراض التي طرقها الشاعر الجاهلي تأثرا بجو الايام « الحروب » التي شـارك فيها او شاهدها او تنامى اليه أمرها • ويمكن تصنيف ما قاله في شعر في شأن الحرب الى قسمين :

- شعر قاله ابان المعركة : وهو مقطعات من الرجز قصيرة ارتجزها وهو في حومة الوغى فجاءت حادة معبرة عن المناسبة التي أوحتها •
- شعر قاله فيما بعد المعركة : وهي جملة من الاغراض الشعرية طـــرقها الشاعر الجاهلي اثر انتهاء المعركة ، فتراه فيها مفتخراً متحمساً ، مادحاً ، راثياً ، هاجياً •• وما الى ذلك من اغراض استدعتها محنة الحرب •

وفي الفصل الرابع « معاني شعر الايام وخصائصه » وهو الفصل الاخير من الباب الثاني ومن البحث ايضا وقفة تحليل للجوانب الفنية التي جاء بهـا الشـاعر الجاهلي ، فيها تبيان لمواقع الابداع والانحسار ايضا •

* * *

واذ أقف أخيراً بين يدي القاريء عبر هذا الجهد المتواضع أرى التوجـه بالامتنان والاجلال للاستاذ المشرف الدكتور محمود غناوي فرضاً يقع ضمن دائرة الاعتراف بالفضل ، مع أملي بان اكون موفقاً فيما قدمته من جهد •

البـــاب الاول

الفصل الاول

العـــــرب :

معنى اللفظة

لما كان هذا البحث يخص أيام العرب وأثرها في الشعر الجاهلي ، فلابد لنا من تبيان ما تعنيه لفظة عرب من معنى قبل الخوض في تلك الايام التي استعرت في حقبة من الجاهلية قريبة من الاســـلام وحفظتها كتب التأريخ والادب وكان من نتاجها فيض من التراث الادبي أهمه الشعر كما سيتضح بعد حين •

ان أول ما يجب أن يتبـادر الى الذهن عنـد محاولة تعريف اللفظـــة هو الاختلاف البين بين ما دلت عليه قديماً وما تدل عليه الآن من معنى ، فالمقصـــود بمعناها الحالي هو أمة متميزة لها كل مقومات القوميـــة من لغة وأرض وتراث تأريخي مشترك واحساس موحد يشـد المنتسبين اليها أنى وجدوا ، وهذا ما لم يكن معروفاً في عصور من الجاهلية وحتى قبيل الاسلام بزمن ، فما الذى كانت تعنيه هذه اللفظة آنذاك ، وما هو مدى اختلافها عن معناها الشائع ؟؟

وفي سبيل استجلاء معنى اللفظـة فان الباحث يقف أمـام موردين ، الأول معاجم العرب اللغوية ومصـادرهم التأريخية ، والثاني الدراسـات الحديثة التي عنيت بتأريخ الساميين وتراثهم اللغوي • ولدى الرجوع الى المصادر العربية فليس أمامنا الا أن نسلم برأي الدكتور جواد علي عندما يقول « بحث علماء العربية في أصل لفظة العرب والعربية ولكن بحثهم هذا هو نوع من البحوث المألوفة المبنية على أقوال وآراء لا تستند الى أساس من العـلم ولا تعتمد على نصـوص جاهلية مدونة »[1] • وذلك حق فالمؤلفات العربية لم تعط المعنى الشـافي لهذه اللفظة ، فهي بعد أن تسهب في تبيان تصاريفها وصيغ تصغيرها وما يتعلق بهذا الاتجاه من

---

١ ـ تاريخ العرب قبل الاسلام ، ج١ ص ١٦٩ •

المعاني تطرح عـدة آراء لتعيين معناها[٢] ، وهـذه في أكثرها تفتقر الى التناسق والحجة القاطعة ، وأعمها ثلاثة ، اولها ان العـرب سموا كذلك لان يعـرب بن قحطان اول الناطقين بالعربيـة فكان ان دعي أبناؤه عرباً نسـبة اليه . وفي ذلك يروى بيتان لحسان بن ثابت هما[٣] :

تعلمتم من منطق الشـيخ يعـــرب ... أبينـا فصرتم معربين ذوى نفـــر
وكنتم قديمـاً ما لكم غير عجمـــة ... كلام وكنتم كالبهـــائهم في القفــر

وثانيها انهم سموا عرباً نسبة الى عربة ، وهي على رأي المؤرخين والنسـابة دار اسماعيل بن ابراهيم[٤] وثالثها ان لفظـة عرب مشتقة من الاعراب وهــو الابانة في الكلام ، ونظراً لاشتهار العرب بهذه الصفة فقد اشتقت تسميتهم منها .

تلك هي خلاصـة وجيزة لمعنى اللفظة لدى القـدماء من اللغويين العـرب ومؤرخيهم وهي كما يبدو لم تعط لها تفسيراً يطمأن اليه ، أما الدراسات الحديثة التي قام بها المستشرقون ومن تابعهم من المحققين فقد أتت بنتيجة رائعة من خلال دراسـة النصوص السامية القديمة ، اذ اتضح لاولئك الدارسين ان لفظة عـرب (Arab) تعني في اللغات السامية الصحراء وما يتعلق بها من معاني مشابهة[٥] ، وهي تؤدي أصلا معنى – غرب – في تلك اللغات وقد اطلقها سكان العراق القدماء من الساميين على الصحراء العربية وبدوها لوقوع هذه الصحراء في أكثـرها الى الغرب منهم[٦] .

---

٢ – لسان العرب ، المجلد الاول ، ص ٥٨٦ وما بعدها ، تهذيب اللغة للازهري ص ٣٦٠ وما بعدها ، انساب الاشراف للبلاذرى ص ٥ وما بعدها ، نهاية الارب للقلقشندى ص ١١ ، بلوغ الارب ص ٨ .

٣ – المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام للدكتور جواد علي ج١ ص ١٤ .

٤ – وقد وردت لفظة عربة في الشعر كما فى البيت :
ورجت باحة العربـــات حتى ... ترقرق من مناكبها الدماء (اللسان المجـلد الاول ص ٥٨٧) .
وثمة من يذهب الى ان اسماعيل بن ابراهيم الذى اقام هو وبنوه فى تلك البقعة كان اول الناطقين بالعربية خلافا لمن يرى ان يعرب بن قحطان هو اول الناطقين بها (المفصل فى تاريخ العرب قبل الاسلام ج١ ص ١٤) .

٥ – وللفظة فى تلك اللغات سوى صيغة (Arab) صيغ اخرى منها (Arabia, Arebi, Arbi, Arabi) وهى فى شتى اشكالها تعنى المعنى المتقدم .

٦ – وقصد الساميون من سكان العراق بصحراء العرب البوادى المجاورة لهم فى العراق والشـــام وشمالى الجزيرة وسيناء ، من غربي الفرات حتى شرقي النيل .

ولم تكتسب اللفظة المدلول القومي منذ ورودها أول مرة في نص آشوري يعود تأريخه الى ٨٥٤ ق٠م[٧] ، اذ ظلت تعني سكان البادية من الاعراب غير المستقرين على وجه التخصيص ، وذلك ما عناه بها سوى الآشوريين كالبابليين والعبرانيين واليونانيين والقدماء من عرب الشمال والجنوب[٨] ، وظل معنى البداوة ملازما للفظةحتى بعد انتفاء صفة الاعرابية عن بعض القبائل باستقرارها ٠

فمتى اذن تخصصت لفظة عرب لتدل على الجنس المعروف بها ؟؟ ان مثل هذا السؤال كثيرا ما أثار نقاشا بين الباحثين ممن تعنيهم الاجابة عنه ، فمن هؤلاء من اتجه الى أن العرب لم يكونوا في أواخر جاهليتهم يدركون المضمون القومي لها في حين وجد آخرون ان ورودها في القرآن الكريم دليل ادراكهم له[٩] ٠ ومهما يكن من أمر فان الجاهليين حتى اذا كانوا قد أدركوا شيئاً من هذا المضمون فانهم وجدوا في العصبية القبلية ما يعوضهم عن الرابطة القومية ٠

والذي يبدو ان العرب قد تنبهوا الى مفهوم اللفظة القومي عقب ورودها في القرآن وتراجع التعصب القبلي بفعل الدعوة الاسلامية فقد اعطى القرآن للعرب مفهوماً قومياً محدداً وجعل العربي يقابل الاعجمي في الجنس « ولو

---

٧ ـ والنص يمثل كلمات قالها الملك الاشوري شلمناصر الثالث عقب انتصاره في احدى المعارك التي خاضها وقد تضمن النص اسم ـ جندب العربي ـ وهو احد خصومه فى تلك المعركة ٠ (تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ٤٥) ٠

٨ ـ ففي العهد القديم وهو اشمل النصوص السامية المتيسرة ترد اللفظة بصيغ متعددة منها العرب ، اعرابي ، العربية وهي بجميع صيغها لاتتعدى فى العبرانية معنى الاعرابية والبداوة « وكل ملوك العرب وكل ملوك اللفيف الساكنين في البرية » « ارميا ٢٥/٢٤ » « ولا صعدت الى اورشليم الى الرسل الذين قبلي بل انطلقت الى العربية ثم رجعت ايضا الى دمشق» « غلاطية » ١/١٧ وسوي ذلك كثير مما يرد فى التوراة ٠ اما الاثار الجاهلية القديمة فاوضحها نقش النمارة (٣٢٨ للميلاد (وقد وردت فيه صيغة عرب لتدل على البداوة وهو المعنى الذي قصدته النصوص الجنوبية المكتشفة ، وقد عليها من اليونانيين هيرودتس وقبله اسكلس ، واستعمل اليونانيون فى بعض كتاباتهم صيغة (Saraceni) مرادفة للعرب من باب التغليب مثلما عمم الارأميون وسواهم صيغة (Tayi) باشكال نطقها المختلفة على سائر العرب وهي تعني بالاصل قبيلة طي العربية المعروفة ، وثمة من يرى ان صيغة (Saracei) اليونانية مشتقة من شرق او سرق وسوى ذلك من تفاسير ويعني بها قبيلة او قبائل عربية كانت تقيم الى الشمال من الجزيرة العربية شرقي جبل السراة ٠ (تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج١ ص ١٧٧ وما بعدها) ٠

٩ ـ تاريخ الجاهلية لعمر فروخ ص ٤١/٤٢ ، تاريخ العرب قبل الاسلام لجواد علي ج١ ص ١٨٤ ٠

جعلناه قرآناً أعجمياً لقالوا لولا فصلت آياته أعجمي وعربي »[١٠] ، ووردت صيغة عرب في سوى هذه الآية أكثر من مرة مرادفة للفصاحة والابانة عند وصفها اللغة التي تحدث بها القرآن« انا جعلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون»[١١].

أما فئة الاعراب التي وبخت في آيات متعددة[١٢] فقد قصد بها غير المستقرين من سكان البادية الذين ظلوا متعلقين بجاهليتهم منكرين للقيم الاجتماعية والروحية التي جاء بها الاسلام ، وقد عمم كثير من الباحثين مفهوم الاعرابية على الجاهلية فنسب اليها كل ما هو سيء[١٣] .

اصلهم

العرب كما هو متعارف عليه ساميون ، والسامية مصطلح اطلق على أمم متعددة أمثال الاكديين والآشوريين والاموريين والكنعانيين والآراميين والعبرانيين والعرب ، وهي الامم التي ازدهرت حضارتها في الهلال الخصيب ودل عليها ما خلد من آثارها في العراق وسواه ، ويبدو ان الذين أطلق عليهم مصطلح السامية يلتقون في عدة أمور أبرزها الالتقاء اللغوي ، فثمة شبه ظاهر بين اللغات السامية وعلى الاخص في الالفاظ الطبيعية – وتعرف بالخالدة – كالارض والسماء والرياح ، وفيما يتعلق بأسماء أعضاء جسم الانسان والمصطلحات الاجتماعية

١٠– فصلت ٤١/٤٤ .

١١– الزخرف ٤٣/٣ .

١٢– قال تعالى « الاعراب اشد كفرا ونفاقا واجدر الا يعلموا حدود ما انزل الله ورسوله والله عليم حكيم » التوبة ٩٨ .

١٣– والمراد بالجاهلية الزمن الممتد قبل الاسلام عموما ويعنينا منه الفترة التى لاتبعد عن الاسلام أكثر من مئتي سنة لا لمامنا بشيء من تاريخها ، وورد في القرآن الكريم ما يوحي بوجود جاهليتين قريبة وبعيدة او اولى وثانية « ولا تبرجن تبرج الجاهلية الاولى » الاحزاب ٣٣/٣٣ والجاهلية عند معظم المؤرخين والدارسين تعني الجهل وعدم المعرفة وقد اغرقوها بما وسعهم من النعوت المزرية (الالوسي – بلوغ الارب – ج١ ص ١٥ وما بعدها ، دائرة المعارف الاسلامية مادة جاهلية – احمد امين – فجر الاسلام ص ٦٩) والذى يبدو ان هؤلاء قد فهموا من الجاهلية ما انطوت عليه الاعرابية من جفاف وابتعاد عن مظاهر المدينة دون الالتفات الى سكان الحواضر الذين كانوا على شيء من الرقي فالجاهلية التى قصدها القرآن الكريم هى الجاهلية الدينية التي كان عليها العرب قبل الاسلام واستمرت حتى بعد ظهوره متمثلة بالاعراب الذين انكروا القيم الاسلامية فانكرهم الاسلام قال تعالى « يظنون بالله غير الحق ظن الجاهلية » آل عمران ٣/١٥٤ وذكر عن الرسول قوله للصحابي ابي ذر « انك امرؤ فيك جاهلية » عندما الف فيه شيئا من خلق الجاهليين كالانفة والتفاخر « الالوسي ج١ ص ١٥ » .

اضافة الى التشابه في أصول الالفاظ كالضمائر وتصاريف الافعال وأوزانها وأصلها الماضي الثلاثي وفي القواعد النحوية ، وقد وجد المستشرق الايطالي جويدي أثر قيامه بدراسة مقارنة للغات السامية ان معظم المسميات المتعارف عليها في المجتمع الزراعي كالنبات والماء والحيوان وما الى ذلك تتشابه أصولها في اللغات السامية[١٤]، ويتضح الاتساق اللغوي بين اللغات السامية باعتمادها ظاهرة الاشتقاق التي تبدو جلية عند مقارنة هذه اللغات باللغات الآرية التي تعتمد ما يدعى بالنحت عند علماء اللغة[١٥] ، واذا ما صح ان الساميين كانوا في حقبة ما يشكلون شعباً واحداً فمن غير المستبعد ان تكون لهذا الشعب وفي ذات الحقبة لغة أم واحدة تفرعت عنها اللغات التي تنعت بالسامية وقد يكون التشابه بينها دليل أصلها الواحد • لذلك اتجه كثير من الباحثين لتثبيت هذا الاصل ولكنهم لم يتفقوا فيما ذهبوا اليه لان « اللغة السامية الأم لم تكن الا لغة محكية وقد زالت من الوجود اليوم مع ان صفتها العامة قد يستدل عليها من الامور المشتركة في اللغات الباقية المتفرعة عنها »[١٦] ، وحصيلة آرائهم في ذلك تراوحت بين عدة لغات سامية كالعبرانية والعربية والآشورية[١٧] •

ومن مظاهر الالتقاء بين الساميين كما يرى المعتقدون به انسجام في ملامحهم الفكرية وفي طبيعة حياتهم يتضح من خلال تقارب نظراتهم الدينية والسياسية والاجتماعية وفيما يحملونه من اتجاهات طبعتها حياة البداوة التي انحدروا منها كالتطرف والاحساس المرهف والفردية ، وعند هؤلاء ان ظهور الديانات الرئيسة الثلاث بين الساميين دليل نزوعهم الفكري الواحد[١٨] •

١٤ـ محاضرات في تاريخ العرب لاحمد صالح العلي ص ٩ •

١٥ـ المفصل في تاريخ العراب لجواد علي ج١ ص ٢٢٢ ، وتاريخ العرب لنفس المؤلف ج١ ص ١٤٨ ، مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لطه باقر ج ١ ص١١٩ ، تاريخ العرب لفيليب متي ج١ ص ٩ (وبمراجعة انموذج مقارن لصيغ الضمائر في اللغات السامية يبدو التقارب جليا بين هذه اللغات فالضمير نحن في العربية يقابله انحن في العبرية وحنو في السريانية ، والضمير انتم في العربية يقابله ايتم في العبرية وانتون في السريانية وهكذا بالنسبة لسائر الضمائر)•

١٦ـ تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ١٤ •

١٧ـ تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص ١٦٧/١٦٦ ، اللغة العربية كائن حي لجرجي زيدان ص ٢٩/٢٨ •

١٨ـ تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ١٠ ، محاضرات في تاريخ العرب لاحمد صالح العلي ص ٧ •

ومصطلح السامية مشتق من سام بن نوح الذي ورد ذكره في التوراة[١٩] وقد أبرزه المستشرقون منذ الربع الاخير للقرن الثامن عشر (١٧٨١) في كتاباتهم التأريخية والانترولوبوجية[٢٠] ، ومنهم من تطرف باستعماله معتقداً بالوحـــدة الجنسية للشعوب السامية لما رأى من أمور مشتركة تجمع بينها .

وقد اضطربت الآراء في تعيين الوطن الذى درج عليه الســاميون ابتــداء ، فارتأى البعض انه العراق تأثرا بما ذهبت اليه التوراة واعتماداً على الدراســـات المقارنة للغات السامية ، وارتأى آخرون انه افريقيا لوجود بعض الملامح الجنسية والغوية بين الساميين والحاميين ، وثمة منانتهى به البحث بايجاد أوطاناخرى للساميين كأرمينيا وقفقاسيا وبلاد الاموريين ، والرأي السائد في هذا الخصوص هو الرأى الذى يرجح الجزيرة العربية وطناً أول للساميين ، ويرى المستشرق الايطالى كاتياني ان الجزيرة العربية كانت في عصور سحيقة في القدم ذات مناخ غير ما هو عليه الآن ، اذ كانت آنذاك خصبة لا تنفك الامطار عن امراع تربتها ، لذا فقد كان الساميون ـ سكانها الاصليون ـ ينعمون بطبيعة ملائمة للسكنى قبل أن تصبح بلادهم غير قادرة على استيعاب الزيادة المطردة في السكان بفعل الجفاف الذى داهمها أثر تغير الطبيعـة ، وعند أصحاب هذا الرأى ان العرب من ســكان الجزيرة والبدو منهم على وجه التحديد هم خير من يمثلون ما يدعى بالســلالة السامية من حيث اللغة والتقاليد الاجتماعية وطرق العيش ، « فكأن المكافأة السلالية هي المكافأة التي تمنحها البيئة الشــديدة النكران كتلك التي في أواســط جزيرة العـــرب »[٢١] .

١٩ـ التكوين الاصحاح العاشر ، آية ـ ١ ـ

٢٠ـ اول من استعمل أصطلاح السامية المستشرق النمساوي شلوزر (Sehlozer) (من الساميين الى العرب لنسيب وهيبة ص ٩ ، تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص ١٤٩)

٢١ـ تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص٨ ، وينظر في وطن الساميين كتاب جواد علي تاريخ العرب ج١ ص ١٥٠ وما بعدها والمفصل في تاريخ العرب ج١ ص ٢٢٩ ، وما بعدها ، وكتاب حتي المذكور ص ١٠ وما بعدها ، ومحاضرات فى تاريخ العرب لاحمد صالح العلي ص ٩ ومــا بعدهـا .

أما اولئك الذين لم يستطيعوا مغالبة جدب الصحراء عقب التحول الذى طرأ على مناخ الجزيرة العربية فقد دأبوا على الارتحال في سبيل الظفر بمظان جديدة تمنحهم السعة في العيش ، وقد تصور العلماء ارتحال الساميين على شكل موجات كبيرة أوجدوا لها حدوداً زمنية تبلغ الحقبة بين كل منها الفا من السنين وشبهوا الجزيرة العربية بمستودع واسع للسكان يفيض كلما امتلأ غامراً الهلال الخصيب ومصر بالمرتحلين لكونها محاطة بالماء من اجزائها الثلاثة فلم يبق من مجا لسوى الاتجاه شمالا بسلوك طريقين أحدهما يوصلها بالعراق ويمتد شرقاً والثاني يوصلها بمصر والشام ويمتد غرباً ، واعتبر الاكديون والآشوريون الذين دخلوا العراق بحدود ٣٥٠٠ ق م أقدم الساميين الذين هجروا الجزيرة باتجاه الشمال توالت بعدهم موجات سامية اخرى • فحوالى عام ٢٥٠٠ ق م تدفق الاموريون والكنعانيون على بلاد الشام وعقب هذا التاريخ بالف سنة (١٥٠٠ ق م) اخذ الآراميون يتوافدون على العراق والشام والعبرانيون على فلسطين • وحوالي منتصف الالف الاول قبل الميلاد (٥٠٠ق م) نفذ الانباط الى شبه جزيرة سيناء ، وآخر هذه الموجات كما يبوبها العلماء الموجه التي خرجت من الجزيرة العربية في القرن السابع الميلادي متألفة من العرب الذين حملهم الفتح الاسلامي الى الهلال الخصيب ثم الى افريقيا الشمالية واصقاع اخرى[٢٢]•

وكثيرا ما اعتبر هؤلاء الساميون يؤلفون وحدة جنسية اعتمادا على الخصائص المشتركة بينهم • فقد ادعى ارنست رينان – وهو مستشرق فرنسي عاش في القرن التاسع عشر – ان الساميين يختلفون عن الآريين في الملاح الجنسية والتركيب العقلي[٢٣] ومع ان تحفظات كثيرة قد اثيرت حول نظرية رينان التي تأثر بها علماء آخرون فقد تبدو هذه النظرية جديدة ، اذ ان التوراة قد ارجعت البشر قديما الى ثلاثة اعراق تنتمي الى ابناء نوح : سام وحام ويافث [٢٤] ، واتجه ذات

٢٢– مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة لاحمد صالح العلي ج١ ص١٢١ وما بعدها ، تاريخ العرب لحتي ج١ ص ٩ وما بعدها محاضرات في تاريخ العرب لاحمد صالح العلي ص ١١ •

٢٣– تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص ١٦٧/١٦٨ ، ومحاضرات في تاريخ العرب لاحمد صالح العلي ص ٧/٨ •

٢٤– التكوين/الاصحاح العاشر •

الاتجاه معظم مؤرخي العرب القدماء متأثرين بتقسيم التوراة[٢٥] وابن خلدون من المؤرخين القلائل الذين تنبهوا لهذه الناحية عندما وجد ان سواد الحاميين كان بتأثير من الطبيعة التي اشتملتهم وليس بنتيجة دعوة ابيهم حام [٢٦] .

والذي يعنينا من انتماء العرب الى الساميين هو الانتماء اللغوي والاجتماعي أما مسألة الجنس السامي فقد تبدو صعبة الاثبات .

* * *

وللعرب تقسيم تقليدي يبوبون في ضوئه الى فئات ثلاث ، دعيت الاولى منها بائدة لانقراضها والثانية عاربة لاعراقها في العروبـــة تأثرت بها طبقة ثالثة وهي المستعربة[٢٧] . وهذا التقسيم الثلاثي ظل متعارفا عليه لـدى معظم المؤرخين والنسابة العرب رغم بعض الاختلافات الجزئية ، فقد تسمى الفئتان الثانية والثالثة بالباقية تمييزا عن الفئة الاولى التي بادت والتي قد تعرف بالعاربة ايضا ، او قـد ترد اكثر من تسمية لفئة واحدة فتطلق الفاظ العاربة والمتعربة والعرباء على الفئة الثانية والمستعربة والمتعربة على الفئة الثالثة وهما الفئتان اللتان يرجعهما النسابون الى قحطان وعدنان على التوالي وبهما تتمثل العرب الباقية . ولمـا كان الجاهليون انفسهم لم يعرفوا مثل هذه التقسيمات المفتعلة ولم ترد لهـا اشارة في النصوص القديمة ومنها النصوص العبرية التي كثيرا ما تأثر بها واضعو هذه التقسيمات ، فلا يصح والحال هذه الاطمئنان اليها لانهـا تسقط الصلات التاريخيـة بين اجيـال العرب وتمثل كل طبقة من الطبقات العربية وكأنها أمة قائمة بذاتها ، لها تراث وتاريخ يميزها عن سواها بحيث يبدو الامر وكأنه موت طبقة وانبعاث اخرى من جديد في حين ان الجميع يشدهم اكثر من رابط ويكونون امتدادا تاريخيا لامـة واحدة . واذ نعتمد الاسلوب التقليدي في محاولتنا استجلاء شيء مـن تأريخ وانتساب العرب فلكونه السائد في مثل هذه الدراسات .

٢٥- الطبري ج١ ص ٢١١ ، اليعقوبي ج ١ ص ١٣ وما بعدها ، المعارف لابن قتيبةص ٢٤ وما بعدها، الكامل لابن الاثير ج١ ص ٣٨ وما بعدها .

٢٦- مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ وما بعدها .

٢٧- وقد تضاف لما تقدم فئة عربية رابعة دعيت بالمستعجمة او المحدثة امثال سكان شمال افريقيا بلوغ الارب للالوسي ج١ ص ٩ وما بعدها .

١ ـ العرب البائدة :

وتعتبر هذه الطبقة اقدم الطبقات العربية اطلاقا ، وتضم قبائل عديدة ـ امثال عاد وثمود وطسم وجريس واميم وجرهم والعمالقة ، ويرى ابن حزم ان هذه الاقوام قد بادت «فليس على الارض احد يصح انه منهم الا ان يدعي قوم ما لا يثبت»[٢٨] • وقد ذكر القرآن الكريم بعضا من هـــذه القبائل في موضع العبرة والاتعاظ كعاد وثمود ، اما المؤرخون العرب فلا يملكون عنها أية معلومات يمكن الركون اليها وكل ما ذكروه لا يعدو كونه ضربا من الاخبار المفتعلة • حتى ان بعض المستشرقين قد رفض وجودها أصلا تأثرا بما روى عنها من هذه الاخبار[٢٩]، بيد ان ذلك قد يبدو نوعا من التطرف يوازيه تطرف المؤرخين العرب في اصطناع الروايات المثيرة عنها ، واذا كان ورود ذكر لبعضـــها في القرآن الكريم دليـــل وجودها حقا فان ثمة دلائل مادية تؤكد ذلك ، فقد ذكرت ثمود في بعض الاثار الآشورية وعثر على كتابات لها اضافه لمعرفتنا شيئا من تأريخ العمالقة وخاصة في مصر[٣٠] • ولقصور معلومات النسابين عن اصل هذه القبائل فقد ربطوا بينهـــا وبين سام ارم ولاوذ المذكورين في التوراة[٣١] في محاولة لايجاد نسب منتظم لها ، وللاول نسبوا معظمها كعاد وثمود وعبيل بينما ارجعوا بعضا منها للثاني كالعمالقة[٣٢] والملاحظة التي يظفر بها الباحث من خلال مراجعة انساب العرب البائدة في مظانها من كتب التاريخ والنسب هي الافتعال وعدم التوافق حتى فيما يفترضه النسابون انفسهم واذ يعتمدون التوراة في وصل هذه الانساب بارم ولاوذ فان التوراة تخلو من ذكر ابناء للاوذ واحفاد لارم وهم الذين نسبت اليهم معظم قبائل هذه الطبقـــة العربية •

٢٨ـ جمهرة انساب العرب ص ٨ •

٢٩ـ المفصل في تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص٢٩٨/٢٩٩ •

٣٠ـ تاريخ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٥٧ و ٦٧ وما بعدهما •

٣١ـ التكوين/الاصحاح العاشر/آية ٢٢ (وقد دعتهما التوراة آرام ولود) •

٣٢ـ انساب الاشراف للبلاذري ص ٣ وما بعدها ، صبح الاعشى للقلقشندي ج٥ ص ١٨ وما بعدها ، المعارف لابن قتيبة ص ٢٦ وما بعدها وينظر ايضا دائرة معارف القرن العشرين لمحمد فريد وجدي ـ مادة عرب ـ ص ٢٣١ وما بعدها ، العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٤٢ •

واذ لا تمكننا الموارد التاريخية من تحديد تأريخ هذه القبائل ، فالذي يصح قوله هنا انها قد عاشت في حقبة تاريخية تنأى في اعماق الجاهلية وان ارتأى البعض ان الزمن قد امتد بها الى عهد غير بعيد من الاسلام باعتماد قوله تعالى «وعاد وثمود وقد تبين لكم من مساكنهم»[٣٣] . وقد اعتبرت عاد مقرونة بثمود رأس هذه الطبقة حيث ضرب بهما المثل في القدم ، وعند العرب ان لفظة عادية المنسوبة الى عاد تعني الشيء القديم الذي لا اصل له[٣٤] . وفي القرآن الكريم آيات توحي بقدم عاد وثمود كقوله تعالى «ألم يأتكم نبأ الذين من قبلكم قوم نوح وعاد وثمود والذين من بعدهم لا يعلمهم الا الله»[٣٥] ، ويبدو ان المؤرخين العرب قد فهموا من عبارة «ما بعدهم» في الآية على انها تشمل سائر القبائل البائدة الاخرى لذلك فقد قدموا طبقة عاد وثمود على سواها من هذه القبائل وبضمنها العمالقة الذين يمتد تأريخهم عميقا في عصور ما قبل الميلاد حيث اسسوا دولة الهكسوس او الشاسو في مصر ما بين ٢٢١٣ و ١٧٠٣ق.م وذكرتهم التوراة عند اشارتها الى حربهم مع النبي موسى[٣٦] . وبغض النظر عن محاولات المؤرخين في هذا المجال فان القرآن الكريم اذا كان قد قصد بعبارة «ما بعدهم» عقب ذكره قوم نوح وعاد وثمود بقية العرب البائدة واذا ما صح ان العمالقة منها فان عاد او ثمود او القريبين منهم يكونون موغلين في القدم حقا خصوصا وان قوله تعالى «وعادا وثمود واصحاب الرس وقرونا بين ذلك كثيرا»[٣٧] يوحي بذلك .

وقد عاشت هذه القبائل منذ القدم في الجزيرة العربية ، بيد ان هناك من يرى ان موطنها الذي درجت عليه ابتداء هو ارض بابل ومنه اتجهت الى الجزيرة

٣٣- العنكبوت ٣٨/٢٩ ، وينظر المفصل في تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص ٢٩٩ .

٣٤- مقدمة ابن خلدون ص ٦١٣ .

٣٥- ابراهيم ٩/١٤ .

٣٦- المفصل في تاريخ العرب / نفس الجزء ص ٣٤٦ (وهناك من يرى ان الحمورابيين من العمالقة وبالتالي فهم عرب ، وهذا الراي مردود لانه يفترض ادخال جميع الساميين في العرب) . ينظر كتابي جرجي زيدان العرب قبل الاسلام ص ٥٤ وما بعدها وتاريخ التمدن الاسلامي ج١ ص ٢٣ ، وكذلك مادة عرب في دائرة معارف وجدي ص ٢٨٨ .

٣٧- الفرقان ٣٨/٢٥ .

العربية بعد ان اجلاها بنو حام عنه(٣٨) ، وليس ببعيد ان يكون هذا الرأي تأثرا بما ذهبت اليه التوراة من ان ارض بابل هي المهد الاول لابناء سام ، وهذه الطبقة العربية سامية كما تقدم وكثيرا ما تأثر المؤرخون العرب ونسابتهم بما أوردته التوارة في مجالي النسب والتاريخ • واذا ما تجاوزنا هذا الرأي فان ما متيسر من معلومات تأريخية وآثار مكتشفة يشير الى ان القبائل البائدة كانت قد توزعت منذ القدم في ارجاء الجزيرة العربية ناهدة الى الشمال في اكثر الاحايين • وقد عثر على كتابات ثمودية في مناطق من شمالي الحجاز ونجد يحتمل ان تكون ثمود قد عاشت هناك ، والمصادر العربية تقترب من ذلك عند تحديدها مكان هذه القبيلة البائدة ، اذ حددته ضمن منطقة من وادي القرى تدعى بالحجراو مدائن صالح استنتاجا من قوله تعالى «وثمود الذين جابو الصخرة بالواد»(٣٩) ويرجح ان بني لحيان قد عاشوا ضمن هذه المنطقة ايضا والى الشمال منهم باتجاه سيناء عاش اهل مدين حيث تقع مدينتهم هناك(٤٠) • ومن القبائل البائدة التي اقامت شمالي الحجاز العمالقة الذين توغلوا في مصر زمن الفراعنة واسسوا دولة هناك كما تقدم • وعقب اجلائهم عن مصر اقاموا في الحجاز واليمن واجزاء اخرى من الجزيرة ، ويرى البلاذرى انهم نزلوا اليمن اولا ثم نهدوا شمالا الى يثرب فاستقروا بها بعد ان اجلوا عبيلا عنها(٤١) • اما عاد وهي اكثرالقبائل البائدة شهرة فالذي يبدو انها نحت جنوبا ، والروايات تذكر ان منازلها كانت منتشرة في رمال الاحقاف ما بين اليمن وعمان والبحرين شرقا متوغلة جنوبا الى الشحر وحضرموت(٤٢) وفي القرآن الكريم اشارة صريحة لذلك في قوله تعالى « واذكر اخا عاد اذ أنذر قومه بالاحقاف»(٤٣) • اما طسم وجديس فقد روت الاخبار انهما قد سكنتا اليمامة الى

٣٨- العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٤٢ •

٣٩- الفجر ٨٩/٩ •

٤٠- الطبري ج١ ص ١٥٨ ، المسعودى ٤٢/١ ، وينظر المفصل لجواد علي ج١ ص ٣٢٤ وما بعدها وتاريخ الجاهلية لعمر فروخ ص ٤٧/٤٨ •

٤١- انساب الاشراف للبلاذرى ص ٧ •

٤٢- المصدر السابق / نفس الصفحة ، صبح الاعشى للقلقشندى ج٥ ص ١٨ ، الطبرى ج ١ ص ١٥٠ •

٤٣- الاحقاف ٢١/٤٦ •

الشمال من الاحقاف ، واقامت جرهم الاولى في مكة[٤٤] والى الشمال منها استقرت عبيل في يثرب الى ان اجلاها العمالقة كما ذكر البلاذري •

وقد اندثرت هذه القبائل بفعل عوامل طبيعية قاسية لا طاقة لهـا بمغالبتها ، ويتضح ذلك في خلال ما ورد عنها من آيات ضربت بها المثل للعقوق وعدم الهداية مبينة المصير المفجع الذي انتهت اليه • فقـد كذبت عاد رسولها هودا «والى عاد اخاهم هود قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره ان انتم الا مفترون»[٤٥] • وكذلك فعلت ثمود مع رسولها صالح«والى ثمود اخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله ما لكم من اله غيره»[٤٦] • اما اهل مدين فلم يكن لهم قدر من الايمان أوفر من ايمان عاد وثمود فقد سفهوا رسولهم شعيبا وكانوا من المفسدين «والى مدين اخاهم شعيبا قـال يا قوم اعبدوا الله وارجـو اليوم الآخـر ولاتعثوا في الارض مفسدين»[٤٧]• وجزاء لتكذيب هذه القبائل رسلها واجتنابها الحق فقد جـاز عليها العقاب الذي تمثل بصور شتى من العذاب المريع عبرت عنه الفاظ وردت ضمن بعض الآيات منها الصاعقة «فان اعرضوا فقل انذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وثمود»[٤٨] والرجفة «فاخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين»[٤٩] والصيحة «واخذ الذين ظلموا الصيحة فأصبحوا في دارهم جاثمين»[٥٠] • ومما ابتليت به هذه الطائفة من العرب الريح الصرصر «فارسلنا عليهم ريحا صرصرا في ايام نحسات لنذيقهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة اخزى وهم لا ينصرون»[٥١] • ويتضح من الايات المتقدمة وسواها مما يرد في هذا المعنى ان الجزيرة العربية كانت قد عصفت بها ثورة طبيعية عاتية ابادت معظم هذه القبائل ومـن مظاهرها انفجار البراكين والهزات الارضية والعواصف الرمليـة وذلك

٤٤ـ انساب الاشراف / الصفحة السابقة / الكامل في التاريخ ج١ ص ٤٤ وما بعدها •
٤٥ـ هود ٥٠/١١ •
٤٦ـ الاعراف ٧٣/٧ •
٤٧ـ العنكبوت ٣٦/٢٩ •
٤٨ـ فصلت ١٣/٤١ •
٤٩ـ الاعراف ٧٨/٧٠ •
٥٠ـ هود ٦٧/١١ •
٥١ـ فصلت ١٦/٤١ •

يتفق وما توحيه السمات الطبيعية للجزيرة العربية التي عاشت في ارجائها هـذه الطبقة العربية العريقة •

٢ ـ العرب العاربة :

وهم اكثر العرب الباقية اعراقا في العروبة ، يقول صاحب اللسان «العرب العاربة هم الخلص واخذ من لفظة فأكد به كقولك ليل لائل تقول عرب عاربة وعرباء ، صرحاء»[٥٢] • وكانوا يقيمون في الجهات الجنوبية من الجزيرةالعربية حيث بلغوا مدى بعيدا في كثير من مجالات الحضارة ، فأقاموا دولا تسودها انظمة اجتماعية راقية كدولة سبأ وحمير وبرعوا في الصناعة والزراعة والتجارة وكانوا على علم بالكتابة كما يتضح من آثارهم المكتشفة ، ولعل اهم معالم تحضرهم هـو سد مأرب الذي اقاموه لخزن المياه والاستفادة منها في مواسـم الجفاف ، وكان انفجاره وما اعقبه من انتقال معظم القبائل الجنوبيـة الى الشمال نهاية للازدهـار الحضاري الذي اقامته تلك القبائل في الجنوب من الجزيرة العربية [٥٣] ، وقد اتى القرآن على حادثة انفجار السد في معرض العظمة عند قوله تعالى « فاعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى اكل خمط واثل وشيء من سدر قليل» • والمصادر العربية تنسب هذه الطبقة الى قحطان الذي توصل نسبة صعود ابسام بن نوح ، واشهر ولده يعرب او الناطقين بالعربية على زعم هذه المصادر ، وليعرب من الابناء يشجب الذي اعقبه عبد شمس ـ سبأ ـ ولهذا حمير وكهلان ، وهما الاصل لجميع القبائل المنسوبة لقحطان[٥٤] •

حميـــــر :

وقد صار اليه الامر بعد ابيه عبد شمس وظل ملكا كما تروى المصادر العربية الى أن أدركته المنية وهو شيخ هرم[٥٥] ، واشهر ابنائه مالك ومن مالك قضاعةالذي تذبذب نسبه بـين عدنان وحمير ، ولقضاعـة الحافي وللحـافي عمران وعمرو

٥٢ـ ج١ ص٥٨٦ ، وينظر تهذيب اللغة للازهرى ج٢ ص ٣٦٠ ومعاجم العرب الاخرى ـ مادة عرب ـ
٥٣ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٠٢ وما بعدها •
٥٤ـ انساب الاشراف للبلاذرى ص٣ وما بعدها • جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٧ وما بعدها ، صبح الاعشى للقلقشندى ج٥ ص ١٩ وما بعدها •
٥٥ـ تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني ص ١٠٦ •

اسلم[٥٦] . ومن هؤلاء تفرقت اشهر القبائل القضاعية المعروفة ، ومنها تنوخ التي جعلها حمزة[٥٧] حصيلة تحالف جماعتين من الازد وقضاعة في حين يرى ابو عبيدة حسب رواية القلقشندي[٥٨] انها تكونت نتيجة تحالف ثلاثة ابطن «بطن من نزار والاحلاف : اسد وغطفان فهما اثنان ونزار الثالث سموا بـذلك لانهم حلفوا على المقام بمكان الشام والتنخ المقام» والى ما يقرب من ذلك يذهب ابن حزم[٥٩] . ومنها كلب وجرم وضجعم ، وقد ملكت الاخيرة بـلاد الشام قبـل سيطرة الغساسنة عليها ، ويرجع النسابة القبائل الاربع المتقدمة الى عمران بن الحافي بن قضاعة[٦٠] بينما يرجعون الى اخيه عمرو قبائل قضاعية اخـرى اهمها بهراء وبلي وحيدان[٦١] . اما اسلم ثالث الاخوين المتقدمين فيرجعون اليه طائفة ثالثة من هذه القبائل منها نهد وجهينة وحوتكه وسعد هذيم وعذرة[٦٢] .

كهـــلان : ـ

وهو الذي انتهى اليه امر اليمن بعد شقيقه حمير ، وقد اعقب كهلان زيدا واعقب زيد مالكا وعريبا [٦٣] . وقد خلف مالك نبتا والخيار ومن نبت الغوث ومن الغوث الازد وعمرو ، والمصادر العربية تنسب اللازد عدة ابناء اشهرهم مازن ومنه ثعلبه ، ولثعلبه امروء القيس ولامرىء القيس حارثه الغطريف الذي اعقب عامرا ماء السماء ، ومـن الاخير عمرو مزيقياء وله عـدة ابناء منهم جفنة وكعب والحارث وذهل ووداعة وحارثة ومالك وثعلبة العنقاء ، وقد دعى بعض هؤلاء غسانا لنزولهم على ماء عرف بهذا الاسم . ومن ابناء عمرو فريقياء المذكورين تفرعت احياء من الازد واسعة[٦٤] منها بنو الاوس والخزرج وهم ينسبون الى

٥٦ـ جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٤٠ .
٥٧ـ كتابه السابق ص ٨٣ .
٥٨ـ نهاية الادب في معرفة انساب العرب ص ١٨٩ .
٥٩ـ الجمهرة ص ٤٥٣ .
٦٠ـ المصدر السابق ص ٤٥٠ وما بعدها .
٦١ـ المصدر السابق ص ٤٤٠ .
٦٢ـ المصدر السابق ص ٤٤٣ وما بعدها .
٦٣ـ الاكليل في اخبار اليمن وانساب حمير للهمداني ص١ ، جمهرة انساب العرب لابن حـــزم ص ٣٣٠ .
٦٤ـ الجمهرة ص ٣١٠/٣٣١ ، نهاية الادب للقلقشندى ص ٣٨٨ .

ثعلبة العنقاء من ابنه حارثة ، وقد نزلوا يثرب عقب تفرق قبائل الازد عن اليمن ويعرفون بالانصار لاحتضانهم الدعوة الاسلامية لدى هجرة الرسول الى يثرب ، وثمة من يعرفهم ببني قيلة نسبة الى «قيلة» أم الاوس والخزرج[٦٥] ولم يعقب الاوس من الابناء سوى مالك ومنه تفرق سائر بني الاوس[٦٦] ، اما الخزرج فله كعب والحارث وعوف وجشم وعمرو ، ومن هؤلاء تفرق بنو الخزرج[٦٧] .

ومنها آل جفنة من الغساسنة الذين ملكوا الشام بعد انتزاعهم الملك من اسلافهم الضجاعمة ، وجفنة الذي ينسبون اليه هو اول ملوكهم ، ومن اعقابه الملوك الغساسنة الذين امتد حكمهم تباعا حتى اسلم آخر ملك منهم وهو جبلة ابن الايهم على عهد الخليفةالثاني ، بيد انه فر الى الروم ناكصا الىالنصرانية[٦٨] .

ومنها ايضا بنو خزاعة وهم ابناء عمرو بن ربيعة بن حارثة بن عمرو مزيقياء ودعوا بخزاعة لافتراقهم عن قبائل مازن عند تركها اليمن ، فقد اقامت مازن على ماء غسان واقامت خزاعة بمناطق من مكة ومر الظهران[٦٩] ، هذا ويعتبر الازديون اكثر عرب الجنوب شهرة واتساعا نظرا لكثرة القبائل التي تفرعت عنهم سوى ما تقدم منها . وقد قسمتهم المصادر العربية الى اكثر من فريق منهم ازد السراة نسبة الى موضع في اليمن اقاموا فيه ، ومنهم ازد عمان لاقامتهم هناك ، واضاف القلقشندي فريقا آخر اليهم دعاه بأزد شنوءة واورد هنا ما قاله ابن خلدون من ان شنوءة كانت منازلها بالسراة وعلى هذا فقد يكون الاسمان السراة وشنوءة مترادفين بالنسبة لهذا الفريق من الازد[٧٠]

اما عمرو بن الغوث اخو الازد فله من الابناء اراش ، ولاراش انمار ويبدو ان بعض النسابة العرب قد خالفوا نسب انمار المتقدم وارجعوه الى معد بن عدنان من ابنه نزار ، وهوءلاء يرون ان نسبته الى اليمن كانت بسبب تزوجه مع ابنائه

٦٥- نهاية الارب للقلقشندي ص ٤٠٤ .

٦٦- الجمهرة ص ٣٣٢ ، نهاية الارب للقلقشندي ص ٩٣ .

٦٧- الجمهرة ص ٣٤٦ ، نهاية الارب للقلقشندي ص ٥٣/٥٢ .

٦٨- الجمهرة ص ٣٣١ ، نهاية الارب للقلقشندي ص ٢١٧ .

٦٩- نهاية الارب للقلقشندي ص ٢٤٥/٢٤٤ .

٧٠- المصدر السابق ص ٩١ .

الى هناك . ولانمار هذا ينتسب العديد من الابناء الذين تفرعت عنهم بطون من العرب كثيرة منهم : اقيل ، عبقر ، الغوث ، صهيبة ، خزيمة ، وجميع ابناء انمار امهم بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة سوى اقيل ، لذلك عرفوا ببني بجيلة نسبة اليها ،اما اقيل فعرف بخثعم نسبة لجمل له[٧١] . ومن بني بجيلة بنو قسر واشهر بطونهم بنو عرينة وبنو افرك ، ومنهم ايضا بنو احمس ، ومن خثعم بنو ناهس وبنو شهران[٧٢] . وقد سكنت خثعم وبجيلة متجاورتين في مناطق من الحجاز جعلها البكرى[٧٤] بين وادى بيشة وتربة اما القلقشندى[٧٥] فحددها «بسروات اليمن والحجاز الى تبالة » . وكثيرا ما كان النزاع ينشب بين القبيلين نتيجة للتجاور في مجتمع بدوي اساسه الغزو .

اما الخيار اخو نبت والابن الثاني لمالك بن زيد فاشهر المنسوبين اليه همدان ومن همدان بنو بكيل وبنو حاشدو اليهما ترجع معظم البطون المنسوبة الىهمدان. فمن حاشد بنو يريم وبنو حجور وبنو يام بن اصبى وبنو قابض وبنو الخارق وبنو سبيع وبنو وداعة ، وقد دخل بنو وداعة في همدان وهم اصلا ازديون من ابناء عمرو مزيقياء كما تقدم . ومن بكيل آل ذى لعوة وبنو مرهبة وبنو ارحب[٧٥] وكان بنو همدان يقيمون شرقي اليمن الى الشمال من صنعاء وهم يعتبرون من اليمنيين القلائل الذين لم يهجروا موطنهم الاصلي اثر تفرق قبائل اليمن شمالا[٧٦] .

ولعريب بن زيد بن كهلان اخي مالك ينتسب له من الابناء طيء ومذحج والاشعر ومرة ، ولطيء من الاعقاب فطرة والغوث والحارث ، ولفطرة تيمالله والاسعد وسعد ، من الاخير خارجة . قد دعي المنسوبون الى خارجة ببني جديلة نسبة الى امهم وهي جديلة بنت سبيع بن عمرو من بني حمير ، ومن خارجة بنو

٧١- الجمهرة لابن حزم ص ٣٨٧ ، نهاية الارب للقلقشندى ص ١٧١ و ٢٣٤ .

٧٢- الجمهرة ص ٣٨٧ / ٣٩٠ ، نهاية الارب للقلقشندى الصفحات ٤٢ ، ٣٦١ ، ٣٤ ، ٢٣٤ .

٧٣- معجم البكرى ج١ ص ١٠

٧٤- نهاية الارب ص ٢٤٣ ، ١٧٢ .

٧٥- الجمهرة لابن حزم ص ٣٩٢/٣٩٦ ، نهاية الارب للقلقشندى الصفحات ٤٣٨ ، ٢٢٥ ، ١٧٩ ، ٢٨٨ ، ٤٤٩ ، ٢٤١ ، ٥٨ ، ٣٦ .

٧٦- صفة جزيرة العرب ص ١٠٩ ، نهاية الارب للقلقشندى ص ٤٣٨ .

رومان بن جندب ، ومن رومان بنو ثعلبة وبنو ذهل ، ومن ذهل بنو ثعلبة وبنو جدعاء ، ومن جدعاء بنو مالك وبنو ثعلبة ، ومن الاخير بنو تيم الله .

وللغوث عمرو وله كثير من الاعقاب منهم نبهان ، جرم ، هنيء ، بولان ، بدين ، غيث ، ثعل . ومن هؤلاء تفرعت اهم قبائل وبطون طيء المنسوبة للغوث واعم المتقدمين ذكرا ثعل ، واليه ينتسب بنو سلامان وبنو جرول وبنو معاوية ، فمن سلامان بنو بحتر وبنو معن ، ومن جرول بنو لوذان وبنو ربيعة ، ومن ربيعة بنو اخزم وبنو النجد ، ومن معاوية بنو سنبس . اما ثالث ابناء طيء وهو الحارث فقد التحق باخواله بني مهرة وهم من قضاعة وليس له من الشهرة ما لاخويه المتقدمين[٧٧] .

وقد اقامت قبائل طي اثر نزوحها شمالا بجوار بني اسد واجلتهم عن جبلي أجأ وسلمى حتى عرفا بجبلي طيء[٧٨] ، وكان لهذين الجبلين ـ اللذين يقعان الى الشمال الشرقي من المدينة ويخترقهما وادي الدهناء ـ الاثر البالغ في توجيه حياة الطائيين لما عرف عنهما من خصب ومنعة ، لذا اشتهر ذكر طيء وكان منها السيد والشاعر والفارس والكريم ، وقد تحدى الطائيون بموقعهم المنيع هذا الملوك ، قال عارق الطائي مخاطبا عمرو بن هند ، وقد توعد الاخير عارقا بالقتل : [٧٩]

ومن مبلغ عمرو بن هند رسالة ... اذا استحقبتها العيس تنضى من البعد

ايوعدني والرمل بيني وبينه ... تأمل رويدا ما امامة من هند

ومن اجأ حولي رعان كأنها ... قبائل خيل من كميت ومن ورد

غدرت بامر كنت انت دعوتنا ... اليه وبئس الشيمة الغدر بالعهد

ولمذحج من الابناء مراد وجلد وسعد العشيرة وعنس ، فمن مراد بنو زاهر وبنو ناجية ، ومن جلد بنو جنب وبنو صداء وبنو النخع ، ولسعد العشيرة عدة ابناء منهم جعفي والحكم وصعب ولهم تنتسب بطون واسعة منها بنو اود وبنو زبيد

٧٧ـ الجمهرة لابن حزم ص ٣٩٧ وما بعدها ، نهاية الارب للقلقشندى الصفحات ٣٥ ، ٢٠٥ ، ١٩٢ .

٧٨ـ نهاية الارب للقلقشندى ص ٣٢٥ ، العقد الفريد ٣/٣٩٩ .

٧٩ـ ايام العرب في الجاهلية لمحمد احمد جاد المولى وجماعته ص ١٠٢ .

ابنا صعب ، أما عنس فله عدة أبناء أيضا تفرعت عنهم البطون المنسوبة اليه ومنهم سعد الاكبر وسعد الاصغر ويام وعمرو ومعاوية[٨٠] . وكانت بطون مذحج تقيم في نجران من اليمن ولم تشارك معظم القبائل اليمنية في هجرتها الى الشمال[٨١] .

وللاشعر من الابناء الجماهر وعبد شمس وعبدالثريا والاتغم والارغم والادغم ومن هؤلاء تفرع أشهر المنسوبين اليه[٨٢] ، ولم يهاجر الاشعريون شمالاً اذ ظلوا مقيمين في اليمن كهمدان ومذحج[٨٣] .

اما مرة رابع أبناء ادد المتقدمين فله الحارث وللحارث عدى ومالك ، فمن عدى بنو عاملة وبنو لخم وبنو جذام وبنو كندة[٨٤] ، فمن عاملة بنو الزهد وبنو معاوية ، وكانت بطون عاملة تقيم في الشام الى الجنوب من البحر الميت[٨٥] ، ومن لخم بنو نمارة ومنهم بنو عدى ، ومن عدى بنو نصر ومنهم ملوك الحيرة المعروفون بالمناذرة وأشهرهم عمرو بن عدى أول ملوكهم والنعمان السائح والمنذر بن ماء السماء وعمرو بن هند والنعمان بن المنذر الذى كان اغتياله من قبل الفرس ايذاناً بيوم ذي قار الذى انتصرت فيه بكر على الفرس . ومن جذام بنو حرام وبنو جشم ، وأشهر المنسوبين لحرام بنو غطفان وبنو أفضى ، وثمة من يرى ان بني جذام معديون مستشهداً بقول جناده بن خشرم الجذامي[٨٦]:

وما قحطان لي باب وأم ... ولا تصطادني شبه الضلال

وليس اليهم نسبي ولكن ... معديا وجدت أبي وخالي

٨٠- ينظر في انساب مذحج جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤٥٠ وما بعدها ، نهاية الارب للقلقشندى الصفحات ٣٦٨ ، ٤١٧ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٣١٣ ، ٣٧٩ ، ٢١٦ ، ٤٣٢ ، ٤٣٣ ، ٢٩٠ ، ٧٦ .

٨١- معجم البلدان ٧٦/٢ ، ابن خلدون ٣٢/٢ .

٨٢- الجمهرة لابن حزم ص ٣٩٧/٣٩٨ .

٨٣- وقد عينت المصادر مكانهم قرب عك والى الشمال من زبيد (ابن خلدون ٣٢/٢ ، معجم البلدان لياقوت ٧٦/٢) .

٨٤- ينظر في انساب هؤلاء جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٤١٧ وما بعدها .

٨٥- صفة جزيرة العرب ص ١٢٩ ، ابن خلدون ٣٧/٢ .

٨٦- نهاية الارب للقلقشندى ص ٢٠٦ ، وفي هذا المعنى يقول الكميت بن زيد الاسدى :

نعاء جذاما غير موت ولا قتل ... ولكن فراقا للدعائم والاصل

وكانت ديار جذام محاذية للساحل الشرقي من البحر الاحمر امتداداً من العقبة حتى ينبع من الحجاز[٨٧] .

ومن كندة بنو بداء وبنو وهب وبنو معاوية وبنو الرائش وبنو عدى وبنو سعد ، وكان لكندة امارة في شمالي نجد هي احدى ثلاث امارات أقامها اليمنيون خارج اليمن ، وقد شمل سلطانها أشهر القبائل المعدية التي تقيم في نجد وقد تتالى على حكم هذه الامارة عدة ملوك أشهرهم حجر المعروف بآكل المرار .

أما مالك الابن الثاني للحارث بن مرة فأشهر المنسوبين اليه بنو خولان وكانوا يقيمون في الشرق من بلاد اليمن ، وقد ظلوا في موطنهم حتى الفتح الاسلامي حيث كان لهم من السلطة في اليمين ما ليس للكثيرين من سواهم[٨٨].

٣ ـ العرب المستعربة :

وهم أحدث طبقات العرب حسبما تذهب اليه مصادر النسب والتأريخ العربية ، وانما دعيت هذه الطبقة مستعربة واحياناً متعربة لان المنتمين اليها تكلموا العربية بعد ان كانت العجمه لسانهم ، يقول الازهرى « وانما المستعربة عندي قوم من العجم دخلوا في العرب فتكلموا بلسانهم وليسوا بصرحاء فيهم »[٨٩] . وهم ينسبون الى اسماعيل ابن ابراهيم الذى صاهر قبيلة جرهم ، احدى القبائل القحطانية التي نزلت مكة مهاجرة من اليمن فكان ان تعلم بنوه العربية من هذه القبيلة بعد ان كان لسان أبيهم العبرانية أو السريانية[٩٠] ، ومن أحفاد اسماعيل عدنان الذى نسبت اليه هذه الطبقة فعرفت بالعدنانية ، وقد أورد النسابة أكثر من سلسلة نسب مفتعلة تربط بين عدنان واسماعيل[٩١] ، وقد تنبه ابن حزم

٨٧ـ الجمهرة لابن حزم ص ٤٢١ ، ابن خلدون ٢/٣٧ .

٨٨ـ نهاية الارب للقلقشندي ص ٢٤٨/٢٤٩ ، نهاية الارب للنويري ٢/٣١٣ .

٨٩ـ تهذيب اللغة للازهري ج٢ ص ٣٦٢ وفي ذلك يقول القلقشندي في نهاية الارب ص ١١/١٢ « والمستعربة هم الداخلون في العربية بعد العجمة ، اخذ من استفعل بمعنى الصيرورة نحو استنوق الجمل اي صار في معنى الناقة لما فيه من الخنوثة واستحجر الطين اي صار في معنى الحجر ليبسه » .

٩٠ـ نهاية الارب للقلقشندى ص ١٢ .

٩١ـ المصدر السابق ٣٥٢/٣٥٣ ، المفصل لجواد علي ج١ ص ٣٧٧/٣٧٩ . المعارف لابن قتيبه ص ٢٩ .

لذلك عندما قال « فعدنان من ولد اسماعيل بلا شك في ذلك ، الا ان تسمية الآباء بينه وبين اسماعيل قد جهلت جهلا تاماً وتكلم في ذلك قوم بما لا يصح فلم نعرض لذكر ما لايقين فيه »[٩٢] . ولعدنان ينتسب عدة أبناء أكثرهم شهرة اثنان هما معد وعك[٩٣] ، ومصادر النسب العربية تبدو ضنينة عند حديثها عن عك ، وقد يخرج بعضها انتسابه من عدنان الى الازد[٩٤] والقبائل العدنانية التي تعني بها تلك المصادر انما هي المنحدرة من معد ، لان العرب الشماليين كثيراً ما كانوا ينتهون بنسبهم اليه دون تجاوزه الى عدنان[٩٥] ، وقد ذكر له كثير من الابناء أشهرهم نزار وأياد وقنص[٩٦] ، فمن الاول تفرع المعروف من قبائل معد كما سيأتي ، أما الآخران فليس لهما من الشهرة ما لاخيهما نزار اضافة لما وقع من اختلاط في نسب كل منهما[٩٧] ، واضافت بعض المصادر لابناء معد المتقدمين قضاعة مخرجة انتسابه من قحطان ، وكان أبناء معد يقيمون في تهامة ومناطق من الحجاز ونجد حيث عاشت قبائلهم في تآلف بيد انها لم تلبثان تفرقت بعد أن دب الخصام بينها[٩٨] .

نـــزار :

لنزار أربعة من الابناء هم مضر وربيعة واياد وانمار[٩٩] ، والى مضر وربيعة تنتسب القبائل النزارية المعروفة ، أما أياد وانمار فقد ذكر انهما من أبناء

٩٢ـ جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٧ ، وروى عن الرسول الكريم قوله « كذب النسابون فما بعد عدنان فهي اسماء سريانية لايوضحها الاشتقاق واستشهد بقومه تعالى ـ وقروناً بعد ذلك كثيرا ـ .

٩٣ـ الجمهرة لابن حزم ص ٩ ، الطبري ٢٩/٢ ، نهاية الارب للقلقشندي ٣٥٣/٣٥٢ .

٩٤ـ نهاية الارب للقلقشندي ص ٣٦٧/٣٦٦ انساب الاشراف للبلاذري ص ١٣ .

٩٥ـ المفصل لجواد علي ج ١ ص ٣٧٩ .

٩٦ـ الجمهرة لابن حزم ص ٩ ، انساب الاشراف للبلاذري ص ١٥ ، المفصل لجواد علي ج١ ص ٣٩٢ .

٩٧ـ فقد تارجح انساب اياد بين معد ونزار ، ونسب لقنص احيانا ملوك الحيرة من المناذرة ـ الجمهرة لابن حزم ص ٩/ ١٠ .

٩٨ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٧٥ وما بعدها .

٩٩ـ الجمهرة لابن حزم ص ١٠ ، انساب الاشراف للبلاذري ص ٢٣ ، نهاية الارب للقلقشندي ص ٤٣٠/٤٢٩ .

معد ، ومصادر النسب العربية لا تعتد بهما سوى ما ذكر من ان قبيلتي خثعم وبجيلة تنتسبان لانمار[100] .

مضــــر :

ولمضر بن نزار ينتسب الياس وقيس عيلان[101] ، وقد أعقب الاول مدركة وطابخة وقمعة الذين عرفوا بني خندف نسبة الى أمهم خندف القضاعية ، ولقمعة عامر وله أفصى وربيعة وعنهما تفرعت بطون قمعة ومنها خزاعة على رأى البعض[102] ، ولمدركة خزيمة ومنه كنانة واسد ، وكانت كنانه تقيم في مكة وأشهر بطونها بنو النضر[103] ، ومن النضر مالك ومنه فهر وهو قريش على الاغلب ، ولفهر غالب ومنه لؤى ، ومن لؤى كعب الذى أعقب مرة ، وأشهر أبناء مرة كلاب ومنه قصي وزهرة ، وبقصي يبتدىء مجد قريش ، فهو الذى وحدها وأعاد لها البيت من خزاعة وابتنى لها دار الندوة ، وله من الاعقاب عبدالدار وعبدالعزى وعبد مناف ، وللاخير المطلب وعبد شمس ونوفل وهاشم ، ولهاشم عدة أعقاب أشهرهم عبدالمطلب ، ومن أبنائه حمزة والعباس وابو طالب وعبدالله ، والاخير هو والد الرسول صلى الله عليه وسلم .

أما أسد فينتسب اليه دودان وكاهل وحملة وصعب وعمرو[104] ، وعن هؤلاء تفرعت البطون الاسدية المعروفة واكثرها شهرة تلك المنسوبة لدودان ومنها بنو فقعس وبنو الصيداء وبنو نصر[105] .

ولطابخة ينتسب أد وله عدة أبناء أشهرهم مر وعمرو وضبة وعبد مناة[106] ، ولعمرو من الاعقاب عثمان واوس وقد عرفا بني مزينة نسبة الى

---

١٠٠ ـ الجمهرة لابن حزم ص ١٠ ، نهاية الارب للقلقشندى ص ٨٨ .

١٠١ ـ الجمهرة لابن حزم ص ١٠ ، انساب الاشراف للبلاذرى ص ٣٠ نهاية لارب للقلقشندى ص ٤٢٢ .

١٠٢ ـ نهاية الارب للقلقشندى ص ٢٤٤ .

١٠٣ ـ المصدر السابق ، المصدر السابق ص ٤٠٨/٤٠٩ .

١٠٤ ـ المصدر السابق ، المصدر السابق ص ٣٧/٣٨ .

١٠٥ ـ المصدر السابق الصفحات ٣٩٣/٦٣/٤٣٠ .

١٠٦ ـ ينظر الجمهرة لابن حزم ص ١٩٨ وما بعدها .

أمهما مزينـة ، ولضبـة سعد وسعيد وباسـل ، وعن سـعد تفرعت بطون ضبـة المعروفة ، أما بنو عبد مناة فيعرفون بالرباب وهم حلف مع بني عمهم ضبـة على بني تميم ، وأشهر المنسوبين لمر بن أد تميم وله زيد مناة وعمرو والحارث ، فمن أبناء عمرو العنبر واسيد والهجيم والحارث ومالك ، أما بنو الحـارث فقد عرفوا بالشقرات وهم دون بني تميم الآخرين في الشـهرة ، ولزيد مناة عدة أبناء منهم سـعد ومالك ولهما تنتسب أكثر بطون تميم المعروفة • فلسـعد من الابناء كعب وعمرو والحـارث ، ولكعب وهو أشهرهم عمرو واليه ينتمي بنو مقاعس ومنهم بنو منقر بن عبيد ، ولمالك بن زيد منـاة حنظلة وله مالك ويربوع ، فمن الاول دارم ومنه بنو نهشل وبنو مجاشع ومن الثاني بنو رياح وبنو ثعلبة وبنو عمرو •

أما قيس عيـلان[١٠٧] وهو العقب الآخر المهم لمضر فينتسب اليه كثيرون منهم خصفة وعمرو وسعد ، فمن عمرو فهم وعدوان ، ومن سعد أعصر وغطفان ، وتنتمي باهلة وغني لاعصر وبغيض وأشـجع لغطفان من ابنـه ريث ، ولبغيض ذبيان وعبس ومن ذبيان بنو فزارة ، أما خصفة فتنتسب اليه بطون مهمة من قيس وله من الابناء عكرمة ، ولهذا منصور ومنه هوازن وسليم ، وبنو سليم من قبائل قيس الواسعـة ومنهم بنو بهثـة ، ومن بهثة بنو رعل وبنو ذكوان • ولهوازن ـ وهي واحدة من أشهر القبائل القيسية ـ ينتسب بنو صعصعة ومنهم بنو عامر ، واشهر البطون المنسوبة لعامر بنو كلاب بن ربيعة ، ومن هوازن ايضا بنو ثقيف الذين أقاموا في الطائف حيث سكنتها ثمود من قبلهم ، لذلك قيل ان ثقيفاً من بقايا ثمود[١٠٨] ، والثقفيون ينكرون ارتباطهم بهذه القبيلة البائدة •

ربيعـــــة :

أما ربيعة بن نزار فله من الابناء أسد وضبيعة وأكلب[١٠٩] ، ومن ضبيعة بنو الاحمس وبنو الحارث ، وثمة من يخرج انتساب أكلب لربيعة ويلحقه بقبيلة

---

١٠٧ ـ ينظر في تفرعات قيس الجمهرة لابن حزم ص ٢٤٣ وما بعدها •

١٠٨ ـ نهاية لارب للقلقشندى ص ١٩٨/١٩٩ ، صبح الاعشى ج١ ص ٣٤٣ ، الجمهـــرة لابن حزم ص ٢٦٦ •

١٠٩ ـ ينظر في تفرعات ربيعة جمهرة انساب العرب لابن حزم ص ٢٩٢ وما بعدها •

خثعم القحطانية[١١٠] • وأهم قبائل ربيعة اطلاقاً تلك التي تنتمي لأسد ، وقد تفرع أشهرها عن جديلة بن أسد ، ولجديلة دعمي ومنه أفصى ، وللاخير هنب وعبد القيس ، ولعبد القيس ينتسب كثيرون منهم بنو وديعة ، ومن وديعة بنو غنم وبنو دهن وبنو عمرو ، ومن عمرو بنو عجل وبنو محارب وبنو الديل ، ومن المنسوبين لهنب قاسط واليه تنتسب بطون من ربيعة مشهورة منها بنو وائل وبنو النمر ، ولوائل - وهو أشهر أبناء قاسط - بكر وتغلب اللذان اقترن اسمهما بحرب البسوس وايامها المشهورة ولتغلب غنم والاوس وعمران ، وعنهم تفرع المشهور من بطون تغلب ، ولبكر علي ويشكر وبدن ومن علي - وهو أشهر أبناء بكر - بنو لجيم وبنو عكابة ، ومن لجيم بنو عجل ، ومن عكابةبنو ثعلبة ومنهم بنو ذهل وبنو شيبان •

واذ أتينا على تفريع انساب العرب بشيء من الاسهاب فلاجل تبيان ما لهذه الانساب من أثر بالغ في حياة العرب ، وذلك ما سيتضح في فصول من البحث مقبلة ، فكثيرا ما كانت الرابطة القبلية تمثل لدى العربي ما يعرف الآن بالرابطة القومية التي تشد أبناء الامة الواحدة •

موطنهم

ان الموطن الذى اشتمل العرب منذ عصور سحيقة في القدم وتأثروا به أيضا أيما تأثر بحيث كانت كل مظاهر حياتهم نتيجة له هو الجزيرة العربية ، وهي في الواقع شبه جزيرة واسعة تقع الى الجنوب الغربي من آسيا وتحدها المياه من جهات ثلاث هي البحر الاحمر غرباً والمحيط الهندى - بحر العرب - جنوباً والخليج العربي وبحر عمان شرقاً ، أما جزؤها الشمالي فيتداخل مع صحارى العراق والشام لعدم وجود معالم محدودة تعين الحدود الشمالية لها • لذلك كثيرا ما تسرب العرب الى الشمال من جزيرتهم والى الشمال الغربي منها متوغلين في سيناء • وقد جعل علماء الجيولوجيا صحارى العراق والشام مكملة

١١٠ - نهاية الارب للقلقشندى ص ٤٣ •

لصحراء شبه الجزيرة العربية التي وصلوها بصحارى افريقيا معتبرين البحر الاحمر الذى يفصل بين آسيا وافريقيا منخفضاً قد غارت به الارض[١١١] •

وجزيرة العرب معظمها صحراء مقفرة واكثر ما تتمركز هذه الصحراء في الوسط قاطعة الجزيرة من الشمال الى الجنوب حيث ترتفع في وسطها هضبة نجد ، ففي شمال نجد تنفسح صحراء النفوذ[١١٢] ابتداء من واحة تيماء غرباً حتى الأحساء شرقاً محاذية بادية الشام من الشمال ، وقد تركت الرياح التي كثيرا ما تهب عليها من رمالها سلاسل متموجة تزدهر بالمراعي عند سقوط المطر وتقفر عند انحباسه • وتتصل النفوذ طبيعيا من ناحية الجنوب بصحراء الدهناء التي تمتد بين عمان والبحرين شرقا واليمن غربا وحضرموت جنوبا ، وهي تتسع كلما اتجهت نحو الجنوب حيث تعرف بالربع الخالى[١١٣] ، ويعرف الجزء الجنوبي الغربي منها بالاحقاف[١١٤] ، وتكاد تنعدم الحياة في الدهناء لقسوة طبيعتها ، فلندرة سقوط الامطار على هذه الصحراء الواسعة غدت رمالها مقفرة قلما تتراءى فيها الخضرة وخاصة في الربع الخالى ، الجزء الصحراوى الذى يصعب النفوذ اليه •

وسوى هذه الصحارى الشاسعة التي تستوعب معظم مساحة الجزيرة ، تبرز في الجزيرة العربية أشكال اخرى من التضاريس كالجبال والهضاب والمنخفضات وهي أكثر ما تكون بحافات الصحارى مقتربة من السواحل عدا

---

١١١ ـ تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ١٦/١٥ والمفصل في تاريخ العرب لجواد علي ج١ ص ١٤٢ •

١١٢ ـ وسميت هذه الصحراء بالنفوذ لصعوبة النفوذ اليها « لسان العرب والقاموس المحيط ، مادة نفذ » •

١١٣ ـ وقد سمي هذا الجزء من الصحراء العربية بالربع الخالي لخلوه من السكان نظرا لقسوة طبيعته وخاصة في فصل الصيف ، وقد بقيت معظم اجزائه مجهولة بالنسبة للدارسين حتى استطاع احد الرحالة الاوربيين ـ وهو الانكليزي برترام توماس ـ من اقتحامه في ثمانية وخمسين يوما من بحر العرب منتهيا بالخليج العربي وذلك عام ١٩٣١ وقد وصف مشاهدة محيرة في رحلته هذه منها الرمال المغردة (تاريخ العرب لحتي ج١ ص ١٧ والمفصل ج١ ص ١٥٠) •

١١٤ ـ الحقف حسبما تذكر القواميس العربية هو الرمل العظيم المستطيل المشرف ـ تنظر القواميس كالتاج واللسان ـ مادة حقف •

هضبة نجد التي ترتفع في الداخل شاطرة الصحراء الى جزءين[١١٥] ، فالى الغرب من الجزيرة وبموازاة البحر الاحمر تمتد سلسلة جبال الحجاز التي سميت كذلك لانها تحجز بين تهامة في الغرب ونجد في الشرق ، وتلتقي هذه السلسلة من ناحية الشمال بالاطراف الجنوبية لبادية الشام قاطعة الجزء الغربي من الجزيرة العربية حيث تشهق كثيرا عند اختراقها اليمن ، وقد اعتبرت جبال عمان المحاذية للساحل الشرقي من الجزيرة العربية امتداداً لهذه السلسلة ، ونتيجة لامتداد سلسلة جبالالحجاز بمحاذاة الساحل الغربي فقد أضحى وسط الجزيرة صحراء قاحلا يندر سقوط المطر فوقه لصعوبة نفوذ ما يتبخر من مياه البحر الاحمر الى الداخل عبر الحجاز . ويعتبر الحجاز من مناطق الجزيرة الخصبة بصورة عامة ، اذ ان الامطار كثيرا ما تصيبه بالرغم من انها قد تنقطع عنه عدة مواسم ، وعندما تنهمر فكثيرا ما تكون غزيرة مزبدة تسيل بها الاودية بشدة ، ومن أودية الحجاز المهمة وادي القرى الممتد من العلا شمالا حتى يثرب في الجنوب ، ومنها ايضا وادي الحمض ووادي أضم ، وقد يمكن الحصول على المياه بحفر الآبار في بعض هذه الاودية[١١٦] . وفي الحجاز تكثر المناطق البركانية ، وقد دعاها العرب بالحرات وتتكون منحجارة سوداء هي بقايا الحمم التي كانت تقذفها البراكين ، وأشهر حرات الحجاز تلك التي تقع الى القرب من يثرب ومنها حرة ليلى والنار والخزرية ، وقد ذكر ان ثورات البراكين في هذا الجزء من الجزيرة العربية قد امتد بها العهد حتى بعد الاسلام، وقيل ان بعض هذه البراكين كان ما يزال يقذف الحمم في عهدى الخليفتين الثاني والثالث .

---

١١٥ ـ وهذه التضاريس ـ كما سيتضح خلال البحث ـ قسمها الجغرافيون العرب الى خمسة اقسام هي : الحجاز ، تهامة ، اليمن ، العروض ، نجد . اما اليونان فقد قسموا الجزيرة العربية بصورة عامة الى ثلاثة اقسام هي الصخرية نسبة الى بطرا عاصمة الانباط المبنية من الحجر والصحراوية والسعيدة . (العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٣٢/٣٣ ، المفصل لجواد علي ج١ ص ١٦٣) .

١١٦ ـ المفصل ج١ ص ١٥٨ وما بعدها .

ومع ان بعض مناطق الحرار ـ وخاصة في الحجاز ـ تكون عظيمة الفائدة نظراً لخصوبتها وللاستفادة من معادنها واحجارها فانها كانت تعني عند الجاهليين المقيمين قريبا منها كارثة تلحق بهم أشد الاضرار عند هيجانها[١١٧] .

ويشمل الحجاز أهم مدن الجزيرة العربية ، ففيه مكة ـ أم القرى ـ وهي مدينة قدسها الجاهليون لاحتوائها الكعبة التي احتضنت أصنامهم فكانوا يحجون اليها متضرعين لعظمة مركزها الديني عندهم اضافة لكونها المركز التجارى المهم آنذاك . وفيه أيضا يثرب ـ المدينة ـ وهي ذات مناخ حسن تنتشر فيها الزروع ويصيبها المطر لذلك كثر المقيمون فيها وخاصة اليهود مثل بني قريضة والنضير ونزلتها أيضا قبائل الاوس والخزرج المعروفة بالانصار ، وتقع شماليها مدينتا اليهود فدك وخيبر ، ومن مدن الحجاز المعروفة الطائف وتقع الى الجنوب الشرقي من مكة وهي طيبة الهواء خصيبة الارض وقد عرفت بصناعة النبيذ لوفرة ما يزرع فيها من الكروم ، والى جوارها يقع جبل غزوان المشهور بطيبة مناخه . وينحدر الحجاز غربا باتجاه البحر الاحمر بصورة سريعة بعكس انحداره الوئيد نحو الشرق وقد دعى الساحل الضيق الممتد بينه وبين البحر بتهامه لشدة حره[١١٨] ، وتهامه منطقة سيئة المناخ ذات ارض رملية بالغة الحرارة ، وتقع فيها مرافىء الجزيرة الغربية واشهرها جدة وينبع في الشمال والحديدة في الجنوب، ويدعى جزؤها الجنوبي بتهامة اليمن . واليمن هو القسم الجنوبي من الجزيرة العربية [١١٩] ، ويقع اسفل هضبة نجد محتلا الزاوية الغربية من الجزيرة بمحاذاة البحر الاحمر من الغرب والمحيط الهندي من الجنوب ويمتد شرقا مشتملا حضرموت ومهرة والشحر وفيه تقع مدن شهيرة في التاريخ مثل مأرب ـ

---

١١٧ ـ ينظر في موضوع الحرات : لسان العرب ومعجم البلدان لياقوت مادة (حرر) معجم ما استعجم للبكري ٢/٤٣٥ وما بعدها ، تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ١٩ ، تاريخ الجاهلية لعمر فروخ ص ٢٩/٣٠ ، الجاهلية ليحيى الجبورى ص ١٤ ، المفصل لجواد علي ج١ ص ١٤٦ وما بعدها .

١١٨ ـ وقد تاتي اسم تهامة من التهم وهو شدة الحر ، وقد تدعى هذه المنطقة بالغور ايضا لانخفاضها (معجم البلدان لياقوت ٢/٤٣٧ و ٦/٣١١ ، صفة جزيرة العرب للهمداني ص ٥٤ وما بعدها .

١١٩ ـ ينظر عن لليمن صفة جزيرة العرب ص ٨٤ ، معجم البلدان ٥/٤١٩ ، المفصل ج١ ص ١٧٠ وما بعدها .

سبأ ـ التي عرفت بسدها العظيم ، ونجران التي كان سكانها يدينون بالنصرانية وزبيد الواقعة على الساحل الجنوبي للبحر الاحمر ، وعدن المطلة على المحيط الهندي من ناحية الغرب ، ومن هذه المدن ظفار عاصمة الحميرين وصنعاء المعروفة بآثارها ومنها قصر غمدان الشهير[١٢٠] • واليمن باعتباره متمما للجزيرة العربية فهويشتمل امتداداتها الجنوبية وهي جزء من ساحل البحر الاحمر ـ تهامة ـ وجزء من جبال الحجاز ثم هضبة تقع شرقي هذه الجبال ، وقد دعي اليمن ببلاد العرب السعيدة لخصوبته ووفرة مياهه ، فبالرغم من شحة المطر في جزيرة العرب بصورة عامة فان الرياح الموسمية كثيرا ما تسقط فوقه المطر مدرارا في الصيف لذلك كان خصيبا مزدهر الزراعة كثير الاودية ، ومن اوديته المشـــهورة واديا تبالة وبيشة ، ومن مزروعاته القمح واشجار اللبان والطيب ذات الاهمية التجارية قديما • ولوفرة خيرات اليمن بالنسبة لسائر اجزاء الجزيرة الاخرى فقد اضحى معظم سكانه مستقرين منذ القــدم فأقامــوا دولا وحضارات ونظمـا اجتماعيـــة راقية[١٢١] •

والى الشرق منه تقع عمان على الساحل الشرقي للجزيرة العربية جنوبي بلاد البحرين وتخترقها سلسلة جبال اعلاها الجبل الاخضر • وتتخلل اراضيها بعض الاودية وهي ذات مناخ حار رطب لامتدادها بجانب الساحل • اما امطارها فمعتدلة عموما وقد عرفت بعض اجزائها بالخصوبة وخاصة ما اقترب منها مــن الجبل الاخضر[١٢٢] ، وتعتبر عمان جزءا مــن العروض ، والعروض يشتمل اضافة لعمان كلا من اليمامة والبحرين وقطر والقطيف والاحساء • وتقع اليمامة

---

١٢٠ ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٤٧ وما بعدها •

١٢١ ـ وقد جاء في سورة سبا (١٥) « لقد كان لسبا في مسكنهم جنتان عن يمين وشمال كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور » •

١٢٢ ـ المفصل ج١ ص ١٧٣ •

الى الجنوب من نجد من ناحية الشرق متوغلة داخل الجزيرة وتخترقها عدة اودية اكثرها مخصب لكونها منخفضة مما يسهل تسرب المياه اليها[١٢٣] • اما البحرين فقد اختلف في تحديد رقعته ، وهو على الارجح يمتد من شمالى عمان حتى حدود العراق الجنوبية محاذيا الساحل الشرقي للجزيرة العربية[١٢٤] ، وعلى هذا الاعتبار فهو يشتمل معظم السواحل الشرقية لبلاد العرب • وتتوغل قطر داخل الخليج العربي على شكل شبه جزيرة الى الشمال من عمان ، وقد عرف اهلها باستخراج اللؤلؤ لبراعتهم في الغوص في اعماق المياه ، وقطر بلاد تكثر فيها الصحارى التي تتخللها بعض الواحات ، وتصلح بعض اراضيها للزراعة عندما يصيبها المطر • والى الشمال منها بامتداد الساحل تقع بلاد القطيف والاحساء ، وقد عرفت بخصوبتها وازدهار زراعتها لوفرة ما فيها من مياه الآبار والعيون ، وتعتبر منطقة العروض – التي دعيت كذلك لاعتراضها بين نجد واليمن – من اخصب بلاد العرب لكثرة المياه في اعماقها ، وتكون هذه المنطقة الحدود الجنوبية الشرقية لبلاد نجد • ونجد هضبة تنهد وسط الصحراء العربية[١٢٥] واكثر ما ترتفع في الغرب حيث يحدها الحجاز بينا تأخذ بالانحدار كلما اتجهت نحو الشرق لذلك عرف جزؤها المجاور للحجاز بالعالية لارتفاعه بينما عرف ما اقترب منها في العراق باسم السافلة لانخفاضه ، ومن اجزائها الاخرى الوشوم في الشرق والقصيم في الشمال[١٢٦] • وفي هضبة نجد عدة جبال اشهرها جبلا اجأ وسلمى المعروفان بجبلي طيء[١٢٧] ، وفيها ايضا اودية كثيرة اعمها شهرة وادي الرقة •

---

١٢٣ – وتعرف اليمامة بجو ، وهو الارض المنخفضة : تاريخ الجاهلية لعمر فروخ ص ٢٦ ، المفصل ج١ ص ١٧٨ •

١٢٤ – المفصل ج١ ص ١٧٦/١٧٧ •

١٢٥ – ومعنى نجد هو المرتفع من الارض •

١٢٦ – القصيم رمل ينبت الغضا ، وهو نوع من الشجر عرف اهل نجد به •

١٢٧ – ويعرفان ايضا بجبلي شمر •

وبلاد نجد ذات طبيعة طيبة المناخ ومما يلطفها ريح منعشة تعرف بالصبا احبها الشعراء العرب كثيرا وتغنوا بها بيد ان هذه الطبيعة كثيرا ما تسوء نتيجة لهبوب ريح اخرى تكون بالغة الحرارة تعرف بالسموم • وقد اشتهرت بعض مناطق نجد بوفرة مياهها وخاصة منطقة وادي الرمة والاجزاء المحاذية للمرتفعات والجبال(١٢٨) لذلك كانت هذه البلاد وافرة الخيرات عموما ، تنتشر فيها الواحات العامرة بأنواع الزروع •

وبالرغم من تعدد المناطق الخصيبة في الجزيرة العربية فان مما يتوجب فهمه هنا ان مثل هذه المناطق لاتعتبر ذات بال بالنسبة لاتساع رقعة الصحراء التي تشتمل معظم مساحة الجزيرة وتتميز بقسوة الطبيعة التي لاتساعد على ازدهار الحياة •

---

١٢٨ - تكثر المياه الجوفية في وادى الرمة بينما تنحدر المياه من المرتفعات والجبال وخاصة من جبلي طيء (اجا وسلمى) •

الفصل الثاني

بيئة العرب الطبيعية :

العرب صحراويون بطبيعتهم لشحة موارد المياه في بلادهم لذا غدت هذه البلاد المترامية الاطراف ضنينة على ساكنيها بالقوت والحياة الرخية •• ومن المؤكد ان البيئة الطبيعية هي التي تلون حياة الناس في شتى المجالات لذلك كان الاختلاف بينهم في غاية الوضوح وهو يتجلى في التركيب الجسمي واللون والتطلعات الاجتماعية وفي أمور عديدة اخرى • وانطلاقا من هذا المفهوم فأن بيئه العرب تكون قد اثرت على ساكنيها تأثيرا بينا ، واذا ما اردنا ان نتبين هذا التأثير بشيء من الوضوح فلابد لنا من دراسة الملامح الطبيعية للجزيرة العربية ولو بايجاز • ومن المعروف عن بلاد العرب انها صحراء في معظمها بالرغم من احاطتها بالمياه من جوانب ثلاثة ، اذ ان امتداد سلسلة جبال الحجاز في الطرف الغربي منها وهبوب رياح السموم اللافحة عليها اضافة الى سعتها •• كل ذلك يحول دون توغل الرياح الممطرة الهابة من السواحل المحيطة بها الى داخلها وما يصل منها الى هناك لا يكاد يسد جزءا من احتياجها • ومن سمات مناخها الاخرى اختلاف في معدلات الحرارة والبرودة والجفاف والرطوبة من مكان الى آخر حسب قرب ذلك المكان من السواحل وابتعاده عنها وحسب ارتفاعه وانخفاضه ويبرز هذا الاختلاف ايضا بين فصول السنة ذاتها • فكما ان صيف جزيرة العرب شديد القساوة في حره فان شتاءها يفوقه قساوة في برودته ومثل هذا يتجلى في طقس اليوم الواحد ، بين النهار المتقد في حرارته والليل المتميز ببرودته ، وعموما فان بلاد العرب تتميز بالحرارة الجافة الا في السواحل حيث تمتزج شدة الحرارة بالرطوبة فتخلق جوا صعب الاحتمال • وتشتمل جزيرة العرب انواع من الرياح تختلف باختلاف المواسم والمناطق التي تهب منها وهي عادة حادة المهب متطرفة فيها تتميز به من حرارة وبرودة ، واقسى هذه الرياح حرارة وجفافا هي الرياح الصيفية المدعوة بالسموم التي تسلب رطوبة الهواء وتترك عند هبوبها ارضا مجدبة وجوا

ممحلا لا يطاق • ونقيضها الرياح الشمالية التي عرفت ببرودتها البالغة لمرورها بمرتفعات اشتهرت بهذه الصفة[١٢٩] لذلك كره العرب فصل البرد في جزيرتهم وخاصة في الاقسام الصحراوية منها لاشتداده هناك ولذلك ايضا كان الكرم محببا عندهم في هذا الفصل نظرا للجدب الذي يصحبه[١٣٠] •

ولئن كانت معظم الرياح التي تهب على الجزيرة العربية تتميز بقسوتها فثمة ريح واحدة تعشقها العرب لما يصحبها من جو منعش طري الهواء • تلك هي الريح الشرقية المدعوة بالصبا[١٣١] وقد تأتى عشق العرب لهذه الريح نظرا لما تعانيه بلادهم ـ والبادية منها بصورة خاصة ـ من جدب مطبق وحرارة لافحة وندرة في اعتدال الطقس وذلك ما جعلهم يسهبون في التغني بها وقد اجمل الدكتور جواد علي هذا المعنى بقوله «وقد يعجب الغريب من تغزل العرب بريح الصبا ومن مدحهم لها الى حد الافراط فليس في اشعار العالم ولا في نثرهم شعر او نثر فيه هذا القدر من التغزل بريح من الرياح والسبب في ذلك هو قسوة الصحراء وجوها المقيت لذلك انبهر سكانها بريح الصبا عند هبوبها ليلا في ظهور القمر»[١٣٢] ، ولما كان الجو الذي يشتمل بلاد العرب ممحلاً الى هذا الحد فقد اصبحت المياه املا عزيزا يسعى اليها العرب جاهدين واهم مصدر لها هو المطر نظرا لشحة مصادرها الاخرى في هذه البلاد بيد ان الطبيعة كثيرا ما تكون ضنينة في اطلاقه فقد ينحبس عن مناطق من الجزيرة عدة مواسم فتكون الحياة فيها بالغة الصعوبة ، وهذا ما يحدث كثيرا في الحجاز وفي مناطق نجد ، اما داخل الجزيرة ـ وهو صحراء في اكثره ـ فانه اشد جدبا وخاصة في صحرائه الجنوبية • وبالرغم من غلبة الجفاف على معظم اجزاء الجزيرة فثمة اجزاء اخرى منها تظفر الى حد ما بنعمة المطر وتتمثل اهمها ببلاد اليمن المشمولة بالرياح الموسمية الممطرة الهابة من شرق افريقيا وبمعظم السواحل وخاصة الغربية منها وكثير من المرتفعات كالجبل

---

١٢٩ ـ وهذه المرتفعات هي مرتفعات الاناضول وسوريا ، واكثر ما تهب هذه الرياح على الحجاز •

١٣٠ ـ وفي هذا المعنى تقول الخنساء :

وان صخرا لوالينا وسيدنا   وان صخرا اذا نشتو لنحار « الديوان »

١٣١ ـ وكثيرا ما تنعم نجد بهذه الرياح وكذلك الحجاز •

١٣٢ ـ المفصل للدكتور جواد علي ج ١ ص ٢١٤ •

الاخضر في عمان وجبل شمر في هضبة نجد وجبال اليمن وغالبا ما تتخلل هـذه المرتفعات مناطق تدعى بالدارات وتكون عظيمة الفائدة بفعل تجمع مياه الامطار فيها مما يجعلها صالحة للانبات • اما الصحارى فبالرغم من جفافها فان بعضها لم يحرم من نعمة المطر نهائيا وهي عند اشتمالها به تصبح هدف الاعراب المتعطشين للمرعى، والمطر وان اعتبره العرب غيثا يبعث الحياة في ارضهم المقفرة فقد يعود احيانا بعكس ما يرجى منه عندما ينهمر شديدا وبصورة غير متوقعـة فيسبب الدمـار للارض والنبات والسكان[١٣٣] • ومع قساوة هذه الظاهرة فقد افاد السكان منها لتسرب كمية من مياه الامطار الى باطن الارض ، لذا فقد وجد العرب في الاودية التي تختزن هذه المياه اثر تدفقها بها احيانا امكنة صالحة لحفر الآبار في اعماقها عند الحاجة ، والملاحظ ان بعض اجزاء جزيرة العرب غير مفتقرة الى المياه الجوفية واكثر توافر هذه المياه في اعماق الاودية كما تقدم واشهر هذه الاودية وادي الرمة في نجد ووادى القرى في الحجاز واودية اليمن وحضرموت ، وثمة اجزاء اخرى من الجزيرة العربية عرفت بوفرة هذه المياه وخاصة تلك الممتدة باتجاه الساحل الشرقي كالاحساء وقطر والبحرين وكذلك الاماكن المسماة بالجواء وهي المنخفضات التي تتجمع فيها مياه الامطار كمنخفض اليمامة الواسع ، وقد اشتهرت مناطق المياه الجوفية ذات الينابيع والآبار والعيون الثرة بملاءمتها للحياة المستقرة المتحضرة وذلك لانتشار الزروع والواحات فيها • وذكر بهذا الصدد ان الجاهليين قدر يسروا الاستفادة من هذه المياه بشق القنوات التي توصلها الى محال سكناهم[١٣٤]

ومع ما تقدم عن وجود مناطق في الجزيرة العربية معروفة باعتدال مطرها ووفرته احيانا واختزانها المياه الجوفية فان هذه البلاد بقيت شحيحة المياه وما تمتلكه منها لا يؤمن الحد الادنى من احتياجاتها وكنتيجة لهذه الظاهرة فقد اصبحت الزراعة نادرة فيها وهي اكثر ما تتواجد في الاماكن التي تتوفـر فيها مياه الامطار والمياه الجوفية ، ففي اليمن واليمامـة ومناطق الواحـات تزرع الحنطة وفي البحرين

---

١٣٣ ـ وتتحدث الاخبار عن صور من المعاناة التي كانت تصيب مكة بفعل السيول التي تسببهـا الامطار الشديدة ومثل ذلك حدث في المدينة وفي مناطق الجزيرة الاخرى (المفصل ج ١ ص ٢١٥) •

١٣٤ ـ المصدر السابق ص ١٦٣ •

والحجاز ـ وخاصة في وادي القرى والمدينة وخيبر وفدك ـ يزرع الشعير ، ويزرع الرز في عمان والاحساء والذرة في عسير • وتجود الواحات بانواع من الفواكه كالليمون والبرتقال والكروم والتفاح والموز ومنها ما يمكن الحصول عليه في اليمن وفي بعض مناطق الحجاز الخصيبة كالطائف المعروفة بكرومها وبصناعة النبيذ فيها ، ولكن مثل هذه المزروعات ـ من حبوب وفواكه وغيرها ـ غير وفيرة في الجزيرة العربية وتتميز بها الاماكن الخصيبة الغنية بالمياه ـ وهي قليلة كما هو معروف ـ اما اهم شجرة في هذه البلاد واكثرها انتشارا فهي النخلة لما عرف عنها من استطاعة على مغالبة الجدب وقد ارتبطت بحياة العربي ارتباطا وثيقا لما وجده فيها من مظاهر متعددة للاستفادة من ثمرها ـ التمر ـ وهو اصلح طعام يمكن ان يصاحبه في حياة البادية مدة طويلة دون ان يتلف ومنه صنع خمرته ومن نواته اطعم حيوانه اضافة الى استفادته من اجزاء النخلة الاخرى سوى ثمرها في كثير من شؤون حياته ، وتنمو هذه الشجرة في كثير من اجزاء الجزيرة وخاصة في الواحات ومناطق الحجاز والبحرين سيما منطقة هجر منها ، وثمة انواع من الاشجار انفردت بها بلاد العرب الجنوبية وهي اشجار الطيب التي كان لمنتوجها اهمية تجارية كبيرة في الماضي وكانت تنتشر بوفرة في مهرة وعسير وحضرموت وفي اجزاء كثيرة من بلاد اليمن حيث يستخرج منها انواع من البخور واللبان والصموغ • اما نباتات البوادي فهي لا تتجاوز انواعا من الحشائش وبعض الاشجار الصحراوية الضخمة • ومع ان الصحارى تزدهر بالخضرة اثر سقوط المطر فان هذه الخضرة لا تلبث ان تزول لتعود الارض جرداء مجدبة لذلك كان الاعراب يترقبون هذه الفرصة العزيزة لاشباع مواشيهم من كرم الارض المفاجيء ولذلك ايضا كانت الواحات القليلة التي تميس مزدهرة بالخضرة والماء وسط القفر محطا يركن اليه البدوى عبر رحلته المضنية في بلاد لا تعرف الرخاء • اما الاشجار الصحراوية فهي متعددة ومن انواعها السدر والاثل والاراك والغضا والطلح والغرب وسواها ولكل من هذه الاشجار فوائد معينة يمكن اجمالها بالاستفادة من ظلها عند عبور الصحراء وبجني ثمرها الصالح للاكل وباستعمال خشبها وقودا جيدا او بصنع القسي والسهام من تفرعاتها اضافة الى ان الابل قد

تجد في بعضها اماكن صالحة للرعي ، ومن نباتات الصحراء الكمأة التي تستعمل طعاما وانواع من الازهار البرية الطيبة الرائحة كالعرار وامثاله • وكما ان نباتات جزيرة العرب قد عرفت بالندرة بفعل الاثر القاسي للطبيعة المجدية فأن الحيوان في هذه البلاد ماثل ندرة النباتات فيها لذات الاثر الطبيعي والمشهور منه ما لاءم بيئة الصحراء ، ومفتتح قائمة الحيوان في هذه البيئة هو الجمل المركب السهل في المفازة الصعبة ، فالجمل سفينة الصحراء بحق ومنتهى ما يصبو اليه بدوى حرم الماء والطعام والمأوى لوجود المنافع المذكورة فيه ، فأحشاؤه معين ماء ولحمه طعام ووبره سكن وليس من كلام يقتضب تلك المنافع ابلغ من قوله تعالى «والانعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون وتحمل اثقالكم الى بلد لم تكونوا بالغيه الا بشق الانفس ان ربكم لرؤف رحيم»[١٣٥] والى جانب الابل توجد الخيل التي يعتز بهـــا العربي كثيرا فهو يهتم بتسلسل نسبها ويأنف الهجين منها فتراه في شعره ونثره مفتخرا بها ايما افتخار لعظيم فائدتها عنده فهي وسيلة رحلته وعونه في غزوه وحربه على تحقيق السلب والانتصار لتميز الجواد منها بالسرعة الفائقة وهي ايضا اداة لهوه ومقامرته في حلبة السبق ، بيد انها عزيزة الاقتناء لا يتحمل كلفتها الباهظة الا من رزق بسطة في اليد • ومن الحيوانات الاليفة التي استفاد منها المستقرون من ساكني الجزيرة الاغنام والابقار والحمير والبغال والماعز بينا قلت استفادة البادين منها تبعــا لظـروف بيئتهم التي لاتساعد على اجتنائها • وفي الجزيرة عدة انواع من الحيوان الوحشي كالذئاب والثعالب والوعول والضباع واليرابيع وذكر ان الاسود والنمور كانت موجودة فيها ثم انقرضت[١٣٦] • وسوى ما تقدم فثمة انواع اخرى من الحيوان في بلاد العرب اشهرها الكلاب التي افاد منها البدوي في الحراسة والصيد والطيور بنوعيها الجارحة كالنسر والصقر والبازي والعقاب وغير الجارحة كالقطا والهدهد والعنادل والغربان ، وهناك الجراد الذي يأتي على الزروع فيسبب كارثة لاصحابها بالرغم

---

١٣٥ ـ النحل ٥/٨ •

١٣٦ ـ وقد ورد للاسد ذكر في الشعر الجاهلي وعرفت اجمته بالمأسدة ويعتقد ان جزيرة العرب احتوت عددا من المآسد قديما •

من استفادة البادين منه في طعامهم والزواحف السامة واشهرها الافاعي التي يكثر تواجدها في الصحارى وخاصة في صحراء النفود • وتوجد في المياه المحيطة بمعظم بلاد العرب انواع من الحيوانات المائية ـ كالاسماك وسواها ـ التي وجد فيها الساحليون خير طعام •

تلك هي اهم الملامح الطبيعية لجزيرة العرب ذكرتها ابتغاء رسم صورة تحاكي صورتها الاصلية اما مدى تأثيرها على ساكنيها في المهم من نواحي الحياة فانه يبرز جليا في عديد من الامور اهمها ان هذه البيئة جعلت من معظم هؤلاء الساكنين بدوا مرتحلين يتسابقون للاستئثار بمصادر الرزق من ماء وخضرة الا اقلية حضرية منهم حبتها الطبيعة شيئا من الرغد في العيش فاستقرت في المدن والقرى •

ولهذه البيئة اثر في الصفات الجسمية لهؤلاء السكان فهي التي اضفت عليهم سمرة قاتمة وجعلتهم ضامرين اشداء يحاكون الصحراء في تكوينهم الجسدي فجسم البدوى لدى التشريح ـ كما يذكر حتي ـ ليس «سوى حزمة من الاعصاب الحساسة والعظام والعضلات فكأنه مثال لجدب الارض وقحطها»[137] • ولها ايضا تأثير نفسي يبرز من خلال ما تطبع عليه البدوى من قيم اجتماعية ، فبفعل قسوة طبيعة بلاده وقلة مواردها اصبح شديد التعصب شغوفا بالحرية ذا افق غير متسع محاربا ميالا الى الخصومة وهو الى جانب ذلك منفعل بما حوله من الاشياء في كثير من شؤون حياته يعكس بامانة ما في بيئته من مظاهر فلغته مثلا حافلة بما يتواجد في البيئة الصحراوية من نبات وحيوان ووديان وسيول ورياح ضنينة فيما يبتعد عن هذه البيئة من اشياء كالانهار والبحار والامواج • فلارتباط الخضرة بالعشب الذي هو رمز الحياة في البادية فقد احبها واكثر من اسمائها بينا اهمل

---

١٣٧ ـ تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ٣٠ •

اللونين الأحمر والاسود لارتباطهما بما كره[١٣٨] وهذا ينطبق على الاسماء والنعوت التي اطلقها على الابل فهي من الكثرة مما يصعب الاحاطة بها ومثل ذلك يلمس عند ذكره السيف والرمح وادوات القتال الاخرى وعموما فتلك ظاهرة تحكمت بها البيئة الصحراوية فجعلت المفردات اللغوية طوعا لها فهذه المفردات واسعة فيما يتعلق بالصحراء وظروفها ضيقة فيما عدا ذلك[١٣٩] • وقد راعى القرآن الكريم موضوع البيئة عند مخاطبته العرب فلاهمية المياه عندهم نظرا لجفاف بلادهم فقد وعد المؤمنين منهم بجنات تجرى من تحتها الانهار «وادخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها بأذن ربهم تحيتهم فيها سلام»[١٤٠] اما الكفار فقد حرمهم مثل هذه النعمة ورسم صورا حية لتحسرهم عليها منها « ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة ان افيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا ان الله حرمها على الكافرين[١٤١] •

وتتواتر في القرآن الكريم مثل هذه الصور متوعدة الكفار بالنار والحميم مؤملة المؤمنين بجنات وافرة المياه والخضرة وطيب الثمر وبكل ما افتقده الجاهليون في صحرائهم من نعم • ويتضح تأثير البيئة العربية بجلاء من خلال النصوص الشعرية التي خلفها الشعراء الجاهليون ، فمن استعراض دقيق للشعر الجاهلي تبدو الصورة المتكاملة لهذا التأثير «فالشعر الجاهلي لم يسم الى الذروة الفنية العالية التي بلغها الا لكونه تنفيسا صادقا ملتهبا وتصويرا دقيقا مخلصا وفيا لبيئة الجاهليين[١٤٢] ففي هذا الشعر وصف شامل لكل ما احتوته بلاد العرب

---

١٣٨ ـ ينظر المخصص لابن سيدة ـ فصل الالوان ـ وفجر الاسلام لاحمد امين ص ٥٧ وما بعدها • ويمكن القول بان البدوي قد كره اللون الاحمر لعدة اسباب اهمها ان الرياح العاتية كانت تهب على بلاده محملة باتربة الصحراء الحمراء ثم ان الحيوانات المفترسة التي كان يخشاها يميل لونها الى الحمرة ، وقد يكون السبب في ذلك لارتباط الحمرة بالدماء التي كثيرا ماكانت تسيل اثناء الحروب والغارات بين سكان البادية لذا فقد مقت البدوي هذا اللون الموحي بالموت • وهو قد مقت اللون الاسود ايضا لارتباطه بشدة الحرارة التي عرفت بها بلاده وهو امر انتبه اليه ابن خلدون عندما رفض ما ذهب اليه النسابون من ان حام قد اسود لونه لدعاء ابيه عليه ورأى ان سبب ذلك راجع الى عوامل البيئة ـ الحرارة الشديدة ووهج الشمس ـ (مقدمة ابن خلدون ص ٨٢ وما بعدها) •

١٣٩ ـ ودليل على ذلك هو ان ابن سيدة افرد جزءا كاملا من قاموسه المخصص ذكر الابل وصفاتها وما يتعلق بها من امور اضافة الى ان الاصمعي له كتاب خاص بها ايضا •

١٤٠ ـ ابراهيم / ٢٣

١٤١ ـ الاعراف / ٥٠ •

١٤٢ ـ الشعر الجاهلي ـ منهج في دراسته وتقويمه ـ للدكتور محمد النهويهي ج٢ ص ٨٨٤ •

من حيوان ونبات وما اشتملت عليه من مظاهر الطبيعة كالمطر والجفاف والرياح وسواها ، ومن خلاله تبدو افكار الشاعر في شتى المجالات مستلهمة مما يدور حوله من اشياء • فالشاعر الجاهلي في غزله مثلا يستعير اوصافا للمرأة مما يتواجد في بلاده من حيوان وسواه ، فعنده ان المرأة الجميلة هي من كانت بخفة الظبي ورشاقته ونفوره والتي تحاكيه في بعض اجـزاء جسـمه وخاصـة العينين لاشتهارهما بالسعة وحدة اللحظ ، يقول امرؤ القيس[١٤٣] :

تصـد وتبـدى عـن اسيل وتتقي　　بنـاظرة من وحش وجرة مطفل

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش　　اذا هـي نصتـه ولا بمعطـل

او هي عنده كالقطا او كالبقرة الوحشي او حتى كالناقة في بعض اوصافها كما في وصف عمر بن كلثوم محبوبته[١٤٤] :

تـريك اذا دخلت عـلى خـلاء　　وقـد أمنت عيـون الكاشـحينا

ذراعـي عيطـل ادمـاء بكـر ••　　هجـان اللـون لم تقـرأ جنينـا

او قد يستلهم اوصافها مما ألفه من مشاهد طبيعية كتشبيه امرىء القيس شعر المرأة بقنو النخلة[١٤٥] :

وفـرع يزين المتن اسـود فاحم　　اثيث كقنـو النخـلة المتعثـكل

وقد مر بنا قبل حين بان العرب قد احبوا قسما من الالوان وكرهوا قسما آخر منها بايحاء من بيئتهم ، وقد صور الشاعر الجاهلي هذه الناحية في مناسبات عديدة ، قال النابغة الذبياني مظهرا اللونين الابيض والاخضر سمة النعماء والترف عند مدحه الملوك الغساسنة[١٤٦] :

يصونون اجسادا قديما نعيمهـا　　بخالصـة الاردان خضـر المناكب

---

١٤٣ ـ امرؤ القيس ـ المعلقة •
١٤٤ ـ عمرو بن كلثوم ـ المعلقة •
١٤٥ ـ امرؤ القيس ـ المعلقة •
١٤٦ ـ ديوان النابغة ص ١٢ •

وذات الشاعر ينكر اللون الاسواد جاعلا من الغراب الموصوف بهذا اللون نذير شؤم وفرقة[١٤٧] :

زعم البوارق ان رحلتنا غــدا وبذاك تنعـاب الغـراب الاسـود
لا مرحبـا بغـــد ولا اهــلا بــه ان كان تفـريق الاحبـة في غـد

ويبدو اللون الاحمر في الشعر الجاهلي اكثر بشاعة مـن اللون الاسـود لارتباطه بالدم والقتل وقد عبر عن ذلك قيس بن الخطيم برسمه صورة منفـرة لرحلة حسام منذ امتشاقه لاهثا حتى عودته الى الغمـد احمر قانيا لاصطباغه بـــدم القتلى والمصابين[١٤٨] :

يعرين بيضاء حـين نلقى عدونـا ويغمدن حمرا ناحـلات المضارب

ومن صور الطبيعة التي كلف بها الشاعر الجاهلي وابرزها في شعره بكثرة صورة المطر وما يصاحبه من برق وما يتبعه من سيول لما للمطر من اهمية اقتصادية لديه ، قال امروء القيس مجسما هذا المعنى بشغف بين[١٤٩] :

اصـاح ترى برقا اريك وميضــه كلمع اليـدين في حبـي مـكلل
يضيء سـناه او مصـابيح راهـب امـــال السليط بالـذبال المفتـــل
قعـدت لــه وصحبتي بين ضـارج وبـين العـذيب بعـدما متأمـــل
على قطن بالشـيم أيمن صوبـــه وايســره عـلى السـتار فيـذبل
فأضحى يسح المـاء حول كتيفـــه يكب على الاذقـان دوح الكنهبـل
ومر على القنـان مـن نفيـــانه فانزل منه العصـم من كل منـزل
وتيماء لـم يترك بهـا جذع نخلة ولا اطما الا مشـيدا بجنــدل

---

١٤٧ ـ تنظر معلقته ٠
١٤٨ ـ ديوان قيس ص ٣٤ ٠
١٤٩ ـ امرؤ القيس ـ المعلقة ٠

وكثيرا ما جعل الشاعر الجاهلي من المطر وسيلة دعاء ، فجل مـا يرجوه لممدوحه هو الاستسقاء منه وقد يتجاوز في هذا المجال الاحياء من ممدوحيه الى الاموات منهم متمنيا ان تصيبهم نعمة المطر ، وفي شعره امثلة وافرة لذلك كما في رثاء المهلهل اخاه كليبا[١٥٠] :

سـقاك الغيث انـك كنت غيثـــا ويسراً حـــين يلتمس اليســـار

وسوى ما تقدم فان الشعر الجاهلي رسم صورا حية اخرى لبيئة العرب وتأثيراتها على السكان لا يبدو المجال متسعا لها بيد ان الذي لابد منه هو اشـارة مقتضبة الى اثر هذه البيئة في جعل اكثرية الشعراء الجاهليين يغلبون شعر الحرب على سواه من الاغراض الشعرية الاخرى • فثمة اسباب متعددة جعلت مـن ساكن جزيرة العرب رجل حرب يرى في الغزو وما يصاحبه من قتل ونهب قيما اجتماعية مقبولة ، وابرز هذه الاسباب ما كان اقتصاديا ، فبلاده الشحيحة الموارد جعلته يخاصم الآخرين في سبيل الفوز بمرعى او بمصدر ماء وهما وسيلتا الحياة العزيزتان له ولماشيته في البادية • اضافة الى ان قيما اجتماعية اخرى قد اصطلح عليها كانت مدعاة لاثارة المنازعات والحروب وهي في حقيقتها لاتستوجب اراقة الدماء كالاخذ بالثأر والتعصب القبلي والحمية المتناهية والغضب لما اتفق عليه بانه ثلم للكرامة والشرف لذلك اكبر البطولة التي قد تصل الى حد الاعتداء ووجد في المخاصمة المنفذ الوحيد لحفظ حياته المهددة من الاخرين في بلاد لا تعرف اليسر والاطمئنان ، فكان طبيعيا ان يبدو من خلال شعره قلقا مترقبا صولة الاعداء مبتدرا بالعدوان خوفا من ابتداره به ، قال زهير بن ابى سلمى في ذات القصيدة التي بدا فيها داعية سلام[١٥١] :

---

١٥٠ – ايام العرب في الجاهلية ص ١٥١ •

١٥١ – وهي معلقته المشهورة التي شجب فيها تقاتل عبس وذبيان وعظم سعي هرم بن سنان والحارث بن عوف بدفع ديات القتلى وانهاء الخصومة الدامية التي طحنت القبيلتين طويلا وفيها يقول مبشعا الحرب •

وما الحـرب الا ماعلمتم وذقتـم وما هـو عنها بالحديث المرجـم
متى تبعثوهـا تبعثوهـا ذميمـة وتضـر اذا ضريتموهـا فتضـرم
فتعرككم عـرك الرحى بثفالهـا وتلقح كشـافا ثم تنتج فتتئـم
فتنتـج لـكم غلمان اشأم كلهـم كاحمر عـاد ثم ترضـع فتفطـم
فتغلل لـكم ما لا تغـل لاهلهـا قـرى بالعراق من قفـيز ودرهـم

ومن لا يذد عن حوضه بسلاحه   يهدم ومن لا يظلم الناس يظلم

وعند هذا الشاعر ايضا ان منتهى الشجاعة والجرأة في ابتداء الناس بالظلم :

جرىء متى يظلم يعاقب بظلمه   سريعا وان لا يبد بالظلم يظلم[١٥٢]

لذا فقد أصبح الشاعر الجاهلي قديراً باجادة على رسم المشاهد الحربية الموحية لما تثيره الحرب من عواطف ملتهبة ، فانطلق في لحظات خيالة مصورا المعركة في شتى ادوارها واصفا ادوات القتال فيها أدق وصف معظما النصر ومبررا الخسارة وقديما ادرك ابن سلام عظيم التأثير النفسي للحرب على الشاعر فوجد ان الشعر يزدهر عند احتدام المعارك ويقل عند خبوتها وسيرد تفصيل ما عناه في موضع آخر من البحث •

وعموماً يمكن القول بأن الشعر الجاهلي يرسم في معظمه صورة معبرة لحرب مستمرة الاوار تتطاير فيها الرؤوس وتتدفق خلالها الدماء ، يقول دريد ابن الصمة مهولا هذه الصورة[١٥٣] :

نجذ جهاراً بالسيوف رؤوسهم   وارماحنا منهم تعل وتنهل

وذات الصورة تبدو في قول عمرو بن كلثوم[١٥٤] :

نجذ رؤسهم من غير بر   فما يدرون ماذا يتقونا
كأن سيوفنا منا ومنهم   مخاريق بأيدي لاعبينا
كأن ثيابنا منا ومنهم ••   خضبن بأرجوان أو طلينا

ومن الشعراء الجاهليين من يجد في اثارة عوامل الحرب وان كانت هامدة مبعث فخر ودليل شجاعة ، وقد عبر عامر بن الطفيل عن هذا المعنى في قوله[١٥٥] :

وأنا ابن حرب لا أزال أشبها   سعراً وأوقدها اذا لم توقد

---

١٥٢ ــ المعلقة •
١٥٣ ــ شعر الحرب للدكتور علي الجندي ج١ ص ٤٨٣ •
١٥٤ ــ المعلقة •
١٥٥ ــ عامر بن الطفيل ــ الديوان ــ ص ١٤٥ •



عبر عنتره عن أعلى مراحل الشهامة الجاهلية في خوض الحرب في قوله[١٦٠] :

يخبرك من شـهد الوقيعة انني　　أغشى الوغى وأعف عند المغنـم

ومهما عرف عن الجاهلي من حب للغـزو وتطرف في فهم للامـور ودأب على التنقل فانه قادر على تجاوز مثل هذه القيم متى منحته البيئة الدعة والاطمئنان، ويعزز هذا الرأي قيام حضـارات رائدة ودول ذات أنظمـة اجتماعية راقيـة في أجزاء من جزيرة العرب استقرت بها الحياة بفعل عطاء الطبيعة ٠

حياة العرب السياسية :

تبينا في الفصل السابق ما لبيئـة العرب الطبيعية من فعـل بالغ بسكانها الى الحد الذي جعلتهم يحاكونها في المهم من صفاتهم الجسمية والنفسية وغيرها ، ولم تكن النظرات السياسية لاولئك السكان بمنأى عن تأثيرات تلك البيئة ، فقد تلونت بها وكان تحكمها بادياً من خلال النظم السياسية التي سادت الجزيرة العربية منذ أن اتضح شيء من تأريخها البعيد ٠ ففي المناطق التي حبتها الطبيعة رخاء اقتصادياً وخاصة في الاجزاء الجنوبية منها نشأت دول متحضرة عديدة بينا تحكمت البداوة وتعصب القبيلة بصحارى الوسط والشمال تبعاً لجدب الطبيعة ، وقد يكون ابتعاداً عن البحث الايغال في عصور قصية من تأريخ الجزيرة العربية لاستجلاء ما ساد فيها من دول وممالك وامارات ونظم سياسيـة ، اذ المهم هنا هو تلك الحقبـة من الجاهلية القريبة من الاسلام غير المبتعـدة عنه أكثر من قرنين والتي حدثت فيهـا معظم أيام العرب وهي غاية بحثنا ٠ بيد ان تطلعا محددا الى ما وراء هذه الحقبة قد يكون مفيـداً استكمالا للصورة التي درج عليها الباحثون في هذا المجـال واستطردا الى وراء لربط ماض بعيد بآخر أقل بعداً هو في واقعه مرتبط بسابقه بأكثر من رباط ٠ وجـرياً على ذلك فان أول مجتمع سـياسي منظـم يمكن أن يتراءى من خلال دراسة تأريخ الجزيرة العربية القـديم هو مجتمع المعينيين ، فقد أبتني المعينيون في اليمن في تأريخ يمتد الى عام (١٢٠٠) قبل الميلاد أول دولة

---

١٦٠ ـ المعلقة ٠

وقف عندها المؤرخون بشيء من الاطمئنان عند دراستهم التأريخ السياسي لجزيرة العرب ، واشتملت هذه الدولة بنفوذها التجري والسياسي معظم الجزيرةالعربية ونفذت الى ثغور البحر الابيض المتوسط وقد عثر لها على آثار في شمالى الجزيرة وفي بلاد الشام • ويبدو من خلال تصفح تأريخ المعينين انهم اقوام كانوا يسكنون العراق منذ أجيال بعيدة قبل أن يهجروا بلادهم الاولى باتجاه اليمن حيث انشأوا أقدم الحضارات العربية في تلك البلاد[١٦١] وعندما بدأ نفوذهم بالانحسار بعد عصر من الازدهار والقوة نشأت في ذات البقعة التي مدوا سيطرتهم عليها دولة جنوبية اخرى هي دولة سبأ (٩٥٠ ق ٠)[١٦٢] وقد عرف العرب هذه الدولة أكثر من سابقتها لما ورد عنها من ذكر في التوراة ثم في القرآن الكريم من بعده ، اذ تحدثت بعض آياته عن شيء من نظم الحكم لدى شعب سبأ وعن الرخاء الاقتصادي الذى كانوا يحيونه والمستوى الحضاري الذى بلغوه • ومن أهم المصادر التأريخية التي تم من خلالها تطلع حذر الى المجهول من تأريخ سبأ العثور في اليمن على شيء من آثار السبئيين وبعض الكتابات التي تركها قدماء اليونانيين عنهم ومما عزز من مكانتهم تحكمهم بطرق التجارة في ذلك العهد اذ كانت عاصمتهم مأرب المركز المهم الذى يربط قوافل التجارة المتنقلة بين الهند والحبشة جنوباً والعراق والشام ومصر شمالا لذلك فان نكبة مريعة أصابت دولة الجنوب عندما استعيض عن الطريق البري المار باليمن بالطريق البحرى بالرغم من أن كثيراً من المؤرخين يعزون أسباب تمزق مجتمع الجنوب الى انفجار سد مأرب •

وبحدود عام ١١٥ ق م تنامت دولة جنوبية اخرى ورثت العظمة السياسية والتجارية لسبأ وهي الدولة الحميرية التي تبدو وكأنها امتداد لسابقتها ، وفي ظن بعض الدارسين ان الحميرين فرع من السبئيين[١٦٣] ، ويعزز هذا المذهب تصدر كلمة ـ سبأ ـ لالقاب ملوك الدولتين • فبينما اطلق السبئيون على ملوكهم

---

١٦١ ـ ينظر العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١١٥ وما بعدها •

١٦٢ ـ المصدر السابق ص ١٢١ وما بعدها وتاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ٧١ وما بعدها •

١٦٣ ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ١٣٦ ، تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص ٧٣ •

لقب مكرب سبأ ثم ملك سبأ فيما بعد [164] اطلق الحميريون على ملوكهم القاب « ملك سبأ وذو ريدان وملك سبأ وذو ريدان وحضر موت » وتوسعوا في هـذه الالقاب بما أضافوه اليها من أسماء البلـدان التي أوقعوها في قبضتهم مع ابقـائهم كلمة سبأ في الطليعة منها • ويؤخذ مما أورده المؤرخون ان الحميريين كانوا قد حكموا الجنوب مـدة تزيد على الستة قرون وهؤلاء المؤرخون اصـطلحوا على تقسيم هذه المدة الى عهدين يمتد الاول منها منذ نشـوء الدولة حيث كان اللقب الملكي ـ ملك سبأ وذو ريدان ـ حتى عام ٣٠٠ للميلاد وعنده يبدأ العهد الثاني وذلك بضم حضرموت وسـواها الى اللقب المتقـدم • وقد اشتهرت هذه الدولة كسابقتها في مجال التجارة الا أن شهرتها كانت أوفر في مجال الحرب لخوضهـا حروباً مريرة ضـد الاحباش الذين دخلوا اليمن غازين غير مرة كان آخرهـا عقب اقدام ذي نؤاس آخر ملوك الحميرين الذى اعتنق الديـانة اليهودية على احراق النصارى رافضي ديانته وذلك بحدود عام ٥٢٣ م [165] • ومما يذكر في هذا الشأن ان الامبراطور الروماني كان قد أوعز لنجاشي الحبشة بهذا الغزو انتقاماً لما حل بنصارى اليمن من تقتيـل ، وقد انتصر الاحباش في غزوتهم ومدوا سيطرتهم أثرها على اليمن حتى عام ٥٧٥ م •

وليس تجنياً الاعتقـاد بأن انتصـار الروم لنصـارى اليمن المضطهدين هو مجرد ادعاء لستر حقيقة الاحتلال الحبشي ذي المرمى السياسى الابعد • فلأهمية الموقع الجغرافي لليمن سعى الروم لابعاده عن سيطرة الفارسية بتشجيع أعوانهم الاحباش على احتلاله نظراً لما بين الامبراطوريتين الرومانية والفارسية من تنافس شديد على توسيع السلطة ، وقد وجد الاحباش في ذلك مناسبة لتأكيد سيطرتهم على هذه البلاد ذات الاهمية الحربية والتجارية لديهم بدليل ان الاحباش أنفسهم

---

١٦٤ ـ اطلقت لفظة مكرب على ملوك دولة سبأ الذين كانوا يجمعون بين السلطتين الدينية والسياسية وعندما تجردوا من السلطة الاولى في طور دولتهم الثاني اطلق عليهم لقب ملك فقط (تاريخ العرب لفيليب حتي ج١ ص٧١/٧٢ •

١٦٥ ـ وفي ذلك يقول تعالى في سورة البروج ٤ـ٩ « قتل اصحاب الاخدود النار ذات الوقود اذ هـم عليها قعود وهم على ما يفعلون بالمؤمنين شهود وما نقموا منهم الا ان يؤمنوا بالله العزيـز الحميد الذي ملك السماوات والارض واللـه على كل شيء شهيد •• »

كانوا قد احتلوا اليمن قبل احتلالهم الاخير له بما يقارب القرنين وبدفع من الروم ايضاً في وقت لم تكن تربطهم بالروم رابطة الدين لعدم اعتناقهم المسيحية آنذاك مما يؤكد ان تعاونهما كان ذا مرام سياسية واقتصادية هدف الروم الاول منه هو الحد من التوسع الفارسي • وتستروا بنشر المسيحية سعى الاحباش أثناء حكمهم اليمن الى مد سيطرتهم على اجزاء اخرى من الجزيرة العربية ، فقد حاول أبرهة أحد قواد غزوة اليمن احتلال مكة بيد ان حملته انتكصت وأعزالله بيته •

وبحدود عام ٥٧٥ م استغل أحداليمنيين الشجعان(١٦٦) ظروف العداء بين الروم والفرس فاستنصر الفرس لانقاذ بلاده من سيطرة الاحباش المتعاونين مع الروم وقد استجاب الفرس مستبشرين لهذه الدعوة أملا بانهاء نفوذ الرومالمتمثل بالسيطرة الحبشية على هذه البلاد والحلول محلهم فأمدوا اليمنيين بجيش ساعدهم على قهر الاحباش ، بيد ان أمل اليمنيين بالاستقلال لم يتحقق نظراً لاستبداد الفرس بالسلطة •

وعموماً فقد شهد اليمن قبل الميلاد وبعده وحتى مجيء الاسلام كثيراً من الصراعات السياسية تمثلت بتنافس اليمنيين أنفسهم على السلطة وبتنافس الدول الكبرى للسيطرة عليهم • وهم برغم ذلك استطاعوا أن يقيموا في أكثر الاحيان مجتمعات منظمة وان يمدوا سيطرتهم الى كثير من أجزاء الجزيرة العربية بما كان لهم من نفوذ سياسي واقتصادي •

وكما عرف جنوبي الجزيرة العربية نظام الدولة فان شماليها قد عرفه ايضاً اذ قامت فيه دولتان حظيتا بشيء من التطور الاجتماعي والسياسى والاقتصادى وهما دولتا الانباط وتدمر(١٦٧) • وقد ورد ذكر للانباط في التأريخ القديم حوالى القرن السادس قبل الميلاد • وكانت بلادهم تقع الى الجنوب من فلسطين باتجاه الشرق حيث تلتقي ببادية الشام بينما يحدها الحجاز من الجنوب • واشتهرت عاصمتهم البتراء كمركز تجارى مهم تحط فيه قوافل التجارة الناهدة

---

١٦٦ - وهو المعروف في التاريخ العربي باسم سيف بن ذي يزن •

١٦٧ - ينظر عن تاريخهما العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٧١ وما بعدها •

من الجنوب في رحلتها الشاقة الى الشمال باتجاه شواطيء البحر الابيض المتوسط ويتزود المار بها في مثل هذه الرحلة بما يحتاج اليه من مؤونة وخاصة الماء لتوفره فيها • وسبب آخرجعلها مشهورة عبرالتأريخ وهو روعة بنائها الصخري الفريد، فقد نحتت مبانيها في الصخر بعناية ولا تزال تلك الروعـة خالدة حتى الآن بما بقي من آثارها • وظلت مملكة الانباط قوية بموقعها الحصين وسيطرتها التجارية المكينة الى ان أصحت هدفاً للغزو الروماني • وقد جاهد الانباط كثيرا للابقـــاء على حيـاة مملكتهم بيد انها ســقطت أخــيراً بأيدى الرومانيين بحــدود عـام ١٠٦ للميلاد •

أما التدمريون فقد أقاموا مملكتهم في بادية الشام الى الشمال الشرقي من المكان الذى قامت عليه مملكة الانبـاط • وقد ازدهرت حاضرتهم تدمر لتحكمها بسبل التجارة في ذلك العصر وخاصة بعد سقوط البتراء ، وما بقي من آثار هذه الحاضرة يصور العظمة التي كانت عليها ، ولخطورة الموقع السياسى والاقتصادى لمملكة تدمر فقد طمع للسـيطرة عليهـا كل من الرومانيين والفرس بيـد انها استطاعتان تدارىهذه الاطماع بحكمة وان توطدسيطرتها السياسية والتجارية• وكانت اروع عصورها بحق تلك التي حكم فيها أذينة ومن بعده زوجته الجريئة زنوبيا فقد استغل اذنيه انحيازه الى الرومان ومحاربته الفرس الى جانبهم لاحكام سيطرته على بلاد الشام ومصر ومعظم أجزاء الجزيرة الشمالية بيد انالرومانيين لم يطمئنوا الى تعاظم قوة حليفهم خشية تمرده عليهم فغدروا به وهنـا قامت بأمر السلطة غير واهنة زوجته زنوبيا التي وقفت نداً صعباً أزاء الرومانيين عاملة بتحد على توسيع مملكتها ، ولما تأكد الرومانيون منخطورة تحديها انبرى امبراطورهم اورليانوس لمحاربتهـا فهزمها عـام ٢٧٢ م عقب مقـاومة أبدت فيهـا ضروباً من الشجاعة خالدة •

واذا ما تجاوزنا الصورة المتقـدمة لنظام الدولة في بلاد العـرب التي تبدو باهتة الملامح لابتعاد الزمن ولشحة المصـادر التأريخية عنها وولجنا قرون ما بعد

الميلاد فسنقف عند صورة اخرى لمثل ذلك النظام تبدو أوضح من الاولى ، فان العرب الذين نزحوا من اليمن بفعل قسوة العوامل الطبيعية والسياسية وفي زمن قدره المؤرخون بالقرن الثالث الميلادى أقاموا ثلاث امارات في شمالى الجزيرة العربية هي اماراة المناذرة في العراق والغساسنة في الشام وكندة في شمالى نجد ، وقد كانت هذه الامارات بالرغم من تمتعها بالاستقلال الداخلي تعكس صور النزاع السياسى السائد آنذاك بين الدول الكبرى ، فقد اصطنع الفرس امارة المناذرة والروم امارة الغساسنة وحكام اليمن الحميريون امارة كندة ، ومثلت حروب الغساسنة والمناذرة التي حفلت بها كتب الايام جانبا مهما من صراع الفرس والروم على مد السلطة ، فقد هدف كلاهما من اقامة هاتين الامارتين الى حماية امبراطوريتيهما من غزو محتمل قد يقوم به احدهما ضد الآخر اضافة الى الحد من مضايقة اعراب البادية لهما ، وتكفل امراء المناذرة والغساسنة بالمهمتين وخاضوا ضد بعضهم اياما مريرة سعيا وراء أحكام السيطرة وتوسيع رقعة الامارة وارضاء المتسلطين عليهم من فرس وروم ، ومع ذلك فان أياً منهم لم يكن بمنجى من العقاب عندما تشعر الامبراطورية ذات الشأن بمحاولته المس بسلطتها ، فقد عزل قباذ امبراطور الفرس المنذر بن ماء السماء (٥١٤ ـ ٥٥٤) لشكه في ولائه ولعدم اعتناقه المزدكية دين الفرس آنذاك وولى مكانه الحارث الكندى أمير كندة ، وقتل كسرى الثاني فيما بعد ذلك بزمن النعمان الثالث (٥٨٠ـ٦٠٢) آخر امراء المناذرة لقتله عدى بن زيد احد عمال الفرس في الحيرة • وبعكس ذلك فقد حظي هؤلاء الامراء بكل عون وتأييد من الامبراطورية التي كانوا يطيعون اوامرها مخلصين •

اما امراء كنده الذين خضعوا للسلطة الحميرية في اليمن فقد كانت امارتهم اقل شأنا من امارتي المناذرة والغساسنة لقصر عهدها ولغلبة البداوة عليها بالرغم من ان احد امرائها وهو الحارث بن عمرو الكندي كان قد وسع سلطته السياسية وضم الحيرة الى ملكه بامر من الفرس اثر عزلهم المنذر بن ماء السماء كما تقدم • بيد ان هيمنة كندة قد تراجعت عند عودة المنذر الى حكم الحيرة واعقب ذلك

حروب بين الخصمين انتهت بمقتل الحارث عام ٥٢٩م • وبمقتله اشرفت الأمارة على الزوال نظرا لتنازع ابنائه من بعده وتجروء القبائل عليهم كما حدث عندما قتلت بنواسد اميرها حجرا •

وقد مثلت الامارات المذكورة تأريخا مميزا للعرب بالرغم من تبعيتها السياسية للدول الكبرى التي عاصرتها ، فقد ازدهرت حواضرها بالعمران وأمتها مشاهير الشعراء وارتقت حياة سكانها في كثير من المجالات ، ففي الحيرة عاصمة المناذرة نشطت الحركة الادبية وكان من مشجعيها الامراء انفسهم امثال عمرو بن هند الامير الطاغية الذي قتله عمرو بن كلثوم احد شعراء بلاطه ، والنعمان الثالث الذي اعتذر له النابغة الذبياني بقصائده المشهورة ، ومن امراء الحيرة الآخرين الذين تركوا في التاريخ العربي اثرا بهيا النعمان الاول - المعروف بالاعور والسائح - والذي ارتبط ذكره بالخورنق والسدير القصرين الشهيرين اللذين قيل انه ابتناهما ومثله كان في الشهرة ابنه المنذر الاول الذي اجله الفرس كثيرا لسطوته البالغة ولوقوفه الى جانبهم محاربا بشجاعة اعداءهم الروم • وثمة امير آخر منهم اعتبر عهده بحق من اعظم عهود الحيرة وهو المنذر بن ماء السماء الذي تقدم ذكره غير مرة ، فبالرغم من اعتزاله الامارة مرغما ليتولاها الحارث الكندي من بعده فانه اعيد الى الحكم فحارب بضراوة امارتي كندة والغساسنة واخضع كثيرا من القبائل العربية خارج امارته •

اما امارة الغساسنة فقد عرفت بسبق معاصرتها امارة المناذرة في معظم مجالات الحياة لتأثرها بمجتمع الروم الاكثر رقيا من المجتمع الفارسي الذي تأثر به المناذرة وقد اتسع بلاطها لشعراء العصر امثال النابغة والاعشى وحسان الذين وجدوا فيه من الترف والنعيم ما يغني عن الرحلة طمعا بالمزيد •

وبلغت هذه الامارة اروع عصورها زمن اميرها الحارث بن جبله الذي وسعها ورجح في كثير من حروبه ضد الفرس والمناذرة ، وبقيت الحال كذلك في عهد ابنه المنذر الذي صد مستبسلا غارات الأعداء المناذرة حفاظا على مجدها •

واهم ما يميز امارة كندة التي تقدم انها دون الامارتين المذكورتين هو ولاؤها العربي لملوك اليمن ومحاولتها فرض سيطرتها السياسية على القبائل النجدية وتوحيدها تحت أمير واحد ، وقد نجحت في هذا المسعى واستطاعت في معظم ادوار تأريخها من احكام سيطرتها على هذه القبائل وخاصة في عهد مؤسسها حجر آكل المرار ، وقد أعتبرت محاولتها هذه اتجاها جديدا للعلاقات السياسية في البادية العربية لم يؤلف من قبل •

واذا ما تجاوزنا نظام السلطة السياسية المتمثل بالدول والامارات المتقدم ذكرها فان بلاد العرب قد عرفت في الفترة الاخيرة من جاهليتها نظامين للحكم ، النظام القبلي في البادية ونظام حكومات المدن ، وقد ساد النظام الاول بادية الجزيرة حيث اعتمدت القبائل المنتشرة فيها العصبية القبلية اساسا ينظم علاقاتها المختلفة • وتعني العصبية في مفهوم ذلك العصر الولاء المطلق للقبيلة والامتثال لاجماعها وان اقتضى ذلك تضحية بمصالح الافراد ، فابناء القبائل مدفوعون في تعصبهم المفرط لقبائلهم بدافع من واقع البادية الذي لا يوفر مأمنا للمستضعفين ، لذا فقد وجدوا استمراراً لبقائهم وتوفيرا لامنهم في بقاء وأمن القبائل التي ينتمون اليها معتقدين باخلاص ان نسبا واحدا يشدهم ودما خالصا يجرى في عروق كل منهم • ويمكن اعتبار الولاء القبلي الذي اعتد به عرب البادية كثيرا ونذروا مصالحهم الخاصة وحتى دماءهم في سبيله مماثلا في كثير من الوجوه للولاء القومي بمفهومه الحالي بالرغم من ان القومية تتجاوز الحدود القبلية التي لم يخرج ابناء البادية عن دائرتها الضيقة •

ويوجه زمام القبيلة رئيس متنفذ متقدم بالسن يعرف بالشيخ ، يمتلك سلطة البت في أهم الامور التي تواجه قبيلته ، وهو ـ مع سعة سلطته ـ ملزم بمشاورة المقدمين من رجال القبيلة ممن يمتلكون اصالة في الرأي وحسنا في التقدير • والقبيلة لا تقدم رئيسا له الحق في قيادتها وتنظيم شؤونها دون ان تعهد فيه قدرات لا تتواجد في غيره من رجالها كالكرم والشجاعة والايثار وبعد النظر وغير ذلك من الصفات التي قليلا ما تجتمع في شخص واحد ، واهم من ذلك كله فانها تشترط فيه

اصالة نسبه اذ ليس من شيء ابغض الى سكان البادية من ضعة النسب • واجمالا فان الشيخ هو احد ابناء القبيلة تقدم عليها لتمتعه بمزايا القيادة وعليها اطاعته واحترامه وعليه سياستها بحكمة ورعاية متحملا في هذا السبيل الكثير من التبعات •

ولم تكن العلاقات بين القبائل في البادية علاقات ود وانسجام انما كانت الخصومة سمتها الطبيعية في اغلب الاحيان وذلك بفعل من اثر البيئة الصحراوية التي لا تمنح رغدا في العيش ولا امنا في المقام ،لذا فقد غدت الحروب تمثل الجانب الاهم من حياة البادية السياسية ، ولما كان النصر في تلك الحروب يستوجب كثرة في الرجال فقد وجدت القبائل في التحالف مع بعضها ما يقيها شر الهزيمة واستباحة الديار الا اقليـة منها بالغت في الحمية فأنفت عـون الآخرين(١٦٨) • وتعظيما لفكرة الوحدة بين القبائل المتحالفة فقد كان من مظاهر عقد الحلف ان يغمس المتحالفون ايديهم في الدم ، ولهم في هذا المجال شعائر مقدسة اخرى تعارفوا عليها في جاهليتهم(١٦٩) • وكانت اكثر القبائل لجوءا الى التحالف هي المستضعفة التي تبغي من انضوائها تحت راية الحلف ردا لبلاء الحرب او اخذا لثأر عجزت عن ادراكه بمفردها •

ويختلف النظام السياسي في مدن الجزيرة عن النظام المتقدم الذي عرفته القبائل في البادية نظرا لان الحياة المستقرة في المدينة تنمي العلائق الاجتماعية والاقتصادية بين السكان وتوجد لهم اعرافا يلتزمون بها حماية لتطورهم الحضاري ولطموحهم المادي وذلك ما لم يعن بـه ابنـاء البادية الذين فقدوا الوطن المستقر فاضطربت قيمهم وانكروا النظم التي اصطنعها المتمدنون • وقد مثلت مكة آنذاك ذروة التطور السياسي لمدن الجزيرة وخاصة اثر انتزاع قصي زعيم قريش في القرن الخامس الميلادي السلطة من قبيلة خزاعة اليمنية التي طرأت حينا على حكم هذه المدينة • وتأتت اهمية مكة السياسية من اعتبارين متلازمين احـدهما ديني

---

١٦٨ ــ وتدعى هذه القبائل بالجمرات / زهر الاداب للحصرى ج ١ ص ٢٥ •

١٦٩ ــ من هذه الشعائر اشعال النار او غمس الايدي بالطيب •

والأخر تجاري اذ لولاهما لغدت بلـدة خواء ، فطبيعتها الصحراويـة القاسية لا تشجع على الاستيطان لشدة قيضها وشحة مواردها الزراعية • فهي كما عبر عنها القرآن الكريم «بواد غير ذي زرع»[170] بيد ان سمو مكانتها الدينيـة لوجـود الكعبة فيها قد جعلها هدف جميع القبائل التي كانت تفد اليها وخاصة في موسم الحج لاداء فرائضها الدينية وتقديس اصنامها التي اقامتها في البيت الحرام ، وتبعا لذلك فقد نشطت حركة التجارة فيها لكثيرة الوافدين اليها مـن شتى الارجـاء اضافة الى ان موقعها الجغرافي المتوسط بين كل من اليمن والشام والعراق كان يحتم على القوافل التي كانت تقطع مختلفة طريق التجارة المرور بها ، لذا فقد اهتمت قريش القائمة بزعامتها بامر التجارة فنظمت اسسها واقامت العلاقات الطيبة مع مختلف القبائل التي كانت تمر بها قوافلها التجارية ، وكان من عادتها التوجه كل عام الى اليمن والشام في رحلتين تجاريتين عرفتا برحلتي الشتاء والصيف ، ولذلك فقد سعت الى تنظيم الشؤون السياسية لهذه المدينة بما يحفظ الاستقرار فيها طمعا في استغلال هذا الاستقرار لزيادة ما تجنيه من ثراء ، فكان ان تقاسمت فيما بينها مراكز الوجاهة من دينية وسياسية كسدانه الكعبـة وسـقاية الحجاج ورفادتهم ورئاسة دار الندوة وحمل اللواء في الحرب وهي المراكز التي ورثتهـا عن زعيمها قصي الذي كان قد انفرد بها وخلفها لاعقابه الذين كثيرا ما اختلفوا عليها لكونها اعلى مناصب السلطة آنذاك • وكان للسدانة شرف ونفوذ عظيمان تشق حيازتهما ومن واجبات السادن خدمة الكعبة والاحتفاظ بمفاتيحها وتولي امر حجابتها ، وسوى السادن فقد تولى متنفذون آخرون رعاية شؤون الحجاج وتسهيل قدومهم ومقامهم بما كانوا يقدمونه اليهم من طعام وشـراب وخـدمات اخرى ، وكان لتولي هذه الامور وجاهـة كبيرة • ومثلت دار النـدوة مجلسا سياسيا يجتمع به سادة مكة مـن ذوى الثروة والجاه لتدارس شـؤون مدينتهم المختلفة من سياسية وحربية واجتماعية • وكانت دار الندوة بالاصل بيت لقصي اوقفه لمثل هذه الاغراض وقد التزمت قريش بنهجه فيما بعد • وعرفت مكة ايضا

---

١٧٠ ـ سورة ابراهيم / الآية ٤٠ •

نوعا آخر من الندوات السياسية تمثل بالاسواق التي كانت تقام في الاشهر الحرم كسوق عكاظ وذي المجاز ، ومع ان التجارة هي غاية هذه الاسواق التي كان الناس يفدون اليها لتبادل السلع فانها تمثل ايضا وجها سياسيا «فهي مجتمعات سياسية ذات اهمية ومؤتمرات تقرر فيها كثير من الامور التي لها صلة بسياسة القبائل وصلاتها بعضها ببعض»[١٧١] اضافة الى انها مهرجانات ادبية كان يعرض فيها الجيد من شعر وخطبة وتقضي فيها الخصومات الادبية • وقد نظر المؤرخون وخاصة المستشرقون منهم الى مكة الجاهلية بكثير من الاعجاب وشبهوها بجمهورية تجارية مثل الملأ فيها ـ دار الندوة ـ اداتها السياسية المنظمة •

وكما اقامت قريش في مكة نظاما سياسيا اكثر استقرارا مما كان سائدا في البادية فقد اقامت القبائل العربية الاخرى التي سكنت المدن انظمة سياسية تتلاءم وظروفها الخاصة • فقد حكمت ثقيف مدينة الطائف ونظمت شؤونها بما يضمن لها بسط السلطة عليها مستفيدة من ازدهار زراعتها نظرا لما عرف عنها من جودة في المناخ • وحكمت قبيلتا الاوس والخزرج مدينة يثرب التي شابهت الطائف في شهرتها الزراعية وجوها المعتدل الا انها عرفت باضطراب سلطتها السياسية تبعا للتنازع المرير من القبيلتين ، وقبل ذلك كان اليهود يستأثرون بحكم هذه المدينة مستغلين مكانتها الاقتصادية المربحة ، وكان لليهود اثر مهم في الحياة السياسية لذلك العصر فقد حكموا اضافة ليثرب مدنا اخرى كخيبر وفدك •

ومع ان مجتمع المدن السياسي كان اكثر توطدا من المجتمع البدوي فان التعصب القبلي ظل شاخصا في المجتمعين وان اختلفت حدته بينهما • وقد مثل الصراع بين الاوس والخزرج انموذجا لذلك التعصب الذي لم يمحه التمدن •

حياة العرب الاجتماعية :

لقد مثلت القيم والافكار القبلية التي سادت في الجاهلية بفعل من عوامل كثير اهمها عوامل البيئة الطبيعية اسس النظام الاجتماعي لدى عرب الجزيرة العربية بقسميهم البدو والحضر برغم اختلافهم احيانا تبعا لتباين العوامل • وكانت

---

١٧١ ـ تاريخ العرب قبل الإسلام للدكتور جواد علي ج٤ ص ٢٢٣/٢٤٤ •

قبائلهم تضع ابناءها ـ وفقا لذلك النظام ـ في قمة السلم الاجتماعي لاعتقادها بوحدة نسبهم بينما نظرت عداهم من التابعين لها كالموالي والعبيد نظرات اجتماعية متدنية لافتقادهم صلة النسب بها وحرمتهم من الحقوق التي يمتلكها ابنها الاصيل ، فهو السيد والمتحكم والمجير وهم التابعون والمستظلون بحمايته ، وكان لهؤلاء التابعين منازل اجتماعية متفاوتة تبوأ الموالي وهم الملتحقون بقبائل غير قبائلهم ارقاها تلتهم طوائف الصعاليك والخلعاء وغيرهم من المنبوذين المعروفين بمآتيهم السيئة كالنهب والاغتصاب والقتل بالرغم من ان لبعضهم ـ وهم الصعاليك ـ نظرات انسانية متقدمة اذ كانوا يعمدون الى تلك المآتي لاغاثة المعوزين • وكانت ادنى المراتب الاجتماعية في القبيلة تتمثل بطبقة العبيد ومعظمهم اسرى حرب او مجلوبون من خارج البلاد وخاصة من الحبشة وكانوا يقومون باحقر الاعمال واشقها •

وللعرب بعد ذلك مظاهر اجتماعية متعددة الفوها في جاهليتهم وهي اكثر ما تبدو في جوانبها الحسنة والسيئة انعكاسا صادقا للبيئة التي عايشوها • فتأثرا بهذه البيئة غدوا كرماء أوفياء صبورين شجعانا حافظين للعهد اباة • وينبض شعرهم في معظمه بمثل هذه المعاني الخيرة ، وكان الكرم ابرزها ففيه فخرهم الذي لايداني ومجدهم الذي لا يرتقى ، فقد اكرموا الضيف واعانوا المحروم برغم حاجتهم لما يبذلونه لهذا ولذلك نظرا لشحة مواردهم • قال لبيد مفاخرا بسجية الكرم :

وجـزور ايسار دعوت لحتفهـا	بمغالـق متشابـه اجسـامها
ادعـو بهن لعاقر أو مطفـل	بذلت لجيـران الجميع لحومهـا
فالضيف والجـار الجنيب كأنمـا	هبطا تبالـة مخصبـا اهضامهـا
تـأوى الى الاطناب كـل رذيـة	مثـل البليـة قالـص اهدامهـا
ويكللون اذا الـرياح تناوحت	خلجا تمـد شوارعا ايتامها (١٧٢)

١٧٢ ـ الابيات من معلقته وفيها يفخر بانه ينحر لاصحابه الجزور الصالح للميسر « القمار » لكونه من صميم ماله لا مما يعود عليه الرهان ، وهو في سبيل اكرام ضيفه وجاره الجنيب «الغريب» ينحر العاقروالمطفل من الابل لاكتنازهما باللحم ، وكان الضيف والجار عند نزولهما به قد نزلا وادى تبالة المخصب • اما بيته فهو ماوى الضعيفة العاجزة عن نوال رزقها وقد شبهها بالناقة الرذية ـ وهي المتاخرة بالسير لضعفها وبالبلية وهي التي تشد الى قبر صاحبها حتى موتها ـ للسبب ذاته • واخيرا فان المعوزين كانوا يجدون عنده الملاذ وخاصة في فصل الشتاء الممحل حيث يظفرون بالجفان المكللة باللحم •

وجسم حاتم معاني البذل اكثر من غيرة في قوله :

امـاوى ان المـال غـاد ورائـح ... ويبقى من المال الاحاديث والذكر
وقـد علم الاقـوام لـون حاتما ... اراد ثراء المال كان لــه وفـر
يفك بــه العـاني ويأكل طيبـا ... ويحفظ عرضاً انهذا هو الفخر(١٧٤)

وديوان الجاهليين الشعري يطفح بتمجيـد هذه السجية ، وتحفظـا من الاستطراد نتجاوز ذكر المزيد من الامثلة الشعرية عنها .

ومثل شعرهم ايضـا مجالات الفخر والاعتزاز بالشجاعة والابـاء وبشتى الخصال الشريفة التي تقدم ذكر عـدد منها وان تطرفوا في بعض هـذه الخصال احيانا وخرجوا عما هو مألوف كما في قول عمرو بن كلثوم :

ونشرب ان وردنا المـاء صـــفوا ... ويشـرب غيرنا كــدرا وطينـا
الا ابلـغ بني الطمــاح عنــا ... ودعميـا فكيـف وجـدتمونا
مـلأنا البـر حتى ضـاق عنـا ... ومـاء البحـر نملؤه ســفينا
اذا ابلــغ الفطـام لنـا صبي ... تخر لـه الجبابر سـاجدينا(١٧٤)

وبرغم ما للمجتمع الجاهلي من جوانب حسنة فان له جوانب اخرى لم تخل من سوء ، فمن العرب من كان يلهو مسرفا بالخمرة والميسر والنساء متجاوزا بذلك كل الحدود الاجتماعية المقررة ، فمغامرات امرىء القيس النسائية وايغال طرفـه في تعاطي الخمر والتبذل الذي نلمسه لدى غير هذين الشاعرين من شعراء ذلك العصر يمثل الصورة المتدنية للمجتمع الجاهلي ، وطرفـة بن العبد مـن ابرز الشعراء الذين حاولوا ابراز هذه الصورة ولكن باطار من الفلسفة المبسطة ، فهو اذ يوغل في المتعة فلأن سبيل الحياة هو الفناء لذلك تراه يقول :

ولولا ثلاث هن مـن عيشة الفتى ... وجدك لم احفل متى قـام عودي
فمنهن سبقي العـاذلات بشـربة ... كميت متى ما تعـل بالمـاء تزبـد

---

١٧٣ ـ ديوان حاتم الطائي .

١٧٤ ـ معلقة عمرو بن كلثوم .

وكرى اذ انادى المضاف محنباً كسيد الغضا نبهته المتورد
وتقصير يوم الدجن والدجن معجب ببهكنة تحت الخباء المعبد
كأن البرين والدماليج علقت على عشر او خروع لم يخضد
كريم يروى نفسه بحياته ستعلم انمتنا غدا اينا الصدى[175]

وعلى هذا الاساس فهو يسرف في الخمرة غير مبال بغضب عشيرته وتجنبها عنه:

وما زال تشرابي الخمور ولذتي وبيعي وانفاقي طريفي ومتلدى
الى ان تحامتني العشيرة كلها وافردت افراد البعيد المعبد[176]

وابشع مما تقدم عن مساوىء الجاهليين ما يتمثل في استباحة الدماء واتقاد الحروب وما يتبع ذلك من عداء كامن قد يبعث طلبا للثأر ، وسنعرف المزيد عن هذا الجانب في الآتي في فصول البحث •

واذا ما اقتربنا من حياة الجاهلي شوطا آخر فسنجده السيد المطاع في بيته والمقدم بين افراد عائلته ، يحترم وشائج القربى ابتداء من ابنائه حتى اقصى فرع في القبيلة • وتليه في الدرجة الاجتماعية ربة البيت ، فقد كانت منزلة المرأة آنذاك موقرة ، فاضافة الى تعهدها اعمال المنزل وتنشئة الابناء فقد ساهمت مع الرجل في مجالات كثيرة ، فمن النساء الشاعرة والعاملة في التجارة والمشاركة في الحرب ، باذكاء حماس المقاتلين ورعاية مصابيهم ولبعضهن حق اختيار الزوج ومفارقته • واذ احترم الجاهلي المرأة ومنحها مثل هذه الفرص فلأنها حافظة لنسبه الذي بنى عليه عصبيته القبلية لذا فقد تزوج اكثر من واحدة من خاصته صونا لذلك النسب من ان يخرج عن عسود القبيلة ، وكانت طريقته في الزواج ذات الطريقة المتعارف عليها والتي اقرها الاسلام الا ان لبعض الجاهليين وفي حدود ضيقة طرقا اخرى في الزواج تقترب احيانا من الاباحية[177] وهي على اية حال صور للشذوذ لايخلو

---

١٧٥ ـ معلقة طرفة بن العبد •

١٧٦ ـ معلقة طرفة بن العبد •

١٧٧ ـ مثال ذلك زواج المقت وهو ان يتزوج الابن عند وفاة والده احدى نساء ابيه عدا امه وزواج الاستبضاع وهو ان يسمح احدهم لزوجته بمواقعة شخص اخر لاعجابه ببطولته او بمكانته الاجتماعية •

منها أي مجتمع مهما بلغ من الرقي • وكان من احترام الجاهلي للمرأة انه انكر التغزل بالعذارى وعده فضيحة وحرم على المتغزل بمحبوبته الزواج منها لذا فقد أكثر شعراء الجاهلية من التوجد والهيام وافتتحوا قصائدهم بذكر المحبوبة التي يشق نوالها وفي شعر المعلقات أمثلة لهذه الظاهرة • واذ تبدو النساء في المجتمع الجاهلي مكرمات الى هذه الدرجة فان منهن وضيعات امتهن الخدمة وامتاع الرجال وهن المعروفات بالاماء •

وللجاهليين في اقتناص لقمة العيش سبل عدة حتمتها طبيعة بلادهم وكثيرا ما يختلف بدوهم عن حضرهم في اتباعها ، فلكون البيئة قد حكمت على البدو بعدم الاستقرار فقد وجدوا في تربية الحيوان وتصيد منابت الغيث وفي الاغتصاب احيانا عن طريق الغزو منافذ لولوج تلك السبل بينا ازدروا مهن الحضريين ونظروا اليها بمهانة لاعتقادهم بان اصابة الرزق عن طريقها ايسر منالا من معاناتهم في هذا المجال • أما الحضر فلم يجدوا ضيرا من الانتفاع بهذه المهن ـ وابرزها الزراعة والتجارة وبعض الصناعات البسيطة ـ لما تعود عليهم من ربح ، وقد توفرت زراعتهم في مواطن الخصب المعروفة بامطارها وعيونها كما في اليمن وسواحل الجزيرة الشرقية وواحات الشمال مما جعلهم في حالة من اليسر طيبة • اما تجارتهم فقد جعلتهم هي الاخرى موسرين وسمت ببعضهم الى المراكز المرموقة ، وكان اليمنيون اول من برع فيها اذ كانوا يحملون بضائعهم الى كثير من البلدان النائية كالشام والهند وافريقيا ويعودون منها بما يحتاجون اليه من مؤن • ومثلهم في هذا المجال كان أهل مكة الذين احتكر سادتهم من قريش زعامة العرب التجارية • ولم يكن للصناعة عندهم الشأن الذي كان للزراعة والتجارة فكأنهم في نظرتهم اليها قد جاروا اهل البادية ، ومع ذلك فان منهم من برع في صناعات النسيج والاسلحة البدائية من سيف ورمح وفي بعض المنتجات اليدوية الاخرى • وبرغم انتفاع الجاهليين ـ بدوهم وحضرهم ـ بموارد الرزق المتقدمة فان طائفة ظلت محرومة منها وكان المعوزون من العبيد والصعاليك ومن جاراهم يمثلونها ، على ان هناك

طائفة اخرى من الجاهليين توسطت الأثرياء والمعدمين مرتضية العيش الكفاف وهي عامة العرب •

اما مجال المعرفة عند الجاهليين فلم يكن متسعا ، اذ لم يعرفوا من العلوم الا أقلها وجهلوا الفلسفة التي برع بها غيرهم بالرغم من ان لهم في هذا الجانب ايماضات فكرية وردت عفويا بشكل حكم وامثال اوحتها اليهم التجربة • وعموما فان اهم معارفهم تمثلت بالانساب والايام وبمطالع النجوم ، وعرفوا شيئا عن الطب البدائي والبيطرة وادعى نفـر منهم التنبوء بالغيب وهم طائفـة الكهان والعرافين وشاعت عندهم الفراسة ـ استنباط خفايا الاشخاص مـن مظاهرهم ـ والقيافة ـ معرفتهم من آثار اقدامهم وتشخيص انسابهم من سماتهم ـ والعيافة وهي زجـر الطائر فان تيامن تفاءلوا وان تياسر تشاءموا •واذا كانت هذه أهم معارفهم فان فريقا منهم قد تأثر بالامم المتحضرة كالفرس والروم فترك تراثا حضاريا قيما كما هو معروف عن اليمنيين والمناذرة والغساسنة الذين تقدموا في كثير من مجالات العمران والرى والفن ، على ان هذا التقدم ظل محصورا في مدى ضيق لم ينفذ الى صميم المجتمع الجـــاهلي •

وكانت مكة اشرف مراكزهم الدينية ففي كعبتها انتصب اعز اصنامهم التي كانوا يقصدونها في الاشهر الحـرم ، ومع ذلك فان منهم مـن استهان بالدين ، وخاصة الاعراب الذين كانوا اكثر الجاهليين تجنبا عنه •

البـاب الثاني



الفصل الاول

الايـــام :

معـــنى اليـــوم

عرفت المعارك التي كثيرا ما كانت تنشب بين بدو الجزيرة العربيـة في الجاهلية باسم الايام[1] وهي المعارك التي وقع اكثرها بين العدنانيين انفسهم من عرب الشمال بسبب شحة موارد الصحراء الاقتصادية وانعدام السلطة المركزية فيها ويحدثنا الرواة بان عرب الشمال ظلوا متنافرين طيلة جاهليتهم الا في احيان معدودة أحسوا فيها بوطأة القحطانيين عليهم فناهضوهم كما حدث في يوم خزاز[2] عندما اجتمعت معد كلها على كليب وائل وخرجت منتصرة في حربها مع اليمن .

وفي الشعر الجاهلي امثلة كثيرة ترد فيها الايام مرادفة لمعنى الحروب ، يقول عمرو بن كلثوم في سياق فخره[3] :

وأيـام لنـا غـر طـوال ... عصينا الملك فيهـا ان ندينـا

فقد قصد بالايام هنا حروب قومه ، وفي ذات المعنى يقول النابغة الذبياني عند مدحه عمرو بن الحارث الغساني معرضا بهزيمة المناذرة في يوم حليمة[4] .

ولا عيب فيهم غير ان سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

تورثن من ازمان يوم حليمة ... الى اليوم قد جربن كل التجارب

---

١ ـ دائرة المعارف الاسلامية المجلد الثالث ص ١٨٠ ـ ترجمة عباس محمود وجماعته ، لسان العرب المجلد الثاني عشر ص ٦٥١ طبعة صادر ـ بيروت .

٢ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٢٠ وما بعدها .

٣ ـ انظر معلقته .

٤ ـ ديوان النابغة ص ١١ ـ دار صادر ١٩٦٠ ـ بيروت

وافتخر قيس بن الخطيم بانتصار قومه الاوس على الخزرج في يوم بعاث فقال ضمن قصيدة طويلة ذاكرا اليوم بمعنى الحرب : [١]

اجالدهم يوم الحديقــة حاسـرا كأن يدى بالسيف مخـراق لاعب

ويـوم بعـاث اسـلمتنا سـيوفنا الى نسـب في جـذم غسـان ثاقب

وذكر اليوم بهذا المعنى مهلهل في رثاء اخيه كليب فقال : [٢]

فلـو نبش المقـابر عـن كليب فيخبر بالـــذنائب اى زيـــر

بيـــوم الشـعثمين لقــر عينـا وكيف لقــاء مـن تحت القبـور

والى ذلك ذهب العوام الشيباني في هجاء بني بكـــر لتخاذلهم يوم الاياد فقال :[٣]

قبـح الاله عصــابة من وائـــل يوم الافاقة أسـلموا بســـطاما[٤]

ومثله فعل عمرو بن الاحوط عنـدما قال مفتخراً في يوم طخفة لانتصـــار يربوع على المنذر بن ماء السماء [٥] :

قسـطنا يوم طخفـة غير شـك عـلى قابوس اذكره الصبـــاح

ويرى صاحب لسان العرب ان العرب ربما عبروا عن الشدة باليوم فيقال يوم أيوم كما يقال ليلة ليلاء واستشهد بالبيت التالي للحماني[٦] :

نعـم أخو الهيجـاء في اليوم اليمي ليـوم روع أو فعـــال مكـــرم

وفي القرآن الكريم بضع آيات يرد فيها ذكر اليوم بمعنى الشدة والضيق منها قوله تعالى « ولقد أرسـلنا موسى بآياتنـا ان اخرج قومك من الظلمـات الى النور ، وذكرهم بأيـام الله »[١] • ومعنى الآية : خوفهم بما نزل بعـــاد وثمود وغيرهم ، من العذاب كما يفسرها الفراء [٢] •

---

٥ ـ ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٤ ـ تحقيق السامرائي ومطلوب ـ مطبعة العاني ـ بغداد ١٩٦٢ •
٦ ـ أيام العرب في الجاهلية لمحمد احمد جاد المولى وجماعته ص ١٥٧ •
٧ ـ المصدر السابق ص ١٩٦ •
٨ ـ وهو بسطام بن قيس من اشهر فرسان بكر •
٩ ـ المصدر السابق ص ٩٧ •
١٠ـ لسان العرب ـ المجلد الثاني عشر ـ ص ٦٥١ •
١١ـ سورة ابراهيم / ٥ •
١٢ـ لسان العرب ـ المجلد الثاني عشر ـ ص ٦٤٩/٦٥٠ •

ويحتمل ان الجاهليين قد سموا وقائعهم أياماً لانها كانت غارات طارئة تقع الغارة منها في يوم واحد وتنتهي بانتهـائه بالرغم من ان لهم وقائع معروفة كانت الحرب تمتد فيها حتى تبلغ العشرات من السنين تتخللهـا فترات من الترقب قد تطول بين معركة واخرى كما في حربي داحس والبسوس [٣] .

ويعني اليوم عند اطلاقه على وقائع الجاهليين النهار دون الليـل ، اذ كانت هذه الوقائع تتوقف عند حلول الظلام اذا لم تحسم نهـاراً لتشتجر في الصـباح التالى كما حدث في يوم فيف الريح اذ استمرت المعـركة بين مذحج من اليمن وعامر من قيس ثلاثة أيام كانت الغلبـة فيها لمذحج[١] ، ومثـل ذلك حدث بين عبس وذبيان فيموقعة ذات الجراجر[٢] احدى أيام حرب داحس والغبراء حيث تحاجز القوم ليلا وعادوا للاقتتال غداة اليوم التالى وفي أيام العـرب أمثلة كثيرة لذلك ، وكان من عـادة الجاهليين الاغـارة مع الصـباح ومن أشهر صرخاتهـم الحربية التي يسـتثيرون بها الهمم « يا سـوء صباحـاه » يطلقها صريخهم عنـد احساسه بزحف الاعداء ليعلم قومه بالخطر . قال بسطام بن قيس يرد على أسيد بن حناءة في يوم الاياد ـ وهو ليربوع على بكر ـ [٣] :

صبـاح سـوء لكـم النـواعب

وكان أسيد قد ارتجز قبله :

لبث قليـلا تلحـق الحـلائب

١٣ـ ويرى الدكتور علي الجندي في كتابه « شعر الحرب ج١ ص ١٨/١٩ » ان ثمة اسبابا حدت بالجاهليين لتسمية وقائعهم اياما منها :

١ ـ ان يكون قولهم (ايام العرب) اصله « وقائع ايام العرب » ثم حذفت كلمة « وقائع » اختصـارا .

٢ ـ ان الموقعة كانت اظهر حدث في اليوم فسمي اليوم كله بها .

٣ ـ ان كلمة (يوم) مستعملة لتدل على مجرد الوقت .

٤ ـ ان المقصـود بكلمة « اليـوم » في هذا الاستعمال « وقت الشدة والاختبار » كما يقال « اليوم يومك » .

٥ ـ ان الموقعة كانت تستعمل عند العرب كاشارة او رمز تاريخي في ذلك الزمن فكانت كل قبيلة تؤرخ حوادثها بمواقعها وحروبها .

١٤ـ ايام العرب في الجاهلية ـ ص ١٣٣ .
١٥ـ المصدر السابق ص ٢٦٦ .
١٦ـ المصدر السابق ص ١٩١ .

وكثيرا ما ترد كلمة الصباح والتصبيح في شعر الأيام بمعنى الأغارة قال قرة بن زيد بن عاصم في يوم ثيتل وهو لتميم على بكر [٤] :

وصبحهم بالجيش قيس بن عاصم   فلم يجدوا الا الأسنة مصدرا

وقال العوام الشيباني في يوم الاياد [٥] :

أناخوا يريدون الصباح فصبحوا   وكان على الغازين دعوة أشأما

وفي هذا المعنى قال اوس بن حجر يهجو تميماً لانهزامهم في يوم زبالة [١] :

وصبحنا عار طويل بناؤه   نسب به مالاح في الافق كوكب

وافتخر دريد بن الصمة عند أخذه بثأر عبدالله الذى قتل يوم اللوى [٢] بقوله :

صبحنا فزارة سمر القنا   فمهلا فزارة لا تضجروا

ومثله يقول الاعشى مفاخراً بانتصار بكر على تميم في يوم الزويرين [٣] :

يا سلم ان تسألي عنا فلا كشف   عند اللقاء ولسنا بالمقاريف

نحن الذين هزمنا يوم صبحنا   جيش الزويرين في جمع الاحاليف

وقد لا يتسع المجال لاستقصاء أمثلة اخرى وحسبنا المتقدم منها .

وقد سمى الجاهليون معظم أيامهم بأسماء المواضع التي حدثت عندها كالجبال والوديان والمياه والنبات . فقالوا يوم عاقل وهو واد بنجد ويوم الرقم وهي جبال دون مكة ويوم حوزة وهو واد بالحجاز ويوم رحرحان وهو اسم لجبل ويوم الكلاب وهو اسم لماء ويوم النتأة وهي أسماء لنخيلات .. وهكذا .. وقد يسمون أيامهم بأسماء أشخاص لهم دور كبير فيها فقالوا يوم حجر لان بني أسد كانت قد قتلت ملكها حجراً في ذلك اليوم وقالوا يوم سمير وهو يوم بين

١٧- الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٥١ .
١٨- ايام العرب في الجاهلية ص ١٩٤ .
١٩- المصدر السابق ص ٢٠٧ .
٢٠- المصدر السابق ص ٢٩٨ .
٢١- العقد الفريد ج٦ ص ٦٣ .

الأوس والخزرج قتل فيه سمير وهو من الاوس أحد احلاف الخزرج فنشبت الحرب بين الحيين بسبب ذلك وعرفت باسم سمير لكونه مسببها ، ومثل ذلك يوم حليمة الذى انتصر فيه الحارث بن جبلة الغساني على ذلك المناذرة ، وسمي بيوم حليمة لان الحارث طلب من ابنته تطييب جنده لحثهم على القتال • وقد يسمونها بأسماء بعض الحيوانات التي كان لها شأن في المعركة •• كما دعيت الحرب بين تميم وبكر باسم الزويرين [1] وذلك لان تميماً عقلت بعيرين بين جيشها وجيش بكر وآلت الا تولي الادبار ما داما معقولين ، ودعيت الحرب الضروس التي دارت طويلا بين عبس وذبيان بحرب داحس والغبراء وهما فرسان لقيس بن زهير العبسي تسابقتا مع اخريين لحذيفة بن بدر الذبياني واختلف الاثنان على السبق فلحقت الحرب بين القبيلتين •

الى اى حد يصح الاعتماد على الايام من الناحية التأريخية ؟

ليس لاحد أن يعتمد على أيام العرب اعتماد المؤرخ المحقق سواء أكان ذلك بالنسبة لسير وقائعها أو تحديد تواريخ معينة لهذه الوقائع ، ذلك لان روايات الايام قد وصلت الينا بسبل يسهل التشكيك بها فقد توارثها العرب أجيالا بطريقة المشافهة وهي طريقة تحتمل التحريف والوضع ، ثم ان هذه الايام قد وقعت بين القبائل العربية في جاهليتها ورواتها لابد وان يكونوا من هذه القبيلة أو من تلك فكانت العاطفة القبلية أو العصبية القبلية على وجه التخصيص عاملا مهماً في ابرازها بصور تبتعد عن الاصل في أحيان كثيرة وذلك حسب رغبة رواتها ، فان كان الراوية يمت بصلة الى القبيلة المشاركة في اليوم فانه يعظم انتصارها ويهون من شأن القبيلة المناوئة ، أو ينتحل الاعذار للقبيلة التي ينحاز اليها ان كانت مغلوبة ، وقد وجد البعض في اغفال الطبري لايام العرب دليل عدم الثقة بها ، ومعروف ان الطبرى لم يعرض الا لأيام ذي‌قار وجذيمة‌الابرش والزباء وطسم وجديس [1]• والملاحظ ان رواة الايام أنفسهم كثيراً ما يختلفون

٢٢- اسم لبعيرين كما سيأتي في الكلام •

٢٣- انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ٨١ ، اما بن الاثير (ج١ ص ٥٠٢) فيرى ان الطبري قد اغفلها لانها ايام ملوك ، وقد يبدو هذا التخريج اكثر اقناعا اذ لو ان الطبرى قد اهمل ايام العرب لعدم ثبوتها لديه تاريخيا لما سرد اياما اسطورية مثل ايام طسم وجديس •

في أسماء أبطالها والقادة فيها وفي نتائجها وعدد قتلاهـا ، مثال ذلك الاختلاف في يوم خزاز ، فقد ورد فيالعقد الفريد[٢]« قال أبو عبيدة : تنازع عامر ومسمع ابنا عبدالملك ، وخالد بن جبلة وابراهيم بن محمد بن نوح العطاردى ، وغسان ابن عبدالحميد ، وعبدالله بن سـالم الباهلي ، ونفر من وجـوه أهل البصرة كانوا يتجالسون يوم الجمعـة ويتفاخرون ويتنازعون في الرياسة يوم خزاز ، فقـال خالد ابن جبلة : كان الاحوص بن جعفر الرئيس ، وقال مسمع : كان الرئيس كليب بن وائل وقال ابن نوح : كان الرئيس زراره بن عدس . وهذا فيمجلس أبيعمرو العلاء ، فتحاكموا الى أبيعمرو فقال : ما شهدها عامر بن صعصعة ولا دارم بن مالك ولا جشم بن بكر ، اليوم أقدم من ذلك ولقد سألت عنه منذ ستين سنة فما وجدت أحـداً من القوم يعـلم من رئيسهم ومن الملك ... ولولا قول عمرو بن كلثوم ما عرف ذلك اليوم حيث يقول :

ونحن غـداة أو قد في خزازى	رفدنا فـوق رفد الرافدينـا
فكنـا الايمنـين اذا التقينـا ..	وكـان الايسـرين بنو أبينـا
فصـالوا صـولة فيما يليهـم	وصلنا صـولة فيمـا يلينـا
فآبـوا بالنهـاب وبالسـبايا	وابنـا بالمـلوك مصفدينـا

قال أبو عمرو بن العلاء : ولو كان جـده كليب بن وائل قائدهم ورئيسهم ما ادعى الرفادة وترك الرياسة ، وما رأيت أحـداً عرف هذا اليوم ولا ذكره في شعره قبله ولا بعده . » وفي العقد أيضا يرد كلام آخر لابي عبيدة في هذا المعنى عند حديثه عن يوم الكلاب الثاني[١] » وقال أبو عبيدة : حدثني المنتجع بن نبهان قال : وقف رؤية بن العجاج على التيم في مسـجد الحرورية فقـال : يا معشر تيم ، ان الكلاب ليس كما ذكرتم فاعفونا من قصيدتي صاحبينا ـ يعني عبد يغوث

٢٤- ج ٦ ص ٩٧ / ٩٨

٢٥- ج ٦ ص ٨٧

ووعلة الجرمي[٢] ومن قصيدة ابن المعكبر صاحبكم وهاتوا غير ذلك فأنتم أكثر الناس كلاماً وهجاء . قال رؤية فأنشدناه في ذلك اليوم شعراً كثيراً ، فجعل يقول: هذه اسلامية كلها . وقريب من هذا قول ابن الاثير عند حديثه عن يوم حليمة[١] « لقد اختلف النسابون وأهل السير في مدة الايام وتقديم بعضها على بعض واختلفوا أيضا في المقتول فيها ، فمنهم من يقول : ان يوم حليمة هو الذى قتل فيه المنذر ابن ماء السماء ويوم عين اباغ هو اليوم الذى قتل فيه المنذر بن المنذر ومنهم من يقول بضد ذلك ، ومنهم من يجعل من اليومين واحداً فيقول : لم يقتل الا المنذر بن ماء السماء واما ابنه المنذر فمات بالحيرة ، وقيل ان المقتول من ملوك الحيرة غيرهما » .

واذا كانت الامثلة المتقدمة ترجح الظن بعدم جدوى الاعتماد على الايام من الناحية التأريخية فان مما ينمي هذا الظن هو دأب رواتها على تغليب الجانب القصصي الذى تلمس فيه روح الاسطورة أحياناً على النسق التأريخي عند سرد حوادثها . اضافة الى ان معظم هؤلاء الرواة يبوبونها حسب القبائل فهم يذكرون مثلا أيام ربيعة وايام قيس وايام تميم ثم يعرجون على الايام المشتركة بين هذه القبائل وغيرها دون مراعاة لزمن وقوع كل منها ، لذا فقد يتقدم يوم حقه التأخير والعكس صحيح ، من ذلك تقديم صاحب العقد حرب داحس والغبراء على حرب البسوس ، ومعلوم ان الثانية أقدم من الاولى فقد حدثت البسوس على أصح الروايات في اواخر القرن الخامس للميلاد بينما حدثت داحس في

٢٦- عبد يغوث هو رئيس مذجح في يوم الكلاب الثاني ، وعندما علم انه مقتوه اثر اسره ذكر انه انشد وهو مشرف على الموت قصيدته المشكوك فيها ومطلعها : الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا فما لكما في اللوم خير ولا ليا اما وعلة الجرمي فهو حامل لواء مذجح في يوم الكلاب ، وذكر انه قال قصيدته التي اشير اليها في النص المتقدم - اثر فراره من المعركة ، وهي قصيدة منحولة على الارجح وقد يكون ناحلها تميميا لانها في معظم ابياتها تكبر حفاظ واستبسال تميم في الحرب وآية ذلك ابياتها التالية :

ومن علي الله منا شكرته ... غداة الكلاب اذا تجر الدوابر
كانا وقد حالت جدية دوننا ... نعام تلاه فارس متواتر
فمن يك يرجو من تميم هوادة ... فليس لجرم في تميم اواصر
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا ... تنازعني من ثغرة النحو ناحر
فان استطع لاتلتبس بي مقاعس ... ولا ترني بيداوهم والمحاضر

٢٧- الكامل في التاريخ ج١ ص ٥٤٧ .

النصف الثاني من القرن السادس ، وما فعل ابن عبد ربه ذلك الا لانه اعتمد التسلسل القبلي عند روايته احداث الايام ، وبما انه قد قدم أيام قيس على أيام ربيعة فكان طبيعياً ان يقدم داحساً وهي من حروب قيس على البسوس وهي من حروب ربيعة ، ومثله فعل معظم رواة الايام في مصنفاتهم ، بيد ان هذا الترتيب لم يكن في كل جوانبه عديم الجدوى فقد أفادنا في تسلسل بعض الايام التي تعاقبت بين قبيلة واخرى طلباً للثأر وفي هذا الضوء أمكننا ان نقدم يوما ونؤخر آخر ونحن مطمئنون ، فمن اليسير تقديم يوم بطن عاقل ـ بين ذبيان وعامر ـ والذى قتل فيه الحارث بن ظالم المرى خالد بن جعفر بن كلاب العامرى على يوم رحرحان ـ بين عامر وتميم ـ وهو اليوم الذى انتقمت فيه عامر من تميم لاجرتها الحارث بن ظالم ، وتلا ذلك بعام يوم شعب جبلة ـ بين عامر وتميم أيضاً ـ وفيه حاولت تميم دفع هزيمتها في رحرحان • ومثل ذلك يقال في أيام كثيرة اخرى منها يوما الرقم والنتأة ـ وهما بين غطفان وعامر ـ وايام الفجار ـ بني قيس وكنانة ـ فبالامكان تقديم الرقم على النتأة لكون الثاني رداً من عامر على هزيمتها في الاول ـ وقد تكررت هزيمة عامر في اليومين ـ أما أيام الفجار واشهرها خمسة في اربع سنين فيمكن ترتيبها زمنياً على هذا النحو : نخلة ، شمطة ، العبلاء ، عكاظ ، الحريرة ، وذلك لان المتحاربين في هذه الايام كانوا يتواعدون رأس الحول من العام المقبل عند انتهاء المعركة • وثمة أمثلة كثيرة لمثل ما أوردناه تحفل بها الايام ، ومع ذلك فان هذا الترتيب ظل قاصراً عن تحديد تواريخ معينة لها •

والآن أليس بمقدورنا ان نسلسل الايام أو بعضها تأريخيا ، أو ان نحصرها أو نحصر هذا البعض منها ضمن حقب تأريخية معينة على أقل تقدير ؟ يرى الدكتور جواد علي ان هذا غير ميسور وان كل ما يقال عن تواريخ الايام وترتيبها والسنين التي وقعت فيها هو حدس وتخمين ويذهب الى ان الحال ستبقى كذلك حتى تتهيأ مادة جديدة كنصوص جاهلية مدونة أو موارد اخرى قد تتعرض لتلك الايام وعند ذلك ـ حسبما يرى الدكتور علي ـ يكون بالامكان تدوينها على نحو

علمي يشرح لنا تطور الحوادث عند العرب قبل الاسلام • واني هنا لا أريد ان أجاري هذا الرأى ـ لا تجرؤا عليه ـ انما هي محاولة ـ قد أكون مسبوقاً فيها لاستجلاء شيء من تواريخ الايام اعتماداً على ربطها بشخصيات يطمئن اليها كانت قدعاصرتها أو اشتركت فيها أو بربطها بحوادث تأريخية معلومة • وجرياً على هذا النسق يمكن اعتبار يوم البيضاء[٢٨] الذى ذكر انه حدث في أواسط القرن الرابع الميلادى هو أقدم الايام التي تهيأت عنها بعض المعلومات التأريخية وهو لبني عدوان ورئيسها عامر بن الظرب على مذجج وفيه كما تذكر الاخبار اجتمعت معد كلها على رئيس واحد وذلك للمرة الاولى عبر تأريخها واذا ما تجاوزنا القرن الرابع الذى حدث فيه هذا اليوم ـ وهو شديد الاضطراب ـ طالعتنا في القرن الخامس عدة أيام أقدمها على ما يبدو يوم منعج بين عبس وغني ـ كلاهما من قيس ـ وسببه قتل رياح الغنوي شأسا بن زهير بن جديمة العبسي أثر عودته من زيارة للنعمان بن امرىء القيس أميرالحيرة آنذاك فانتقم زهير لمقتل ابنه بأن غزا بني غني واكثر فيهم القتل ، ويبدو انهذا اليوم قد حدث فيالنصف الاول من القرنالخامس وهيالفترة التيحكم فيها النعمان بن امرىء القيس[٢٩] وأعقب هذا اليوم يوم النفراوات وهو من أيامقيسأيضا ـ بين عامر وعبس ـ وفيه قتلت بنو عامر زهير بن جذيمة العبسي لتشدده في جمع الاتاوة وكان قائد عامر خالد بن جعفر الكلابي الذى قتل يوم بطن عاقل التالي لهذا اليوم كما تقدم • وفي أواخر القرن الخامس نشبت حرب البسوس المشهورة بين بكر وتغلب واشتملت الربع الاول من القرن السادس ، فقد ظلت تثار ـكما تذكر الرواياتـ بين حين وآخر مدة أربعين عاما ، وقبل نشوبها بزمن حدث يوم خزاز الذي اجتمع فيه العرب الشماليون على كليب وائل ـ والذي أثار مقتله حرب البسوسـ فهزموا جموع مذجج من عرب الجنوب وتحرروا من سيطرة اليمن • ومن أيام النصف الاول من القرن السادس التي يمكن التكهن بأزمان حدوثها يوم الكلاب

٢٨ـ العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٣٥/٢٣٦ ، وقد اختلف في مدى حقيقة هذا اليوم ـ انظر تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ٨٣ •

٢٩ـ تاريخ العرب لفيليب حتي من ج١ ص ١٠٩ •

الاول بين سلمة وشرحبيل ابني الحارث بن عمرو الكندي ، وكان الحارث قد حكم الحيرة أثر عزل الفرس المنذر بن ماء السماء لعدم اعتناقه المزدكية دين الفرس آنذاك وقد نصب الحارث ابناءه - ومنهم سلمة وشرحبيل - امراء على القبائل في البادية أثر توليه امارة الحيرة بيد ان الحارث عزل واعيد المنذر الى حكم الحيرة عقب تولي كسرى الاول حكم فارس - وكان كارها للمزدكية - فحارب المنذر الحارث الكندي وتمكن منه وقتله ، وأثر مقتله تخاصم أبناءه المذكوران ومن خلال الحوادث المتقدمة يمكن القول بأن الكلاب الاول يعود في تأريخه الى أواخر النصف الاول من القرن السادس اذ ان المنذر كان قد عاد الى حكم الحيرة عام (٥٣١ م)[٣٠] وخلال هذا التأريخ قتل الحارث وعقب مقتله حدث هذا اليوم • ومن أيام هذه الفترة أيضا بعض من أيام المناذرة والغساسنة وأشهرها يوما عين اباغ وحليمة وكلاهما للحارث بن جبلة الغساني على المنذر بن ماء السماء أمير الحيرة ، ويقال ان بين اليومين عشر سنوات ، وقد حدث اليوم الاول حوالى عام ٥٤٤م[٣١] وفي هذا الضوء يمكن وضع الايام التي حدثت بين المنذر بن ماء السماء وسواه في حدود هذه الفترة التأريخية كيوم أواره بينه وبين بني بكر ويوم طخفة بينه وبين بني يربوع[٣٢] • واذا ما انتقلنا الى النصف الثاني من القرن السادس فقد يكون من اليسير وضع تواريخ تقريبية للايام التي قامت أثناءه نظرا لقربها من الاسلام - فقد أدركه بعض الذين اشتركوا في هذه الايام أو عاصروها - فيوم جبلة بين عامر وتميم سابق لظهور الاسلام بأربعين سنة على رواية وبتسع وخمسين سنة على أخرى[٣٣] وقبله بعام وقع يوم رحرحان كما اتضح من قبل • أما حرب داحس والغبراء بين عبس وذبيان التي ذكر انها امتدت أربعين عاما فيرجح انها اشتملت على أكثر النصف الثاني من القرن السادس اضافة الى السنين الاولى من القرن السابع ،

٣٠- المرجع السابق ص ١٠٤ •

٣١- تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ١٠٤ •

٣٢- وقد امتد حكم المنذر بن ماء السماء بين ٥٠٥/٥٤٤ م (العرب قبل الاسلام لفيليب حتي ج١ ص ١١٠) •

٣٣- ورد في العقد ج٦ ص٩ بان هذا اليوم كان قبل الاسلام باربعين سنة اما في الاغاني ج١١ ص١٤٩ فقد ورد بانه كان قبل الاسلام بتسع وخمسين سنة •

وكان من أبطالها الشاعر الجاهلي المعروف عنترة العبسي الذي مات مقتولا أثر انتهائها في معركة مع طيء بحدود عام ٦١٤ للميلاد[٣٤] • ومن هذه الايام أيام الاوس والخزرج وأشهرها يوم بعاث ، وقد ذكر انه حدث قبل الهجرة بخمسين سنة[٣٥] وانه آخر أيامهم قبل الاسلام يقول ابن الاثير «وكان يوم بعاث آخر الحروب المشهورة بين الاوس والخزرج ثم جاء الأسلام واتفقت الكلمة واجتمعوا على نصرة الاسلام وأهله وكفى الله المؤمنين القتال[٣٦] ، وقبله بزمن وقع يوم سمير في أوائل النصف الثاني من القرن السادس وقد اعتبر أول أيام الاوس والخزرج[٣٧] وما بين هذين اليومين يمكن وضع أيام الاوس والخزرج الاخرى • ومن الايام التي تيسر وضوحها تأريخيا في هذه الحقبة هي أيام الفجار وأشهرها ـ كما تقدم ـ خمسة في أربع سنين وقد اشترك النبي صلى الله عليه وسلم في احدها اذا كان يناول اعمامه النبل وهو ابن اربع عشرة سنة[٣٨] وعقب ظهور الاسلام بقليل حدثت أيام اعتبرت جاهلية ـ لتمثل الروح الجاهلية فيها ـ وهي أيام يمكن التكهن بزمن وقوعها لاتضاح تأريخ العرب بعد الاسلام منها يوم ذى قار بين العرب والفرس والكلاب الثاني بين تميم ومذحج والشيطين والشباك والوقبي بين بكر وتميم • وبالرغم مما تقدم فأن الصعوبة في تعيين تواريخ ثابتة للايام تبقى قائمة نظرا لمراعاة رواتها الجانب القصصي دون الجانب التأريخي •

الايام عدها العرب حقيقة واقعة فتأثروا بها في الجاهلية والاسلام

المعروف بأن الحياة في جزيرة العرب وفي باديتها بصورة خاصة هي حياة حرب وغارة وذلك بفعل عوامل كثيرة ، وأهمها قساوة البيئة الطبيعية وما يتبعها من شحة في الموارد ، لذا فقد نزع سكان الجزيرة بفعل هذه العوامل الى الخصومة

---

٣٤ ـ تاريخ الادب العربي للدكتور عمر فروخ ج ١ ص ٢٠٨ •

٣٥ـ الادب العربي وتاريخه في العصر الجاهلي لها شم عطية ص ٥٦ •

٣٦ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ١ ص ٦٨١ •

٣٧ـ تاريخ الجاهلية للدكتور عمر فروخ ص ١٢٣ •

٣٨ـ العقد الفريدج ٦ ص ١٠٣ ، وفي ايام العرب في الجاهلية ص ٣٣٤ ان الرسول (ص قد اشترك في اليوم الرابع منها وهو يوم عكاظ ، وقد انتهت هذه الايام بحدود عام ٥٨٩ •

سعيا لتأمين العيش الكفاف ، اذ كثيرا ما كانت المسالمة في صحراء العرب تعـــني هلاكا للقاعدين عن النضال للظفر بالماء والمرعى • ومن هنا كانت الايام جزءا من حياة الجاهلية فقد توارثوا أخبارها جيلا عن جيل وأحاطوها بهالة من التمجيـد والتعظيـــم ورأوا فيها مصدر فخرهم الكبير ، ولاهميتها عند فقد ابرزوهــا في شعرهم بصور من الفخر والحماسة والرثاء وبأغراض شعرية أخرى تتناسب والحالة التي يعرضون لها • وكان من مظاهر تأثرهم بها تعظيمهم بعض الايــام البسيطة واظهارها بمظهر الحروب الكبيرة افتخارا بمآتى قومهم ، من ذلك قول قيس بن الخطيم[٣٩] :

اجالدهـــم يوم الحديقة حاسرا ... كأن يدي بالسـيف مخراق لاعب

فقيس بن الخطيم لم يكن أمينا في تصويره لهذا اليوم الذي لا يعدوا كونه مشاحنة بسيطة قامت بين الاوس والخزرج سلاحها العصى والحجارة ، ومثـل هذا يقال في كثير من أيام الاوس والخزرج الاخرى وأيام الفجار ـ وخاصـة الفجار الاول ـ الذي لم تسل فيه دماء غزيرة[٤٠] • مـــن مظاهر اعتـــزاز الجاهليين بالايام تعظيمهم الانتصار واعتذارهم عن الهزيمة ومجادلتهم الخصوم • فأثر انتصار بني يربوع ـ من تميم ـ على بني بكر ـ من ربيعة ـ في يوم مخطط قال مالك بن نويرة[٤١] ولم يكن قد شهد هذا اليوم انما هزه انتصار قومه :

ان لم أكـن لاقيت يوم مخـــطط ... فقد خبر الركبـــان ما اتودد
بابنـــاء حي من قبـــائل مالك ... وعمرو بن يربوع أقاموا فأخلدوا
فقال الرئيس الحوفزان[٤٢] تكتبوا ... بني الحصن قد شارفتم ثم جـردوا
فما فتئـوا حتى رأونـا كأننــــا ... مع الصبح آذى من البحر مزبد
بملمومة شهباء يبرق خالهـــا ... ترى الشمس فيها حين دارت توقد

٣٩ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ص ٣٤ ويرد هذا البيت في جمهرة من اشعار العرب ص ٢٥٠ بهذه الصورة :
لقيتكمـــو يـــوم الخنادق حاسرا ... كأن يـــدى بالسيف مخـــراق لاعب
٤٠ـ العقد الفريد ج ٦ ص ١٠١/١٠٢ •
٤١ـ المصدر السابق ص ٧ ٥ •
٤٢ـ الحوفزان احد رؤوساء بكر •

فما برحوا حتى علتهم كتائب ... اذا طعنت فرسانها لا تعود
فأقررت عيني يوم ظلوا كأنهم ... ببطن غبيط خشب اثل مسند
صريع عليه الطير يحجل فوقه ... وآخر مكبول اليدين مقيد
وكان لهم من أهلهم ونسائهم ... مبيت ولم يدروا بما يحدث الغد
وقد كان لابد الحوفزان لو انتهى ... شريك وبسطام عن الشر مقعد

وفي يوم فيف الريح الذي هزمت فيه مذحج بني عامر قال عامر بن الطفيل مبررا هزيمة قومه[٤٣] :

لعمرى وما عمرى علي بهين ... لقد شان حر الوجه طعنه مسهر
فبئس الفتى ان كنت أعور عاقرا ... جبانا وما اغنى لدى كل محضر
وقد علموا انـي أكـر عليهـم ... عشية فيف الريح كسر المدور
فلو كـان جمع مثلنا لم نبالهم ... ولكن أتونا اسرة ذات مفخر
فجاؤا بشهران العشيرة كلها ... واكلب طرا في لباس السنور

وقال أيضا في هذا المعنى :

إتونا بشهران العريضة كلها ... واكلبها في مثل بكر بن وائل
فبتنا ومن ينزل به مثل ضيفنا ... يبت عن قرى اضيافة غير غافل
اعاذل لو كان البداد لقوتلوا ... ولكن أتانا كل جن وخابل
وخثعم حي يعدلون بمذحج ... وهل نحن الامثل احدى القبائل

وتجادل كل من قيس بن الخطيم وحسان بن ثابت في يوم سمير ، وهو يوم لم يدركاه وقد دفعهما لذكره اشتداد الخصومة بين الاوس والخزرج ، فقيس وحسان مثلهما مثل سائر الشعراء الجاهليين كانا كثيرا ما يجهدان في التنقيب عن

٤٣ـ العقد الفريد ج٦ ص ٨٨/٨٩ .

أيام قومهما السالفة والتمدح بها . قال قيس في هذا اليوم قصيدته المشهورة التي مطلعها[٤٤] :

رد الخليط الجمال فأنصرفوا   ماذا عليهم لو انهم وقفوا

وبعد افاضته في الغزل يذكر مآتي الاوس في الحرب :

ابلغ بني جحجبى وقومهم   خطمة أنا وراءهم انف

واننا دون ما يسوموهم الاعداء من ضيم خطة نكف

نفلني بحد الصفيح هامهم   وفلينا هامهم به عنف

انا وان قدموا التي علموا   أكبادنا من ورائهم تجف

لما بدت غدوة جباههم   حنت الينا الارحام والصحف

كقيلنا للمقدمين قفوا   عن شأدكم والحراب تختلف

يتبع آثارها اذا اختلجت   سخن عبيط عروقه تكف

ان بني عمنا طغوا أو بغوا   ولج منهم في قومهم سرف

فأجابه حسان[٤٥] - وهو من الخزرج - بقصيدة من ذات القافية ابتدأها بالغزل أيضا :

ما بال عينيك دمعها يكف   من ذكر خود شطت بها قذف

دع ذا وعد القريض في نفر   يرجون من حي ومن حي الشرف

ان تدع قومي للمجد تلفهم ..   أهل فعال يبدو اذا وصفوا

ان سميرا عبد طغى سفها   ساعده أعبد له نطف ....

وطرق الشاعر الجاهلي اضافة لما تقدم اغراضا شعرية أخرى اوحتها اليه حوادث الايام كالحماسة والهجاء والرثاء وعداها كثير وكان من تأثر الجاهليين بالايام بعثهم الحرب طلبا لثأر بعيد أو قريب ، وهو أمر أدى الى اتساع أيامهم

٤٤- ديوان قيس بن الخطيم ص ٣٨ وما بعدها .
٤٥- انظر ديوان حسان .

وتتابعها لاجيال متعاقبة ، كما هو معـــروف عن حربي داحس والبسوس وتلك السلسلة من الايام التي ثارت بين عامر وذبيان وتميم بسبب مشاحنة كانت قـــد جرت بين خالد بن جعفر بن كلاب العامري والحارث بن ظالم المري الذبياني في حضرة النعمان بن المنذر أمير الحيرة آنذاك ، فقد فخر خالد بن جعفر على الحارث بن ظالم بيوم كان له على ذيبان فاحنق ذلك الحارث فعمد الى قتل خالد ، فدعي هذا اليوم بيوم بطن عاقل واعقبه يوم رحرحان وهو لعامر على تميم لاجارة تميم الحارث بعد ان خذله قومه . وتلا ذلك يوم شعب جبلة الذي ارادت فيه تميم ادراك ثأرها من بني عامر كما تقدم في موضع سابق .

والجاهليون لم يكونوا وحدهم المتأثرين بالايام انما قد تعـــدى تأثيرهـــا الجاهلية وظل شاخصا بعد ظهور الاسلام وان خفت حدته بعض الشيء بفضل الدين الجديد . يروى صاحب العقد الفريد[٤٦] في بداية الفصل الذي خص به أيام العرب ووقائعهم انه قد قيل لبعض اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم : ما كنتم تتحدثون في مجالسكم ؟ قال : كنا نتناشد الشعر ونتحدث باخبار جاهليتنا ، ولا شك ان المتحدث كان يعني باخبار الجاهلية ايامها . وقد بعث ايام الجاهلية في العصر الاسلامي وفي صدر هذا العصر بصورة خاصة حركة ادبية نشيطة قوامها المناقضة التي كان من نتاجها فيض من الشعر اضيف الى التراث الادبي لهذه الامة وان مثل في بعض جوانبه هبوطا في الخلق وذلك لانحراف الشعراء المتناقضـــين احيانا عما هو مألوف في المجتمع من اعراف .

ومع ذلك فأن هذا الشعر اضاف في مجمله رافدا غزيرا الى الحركة الادبية ولاهميته فقد اولاه كبار المصنفين الاسلاميين عنايتهم ، فألف فيه ابو عبيدة معمر بن المثنى كتابه المعروف ـ مناقضات جرير والفرزدق ـ الذي ضم فخر هذين الشاعرين بايام قومهما في الجاهلية والتهاجي بينهما في هذا المجال ، وقد اضحى هذا الكتاب فيما بعد مصدرا يعول عليه دراسة الايام ، ومثله فعل ابو تمام في كتابه نقائض جرير والاخطل ، فقد اورد فيه خلاصة للايام التي فخر بها هذان الشاعران

٤٦ـ ج٦ ص ٣ .

وان كان دون كتاب ابي عبيدة في السعة • ونجد مثل هذه العناية عند المحدثين من الادباء كالاستاذ احمد الشايب في كتابه تأريخ النقائض في الشعر العـــربي والدكتور محمود غناوي الزهيري في كتابه نقائض جرير والفرزدق واضرابهما • اذن فقد كان للايام تأثير بين على الاسلاميين وعلى شعرائهم بصورة خاصة وبامكاننا ان نتبين مثل هذا التأثير من خلال التراث الشعري الذي خلفه هؤلاء الشعراء • قال جرير من قصيدة يهجو فيها الفرزدق ويفخر بانتصار قومه بني يربوع في يوم طخفة وهو اليوم الذي هزمت فيه بنو يربوع ـ من تميم ـ المنذر بن ماء السماء عندما اراد المنذر نقل الردافة منهم الى بني مجاشع وهم قوم الفرزدق :

السـنا نحن قـد علمت معـد	غداة الـروع اجـدر ان نغـارا
واضرب بالسـيوف اذا تلاقـت	هوادى الخيل صادية حـرارا
واطعن حـين تختلف العـوالي	بمـأزول اذا مـا النقع ثـارا
واحمد في القـرى واعز نصـرا	وامنـع جانبـا واعـز جـارا
غضبنا يوم طخفة قـد علمتم	فصفدنا الملوك بهـا اعتسـارا (٤٧)

وقال ايضا في هجاء الفرزدق ذاكرا فرسان بني يربوع ومشيرا الى يوم طقفة المتقدم والى يوم ذي نجب الذي هزمت فيه يربوع بني عامر والى يوم جزع ظلال الذي ادعت فيه بنو يربوع انها استنفذت الاسرى والاموال من بني فزارة الذين غزوهم في هذا اليوم وخلص الى المقارنة بين تخاذل قوم الفرزدق في يوم الوقيط ـ وهو لبني بكر على بني تميم ـ وبين حفاظ قوم بني يربوع في يوم الغبيط وهو اليوم الذي غزاهم فيه بنو شيبان فاستطاعوا اللحاق بهم واستنفاذ الاسرى والاموال منهم وردهم منهزمين :

نحن السولاة لكـل حـرب تتقى	اذا انت محتضر لكـيرك صـنـال
من مثل فارس ذى الخمار وقنعب	والحنتفـين لليلـة البلبـال

٤٧ـ نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة ج١ ص ٢٥٣ •

الـــذائدون اذا النســاء تبـــذلت ... شــــهباء ذات قوانـــس ورعال

قوم هم عمــوا ابــاك وفيهــم ... حســب يفــوت بني قفيرة عــال

اني لتســلب الملوك فوارســي ... وينـــازلون اذا يقـــال نـــزال

من كل ابيض يســـتضاء بوجهه ... نظـــرا الجحيج الى خروج هلال

فأسأل بذي نجب فوارس عامــر ... وأســأل عيينة يوم جــزع ظلال

احسبت يومك بالــوقيظ كيومنــا ... يوم الغبيط بقلـة الارحـال[٤٨]

وفي هذا المعنى يقول الفرزدق من قصيدة يهجو بها جريرا ويذكره بيوم جدود الذي اغارت فيه بنو بكر ـ وزعيمها الحارث بن شريك ويدعى الحوفزان ـ على بني تميم فتخاذل بنو يربوع قوم جرير وحافظ بنو سعد حتى ردوا الغازين :

لــن تدركوا كــرمي بلؤم ابيكم ... واوبـــدى بتنحــل الاشــعار

هـــلا غـــداة حبستم اعيــاركم ... بجـــدود والخيــلان في اعصــار

والحــوفزان مســـوم افراســـه ... والمحصنات حواســـر الابكـــار

يدعــون زيـد منــاة اذ وليتــم ... لا يتقين عــلى قفــا بخمـــار

صبرت بنــو ســعد لهم برماحهم ... وكشفتم لهم عــن الادبــار[٤٩]

وقال من قصيدة اخرى مفتخرا على جرير بيوم الشقيقة الذي هزمت فيـه بنو ضبة بني شيبان وقتلت سيدها وفارسها بسطام بن قيس ،وبيوم ضربة وهو من ايام ضبة ايضا وقد دعاه يوم طخفة والنسار كما سيأتي :

بنو السـيد الاشـــام للاعــادى ... نمونـي للعلــى وبنــو ضــرار

وعائـــذة الــتي كانت تمــيم ... تقدمهـــا لمحنيـــة الذمـــار

واصحاب الشـــقيقة يــوم لاقــوا ... بني شــيبان بالاســـل الحـــرار

وســام عاقــد خــرزات ملــك ... يقــود الخيـــل تنبـــذ بالمهـار

٤٨ـ المصدر السابق ص ٢٩٨ وما بعدها .

٤٩ـ المصدر السابق ص ٣٢٥ .

اناخ بهم مغاضبة فلاقى | شعوب الموت او حلق الاسار
وفضل آل ضبة كل يوم | وقائع بالمجردة العوارى
وتقديم اذا أعترك المنايا | بجرد الخيل باللجج الغمار
وتقتيل الملوك وان منهم | فوارس يوم طخفة والنسار[50]

قال ابو عبيدة «اراد بطخفة والنسار يوم ضربة فلم يمكنه في الشعر فجعله يوم طخفة والنسار لقربهما من ضربة» . ودونك بعض ابيات نقيضتين لجرير والفرزدق قوامهما الافتخار بما كان لاسلافهما من وقائع في الجاهلية . قال الفرزدق[51] معددا بعض مآثر قومه واايامهم ومنها يوم النقا وهو يوم الشقيقة المتقدم :

فاسأل بنا وبكم اذا لاقيتم | جشم الاراقم او بني همام
منا الذي جمع الملوك وبينهم | حرب يشب سعيرها بضرام
وابي ابن صعصعة بن ليلى غالب | غلب الملوك ورهطه اعمامي
خالي الذي ترك التجيع برمحه | يوم النقا شرقا على بسطام
والخيل تنحط بالكماة ترى لها | رهجا بكل مجرب مقدام
والحوفزان تداركته غارة | منا باسفل اود ذى الآرام ....
متجردين على الجياد عشية .. | عصبا مجللة بدار ظلام

فاجابه جرير[52] مهونا من شأنه وذاما قومه ومزريا بهم لتخلفهم عن نصرة بني يربوع في يوم قشاوة الذي انتصر فيه بنو شيبان :

خلق الفرزدق سوءة في مالك | ولخلق ضبة كان شر غلام
مهلا فرزدق ان قومك فيهم .. | خور القلوب وخفة الاحلام
الظاعنون على العمى بجميعهم | والنازلون بشردار مقام
بئس الفوارس يوم نعف قشاوة | والخيل عادية على بسطام

٥٠ـ المصدر السابق ص ٢٣٣ وما بعدها .
٥١ـ المصدر السابق ص ٢٦٦ وما بعدها .
٥٢ـ المصدر السابق ص ٢٧٣/٢٧٤ .

ولم يقتصر التغني بالايام على جرير والفرزدق ، فقد فخر بها في الاسلام شعراء آخرون كالكميت الذي افتخر بيوم منعج الذي قتل فيـــه رياح الغنوى شأس بن زهير بن جذيمة العبسي ، وقد ذكر ان سبب فخر الكميت بهذا اليوم هو انتسابه لامين من غني(٥٣) :

انا ابن غني والداى كلاهمـــا لامين منهم في الفروع وفي الاصل
هم استودعوا زهرا نسيب بن سالم وهم عدلوا بين الحصينين بالنبــل
وهم قتلوا شأس الملـــوك ورغموا اباه زهـــيرا بالمـــذلة والثكـــل

تلك هي اذن كانت نظرة العرب جاهليين واسلاميين للايام ، فقد تأثروا بها وعدوها حقيقة واقعة وان كانت في الكثير من جوانبها تحتاج الى تمحيص تأريخي يثبت صحتها ويبعد المصطنع منها لان العرب آنذاك لم يكونوا مالكين لتلك النظرة الفاحصة عند تقييمهم للايام وذلك بفعل التعصب القبلي الغالب عليهم وما جره هذا التعصب من تقديس للتراث البطولي لدى اسلافهم ، فقد كان جل هممهم التفاخر بالمجد الغابر وتعظيمه على حساب الحقائق التأريخية ٠ وازاء ذلك فليس لنا الا ان تكون نظرتنا للايام منسجمة مع نظرتهم اليها دون تحمل معاناة الخوض في اثبات وقائعها واسماء أبطالها تأريخياً ، واذا كان الدكتور طه حسين قد حمل نفسه هذه المشقة مشكورا وادعى انكار الايام عند قوله(٥٤) «وكل ما يروى عن ايام العرب وخصوماتها ومما يتصل بذلك من الشعر خليق ان يكون موضوعا» فاننا لا نريد مجادلته في هذا المجال فهو اقدر على اثبات ما ذهب اليه منا انما الذي اردنا توضيحه هو مدى تأثير هذه الايام على العرب جاهليين كانوا او اسلاميين دون الغـور في التفاصيل التأريخية التي قد تجرنا الى مظان لم نقصدها اصلا ٠ فمن الخير لنا ان نولي مدى تأثير الايام على العرب في شتى نواحي حياتهم تاركين اثبات وقائعهـــا تأريخيا للمعنيين في المجال التأريخي ٠ فالايام سواء اكانت موضوعة ـ في بعضها ـ او حقيقية فانه يتعذر المجادلة في تأثيرها على العرب ، هذا التأثير الذي بدا واضحا في

٥٣ـ نهاية الادب للنويرى ج١٥ ص ٣٤٥/٣٤٦ ٠

٥٤ـ في الادب الجاهلي للدكتور طه حسين ص ١٥٩ ٠

التراث الشعري الذي خلفوه ٠ وصفوة القول يحدر بنا ان نذكر انه كما اعتقد العرب بالانساب وقاموا شتى مظاهر حياتهم على أساسها معتقدين بصحتها بالرغم من استحالة اثباتها جنسيا فانهم نظروا ذات النظرة الى الايام غير معتدين بالحقائق التأريخية وعلى هذا الاساس فلا حاجة لنا للغور في اعماق التاريخ لتبين مدى صحة الايام انما المهم هو تأثيرها على العرب ٠ وقد بدا لنا ذلك فيما تقدم٠

الفصل الثاني

اشهر الايام :

أيام العرب كثيرة جدا وقد يكون من المتعذر الاحاطة بها لان سكان الجزيرة العربية والبدو منهم بصورة خاصة كانوا في حرب تكاد تكون دائمة وذلك لاسباب املتها عليهم بيئتهم الطبيعية وكان ابرزها العامل الاقتصادي يضاف اليه التعصب القبلي والثأر للكرامة وحفظ الجوار والانتصار للحليف • وسترد جملة من هذه الاسباب في مظانها عند ذكر اشهر الايام فيما يلي من البحث • وقد اشارت المصنفات التي اتت عن ذكر ايام العرب الى كثرة هذه الايام واستحالة تقصيها ، فقد ذكر ابن الاثير في مقدمة الباب الذي سرد فيه ما يناهز السبعين يوما «ونحن نذكر الايام المشهورة والوقائع المذكورة التي اشتملت على جمع كثير وقتال شديد ولم اعرج على ذكر غارات تشتمل النفر اليسير لانه يكثر ويخرج عن الحصر»[٥٥] • اما الميداني فيقول بعد ان يعدد بأيجاز مائة وثلاثين يوما «وهذا الفن لايتقصاه الاحصاء فاقتصرت على ما ذكرت»[٥٦] ويبدو ان للأقدمين في ايام العرب عدة مؤلفات فقد معظمها ، فثمة اشارات الى ان صاحب الاغاني قد الف كتابا في الايام حوى الفا وسبعمائة يوم وان ابا عبيدة معمر بن المثنى[٥٧] له كتابان في الايام احدهما موسع اشتمل على الف ومائتي يوم وآخر مختصر سرد فيه سبعة وخمسين يوما وذكر بان لابي عبيدة سوى كتابيه المتقدمين عدة كتب اخرى قصرها في هذا المجال ومثله فعل هشام الكلبي[٥٨] • اما ماحفظ لنا من المصادر التي تأتي على الايام فاهمها نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة وهو يعرض لليوم عند وروده في احد ابيات المناقضة ، والكامل في التاريخ لابن الاثير

٥٥ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٠٢ •

٥٦ـ مجمع الامثال للميداني ج٢ ص ٤٤٤ •

٥٧ـ ومما يلاحظ ان معظم اصحاب المصنفات القديمة في الايام قد اخلوا عن ابي عبيدة فهم يصدرون رواياتهم عند ذكر اليوم ب «قال ابو عبيدة » وما في هذا المعنى •

٥٨ـ انظر في هذا المجال : شعر الحرب للدكتور علي الجندي ج١ ص٢١ وما بعدها وتاريخ النقائض للشايب ص ٦١ وما بعدها •

والعقد الفريد لابن عبد ربه والاغاني ومعجم البلدان لياقوت ومعجم ما استعجم للبكرى ونهاية الارب للنويرى ومجمع الامثال للميداني وشرح الحماسة للتبريزى وخزانة الادب للبغدادى والعمدة لابن رشيق والكامل في اللغة والادب للمبرد والمختار من نوادر الاخبار لمحمد بن احمد الانبارى ، وفي غير هـذه المصادر اشارات الى الايام ترد منبثة في كتب الادب والتاريخ القديمة • وعن المصادر المتقدمة اخذ المحدثون من المؤلفين عند كتابتهم عن الايام امثال الالوسي في بلوغ الارب وجرجي زيدان في العرب قبل الاسلام وجواد علي في تاريخ العرب قبل الاسلام ومحمد احمد جاد المولى وجماعته في كتاب ايام العرب في الجاهلية •

ولما كانت الايام بهذه السعة والشمول فاننا سنعرض في هـذا المجال الى المشهور منها والى تلك التي تركت اثرا في تاريخنا الادبي ، وبالامكان تبويبها الى أربع ابواب هي أيام العرب والفرس وايام القحطانيين فيما بينهم والايام التي جرت بين القحطانيين والعدنانيين وايام العدنانيين فيما بينهم ، واكثر هذه الايام اشتهارا وسعة وثراء في التاريخ الادبي هي الاخيرة التي وقعت بين عرب الشمال انفسهم كما سيتبين في سياق البحث :

١ ـ أيام العرب والفرس :

واشهرها يوما الصفقة وذى‌قار • اما الصفة[٥٩] فخلاصته ان بني تميم كانوا قد استولوا على احدى قوافل كسرى التجارية فأحتال عليهم كسرى بأن حبسهم في حصن المشقر وقتلهم هناك ، وقد سمي هذا اليوم بيوم الصفقة لان الفرس اصفقوا باب المشقر على بني تميم • اما يوم ذى‌قار فهو بين الفرس وقبائل بكر وكانت الغلبة فيه لبكر وكانت الوقعة وقد بعث الرسول صلى الله عليه وسلم فقال

٥٩ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٢٠ وما بعدها ويلاحظ ان يوم الكلاب الثاني بين مذحج وتميم يتصل بهذا اليوم كما سيأتي •

فيها «اليوم اول يوم انتصف فيه العرب من العجم وبي نصروا»[٦٠] • ومع ان الباعث على هذا اليوم هو عدم تسليم هانىء بن مسعود ودائع النعمان الى كسرى الا انه يمثل في جانبه الآخر تمرد عرب البادية على الفرس ونفورهم من السيطرة الاجنبية • وقد فخر العرب طويلا في هذا اليوم وقالوا فيه الكثير من الشعر من ذلك قول اعشى بكر في قصيدة طويلة :[٦١]

لما رأونا كشفنا عن جماجمنا	ليعلموا اننا بكر فينصرفوا
قالوا البقية والهندى يحصدهم	ولابقية الا السيف فانكشفوا
لو ان كل معد كان شاركنا	في يوم ذى قار ما اخطاهم الشرف
لما امالوا الى النشاب ايديهم	ملنا ببيض لمثل الهام تختطف
اذا اعطفنا عليهم عطفة صبرت	حتى تولت وكاد اليوم ينتصف
بطارق وبنو ملك مرازبة	من الاعاجم في آذانها الشنف
من كل مرجانة في البحر احرزها	تارها ووقاها طِينها الصدف
كأنما الآل في حافات جمعهم	والبيض برق بدا في عارض يكف

٢ ـ ايام القحطانيين فيما بينهم

واشهر هذه الايام هي الكلاب الاول والبردان وعين اباغ وحليمة واليحاميم ، ومغاورات الاوس والخزرج ، واليك هذه الطائفة منها :

آ ـ يوم الكلاب الاول[٦٢]

وهو اليوم الذي نشبت فيه الحرب بين شرحبيل وسلمة ابنى الحارث بن عمر آكل المرار الكندى ، وكان مع شرحبيل ضبة والرباب وبنو يربوع وبكر

٦٠ـ ينظر عن ذي قار التامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٤٨٢ وما بعدها وغيره من المصادر المعروفة • وقد لايتفق ذكر يوم ذى قار في هذا البحث لكونه يمثل حربا جرت بين فرس وعرب (وهذا ما ينطبق بالنسبة ليوم الصفقة) ولانه حدث وقد ظهر الاسلام ، وحجتنا في ايراده ان مصنفات الايام تدخل هذا اليوم ضمن ايام العرب اضافة الى ان من ايام العرب ما وقع بعد البعثة الا انه جاهلي في روحه كيومي الشيطين وسحبل ومثلهما كثير •

٦١ـ العقد الفريد • ج٦ ص ١١٦ •

٦٢ـ النقائض لابي عبيدة ، ج١ ص ٤٥٢ وما بعدها ، العقد الفريد ج٦ ص ٧٩/٧٨ ، الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٤٩ وما بعدها •

ومع سلمة تغلب والنمر وبهراء وبعض بني مالك بن حنظلة ، فالتقـوا على ماء يدعى الكلاب موضعة ما بين البصرة والكوفة كما يذكر ابو عبيدة في النقائض ، وكانت الغلبة لسلمة على اخيه شرحبيل الذي قتل في هذا اليوم ، فقال اخوه معديكرب الذي كان معتزلا الحرب يرثيه ويذم تميم لعدم حفاظها في المعركة (٦٣) :

ان جنبي عـن الفـراش لنـاب	كتجافي الاسـر فـوق الظـراب
مـن حـديث نما الي فمـا تـر	قأ عيني ومـا اسيغ شـرابي
مرة كالزعـاف اكتمهـا النـا	س عـلى حرملـة(٦٤) كالشـهاب
مـن شـرحبيل اذ تعـاوره الار	ماح مـن بعـد لـذة وشباب
يا ابن امي ولـو شـهدتك اذ تد	عو تميما وانت غـير مجـاب
لتشـددت مـن ورائـك حـتى	تبلـغ الرحب اوتبـز ثيـابي
احسنت وائـل وعادتهـا الاحـ	ـسان بالحنو يوم ضـرب الرقـاب
يـوم فـرت بنـو تميم وولت	خيلهـم يتقيـن بالاذنـاب
ويحكـم يـا بني اسـيد اني	ويحكـم ربكـم ورب الـرباب
ايـن معطيكم الجـزيل وحابيـ	كم على الفقـر بالمئين الكبـاب
فارس يطعـن الكتيبـة بالسيف	على نحـره كنضـخ الملاب

ب ـ يوم حليمة (٦٥)

وهذا اليوم من ايام المناذرة والغساسنة وقد يكون اشهرها ، وفي امثال العرب «ما يوم حليمة بسر» وحليمة هذه هي بنت الحارث الاعرج بن جبلـة الغساني وانما سمي اليوم باسمها لان اباها طلب منها ان تطيب الجند ابان المعركة لحملهم على القتال ، وقد انتصر الغسانيون في هذا اليوم وقتل ملك الحيرة المنذر بن المنذر ابن ماء السماء . وفي هذا اليوم يقول علقمة بن عبدة مادحا الحارث وبني غسان ومستشفعا اطلاق اخيه شأس من الاسر(٦٦) :

٦٣ـ النقائض ، لابي عبيدة ، ج١ ص ٤٥٦/٤٥٧ .
٦٤ـ الملة : الحجر
٦٥ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٤٢ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٥٤ وما بعدها .
٦٦ـ نفس المصدر السابق .

وقاتل من غسان أهل حفاظها وهنب وفاس جالدت وشبيب
تخشخش ابدان الحديد عليهم كما خشخشت يبس الحصاد جنوب
فلم تنج الا شطبة بلجامها •• والا طمر كالقناة نجيب
والاكمي ذو حفاظ كأنه •• بما ابتل من حد الظباة خضيب

ج - يوم بعاث(٦٧)

وهو من اشهر ايام الاوس والخزرج ، وكانت الغلبة فيه ابتداء للخزرج حيث فر الاوس منهزمين ، بيد ان زعيمهم حضير الكتائب الاشهلي ابى الفرار وطعن ساقه برمح واستصرخ الاوس الثبات ، فلما رأت الاوس ذلك جاشت حميتها وكرت ميممة القتال فرجحت كفتها في الحرب واكثرت من قتل الخزرج، وقد تغنى الشعراء الاوسيون بهذا اليوم ومنهم قيس بن الخطيم الذي فخر بانتصار قومه في بعاث وذلك في قصيدته الشهيرة التي مطلعها :(٦٨)

اتعرف رسما كالطراد المذاهب لعمرة وحشا غير موقف راكب

والتي يقول فيها بيته المشهور :

اجالدهم يوم الحديقة حسرا كأن يدي بسيف مخراق لاعب

وقال خفاف بن ندبة(٦٩) يرثي حضيراً لجرأته في القتال والذي مات في المعركة تأثرا بما اصابه من جراح :

اتاني حديث فكذبته وقيل خليلك في المرمس
فياعين بكي حضير الندى حضير الكتائب والمجلس
ويوم شديد اوار الحديد تقطع منه عرى الانفس
صليت به وعليك الحديـ ـد ما بين سلع الى الاعراس(٧٠)
فأودى بنفسك يوم الوغى ونقى ثيابك لم تدنس

٦٧- الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٨٠ وما بعدها .
٦٨- ديوان قيس بن الخطيم ص ٣١
٦٩- ايام العرب في الجاهلية ص ٧٩
٧٠- اسمان لموضعين

د ـ يوم سمير[٧١]

وهو من ايام الاوس والخزرج ايضا ، ويبدو انه من اوائل ايامهم ، وقد قدمت بعاثا عليه لان يوم بعاث اكثر منه شهرة . والذي سعر الحرب بينهما هو ان سميرا وهو من الاوس قد قتل احد احلاف الخزرج ويدعى كعب الثعلبي وهو من ذبيان وذلك بسبب مشاحنة حدثت بين الاثنين . وطلبت الخزرج تسليم القاتل للاقتصاص منه فاحتجت الاوس بانه قد كان في المكان الذي قتل فيه كعب اناس كثيرون ولا يمكن تعيين القاتل وكثر بينهم الكلام في ذلك ، وقال درهم اخو سمير ناصحا قومه بعدم تسليم اخيه للخزرج ليقتل بحليفهم ومتوعدا ان فعلوا ذلك :

يا قوم لا تقتلوا سميرا فان	القتل فيه البوار والأسف
ان تقتلوه ترن[٧٢] نسوتكم	على كريم ويفزع السلف
اني نعمر الذى يحج له النـ	ـاس ومن دون بيته سرف
يمين بر بالله مجتهد ..	يحلف ان كان ينفع الحلف
لا نرفع العبد فوق سنته	ما دام منا ببطنها شرف[٧٣]
انك لاق غداً غواة بني	عمي فانظر ما أنت مزدهف[٧٤]
فابد سيماك يعرفوك كما	يبدون سيماهم فتعترف[٧٥]

ثم استعرت الحرب بين الحيين ولما اتسع أوارها تداعى الاوسيون الى التحكيم فرضيت الخزرج بذلك ، فحكموا بينهما ثابت بن المنذر بن حرام ـ وهو والد حسان بن ثابت ـ وقد ارضاهما وذلك بأن تؤدى ديات القتلى بين الطرفين بما في ذلك دية حليف الخزرج وذلك في حديث طويل .

ويلاحظ ان أيام القبائل القحطانية التي عرضنا لها فيما تقدم وغيرها من

٧١ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٥٨ وما بعدها .

٧٢ـ ترن نسوتكم اى يبكين .

٧٣ـ يعرض هنا بحليف الخزرج كعب الثعلبي ويحلف بان الاوس لايدفعون بمقتله الا دية الحليف ، ويبدو ان الخزرج قد طالبوا بدية الصريح .

٧٤ـ المزدهف ـ المقتحم .

٧٥ـ يعرض في هذا البيت بمالك بن العجلان وهو زعيم الخزرج ، وكان قد عرف عنه التنكر في الحرب حتى لايقصد .

التي لم نعرض لها تجنباً للاطالة كانت قد نشبت أثر هجرة القبائل الجنوبية الى الشمال كما هو معروف عن استيطان الغساسنة والمناذرة الشـام والعراق وحلول قبائل الأوس والخزرج في يثرب ، وكانت لقبائل الجنوب النـازحة أيام اخرى استعرت بينها وبين القبائل العدنانية التي استفزت بالقادمين الجدد ، وسنتين شيئا من ذلك في الفقرة التالية •

٣ ـ ايام القحطانيين والعدنانيين

وقد مثلت هـذه الايام في معظمها نزوع البـدو الشماليين للتحـرر من السيطرة التي فرضتها عليهم القبـائل الجنوبية الطارئة ، وقد تجلى ذلك في يوم خزاز اذ اجتمعت معد كلها على كليب وائل وهي قلما اجتمعت على زعيم واحد لطبيعتها البدوية النافرة[٧٦] • ومن أشهر هذه الايام التي تجلت فيها نفرة قبائل الشمال من تسلط الجنوبيين أيام خزاز وحجر وطخفة واواره والكلاب الثاني وفيف الريح وظهر الدهناء وغيرها • وسنعرض هنا لابرزها :

أ ـ يوم خـــزاز[٧٧]

وخلاصته كما تروى الاخبار ، ان ملكاً من ملوك اليمن كان قد أسر قوماً من مضر وربيعة وقضاعة ، فبعثت معـد اليه بوفد من وجوهها تستشفع اطلاق الاسرى فاحتبس الملك قسماً من الوفد وطلب من الباقين دعوة رؤسـاء معد اليه ليأخذ المواثيق عليهم بالطاعة وهدد بقتل الرهائن اذا لم تفعل معد ذلك • واعلم العائدون قومهم بنية الملك فاجتمعت معد على كليب وائل واحتشدت لحرب مذحج وعندما علمت مذحج بذلك تهيـأت هي الاخرى للحرب والتقى الجمعان بخزاز

٧٦ـ ويذكر بهذا الصدد ان معدا كانت قد اجتمعت أول مرة تحت راية عامر بن الظرب في يـوم البيضاء ، وهذا اليوم كما يذكر الاخباريون هو اقدم ما وصلنا من ايام العرب ، وقد نشب بين العدنانيين ومذحج في اواسط القرن الرابع للميلاد وكانت الغلبة فيه للعدنانيين • اما اليوم الذي اتحدت فيه معد فهو يوم السلان الذى قادها فيه ربيعة بن الحارث • واليوم الثالث هو يوم خزار المتقدم والذى كانت رياسة معد فيه لكليب • وينظر في ذلك تأريخ العرب قبـل الاسلام للدكتور جواد علي ج٤ ص ٣٤٨ والعرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٣٥/ ٢٣٦ •

٧٧ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٢٠ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ١٠٩ وما بعدها ، العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٣٦/٢٣٧ ، العقد الفريد ج٦ ص ٩٧ • العمدة لابن رشيق ج٢ ص ٢٠١/٢٠٢ (وقد يسمى هذا اليوم يوم خزازى ايضا) •

ـ وهو جبل ما بين البصرة الى مكة ـ وكانت الغلبة في هذا اليوم لمعد وهزمت جموع اليمن شر هزيمة •

وفي ذلك يقول السفاح التغلبي(٧٨) :

وليلة بت اوقد في خزاز ... هديت كتائباً متحيرات
ضللن من السهاد وكن لولا ... سهاد القوم احسب هاديات

وقد فخر عمرو بن كلثوم بهذا اليوم بقوله :(٧٩)

ونحن غداة أوقد في خزازى ... رفدنا فوق رفد الرافدينا
فكنا الايمنين اذا التقينا ... وكان الايسرين بنو أبينا
فصالوا صولة فيما يليهم ... وصلنا صولة فيما يلينا
فآبوا بالنهاب وبالسبايا ... وابنا بالملوك مصفدينا

ب ـ يوم حجر(٨٠)

كان الحارث بن عمرو الكندى (٨١) قد ملك ابناءه على القبائل الشمالية ومنها بنو أسد التي ملك عليها ابنه حجراً •• وكان لحجر على بني أسد اتاوة سنوية ، وفي احدى السنين امتنع الاسديون عن ادائها وأهانوا رسل حجر ـ وكان آنذاك غائباً في تهامة ـ ولما علم بذلك سار اليهم واكثر فيهم القتل واجلالهم الى تهامة • وبعد حين أسر بنو أسد حجراً أثر قتال ، فقتله غيلة غلام أسدي كان حجر قد قتل أباه • وعندها قام بأخذ ثأره ابنه امرؤ القيس ـ الشاعر المعروف ـ فألب القبائل على بني أسد وأباحهم أكثر من مرة حتى أسرف فهجرته كثير من القبائل التي كانت تناصره لما رأت من لجاجته في القتال ولما أيقن بامتناع القبائل عن نصرته أخذ يطوف البلدان طلباً للنصرة الى ان انتهى به المطاف كما تروى الاخبار الى قيصر الروم ويزعم الرواة ان شخصا من بني أسد يدعى

٧٨ـ وهو قائد جيش كليب وكان كليب قد امره ان يوقد نارا على خزاز ليهتدى الجيش بها وقال له « ان غشيك العدو فأوقد نارين » والى ذلك يشير في بيتيه المذكورين •
٧٩ـ يقول في ذلك صاحب العقد ج٦ ص ٩٧ ولولا قول عمرو بن كلثوم ماعرف ذلك اليوم •
٨٠ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥١١ وما بعدها
٨١ـ وهو من مشاهير ملوك كندة وذكر ان القبائل هي التي طلبت تولية ابنائه عليها •

الطماح كان قد قتل امرؤ القيس أخاً له أغوى القيصر بقتله بادعاء وجود علاقة بينه وبين ابنته ـ ابنة القيصر ـ فكان ان أهدى اليه القيصر حلة مسمومة قصد قتله وعندما لبسها أحس بالسم يسري في عروقه وعلم ان الطماح هو الذي فتك به بوشايته ، وذكر انه قال في هذه الواقعة : [82]

لقد طمح الطماح من نحو أرضه ليلبسني مما يلبس ابؤسا
فلو انها نفس تموت سوية ولكنها نفس تساقط انفسا

ج ـ يوم طخفة[83]

وهو لبني يربوع من تميم على المنذر بن ماء السماء ومن حديثه ان ردافة[84] ملوك الحيرة كانت في بني يربوع ، وآلت في عهد المنذر بن ماء السماء لعتاب بن هرمي ولما مات أراد المنذر أن ينقلها الى بني مجاشع وهم قبيل من تميم أيضا فلما أبت بنو يربوع ذلك قارعهم الحرب في طخفة ـ وهو موضع ما بين البصرة ومكة ـ وقد هزمت بنو يربوع في هذا اليوم جيش المنذر وأسرت ابنه وأخاه وفي ذلك يقول مالك بن نويرة مفاخراً :

ونحن عقرنا مهر قابوس بعدما رأى القوم منه الموت والخيل تلحب
عليه دلاص ذات نسج وسيفه جراز من الهندى أبيض مقضب
طلبنا به انا مداريك نيلها .. اذا طلب الشأو البعيد المغرب

د ـ يوم اوارة[85]

وهو يومان أول وثان ، الاول للمنذر بن ماء السماء على بني بكر وقد ذبح المنذر من ظفر به من بني بكر في هذا اليوم على اوارة ـ وهو جبل لتميم ـ . أما الثاني فهو لعمرو بن هند على بني تميم ، وتذكر الروايات ان عمراً قد احرق

٨٢ـ الكامل في التاريخ ج١ ص ٥١٩ .
٨٣ـ المصدر السابق ص ٦٤٩/٦٥٠ ، ايام العرب في الجاهلية ص ٩٤ ، وما بعدها العقد الفريد ج٦ ص ٨٧/٨٨ ، النقائض ج٢ ص ٩٢٤/٩٢٥ .
٨٤ـ الردافة وهي مصاحبة الملك ومن حقوق الرديف ربع غنيمة الملك من غزواته .
٨٥ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٥٤٩ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٩٩ وما بعدها ، النقائض ج٢ ص ١٠٨١ وما بعدها .

في هذا اليوم مائة من بني تميم ، وفي ذلك يقول لقيط ابن زرارة [86] هاجياً بني مالك بن حنظلة ـ وهم الذين دارت عليهم الواقعة في هذا اليوم ـ .

فأبلغ لديك بني مالك ... مغلغلة وسراة الرباب
فان امرأ أنتم حوله ... تحفون قبته بالقباب
يهين سراتكم عامداً ... ويقتلكم مثل قتل الكلاب
فلو كنتم ابلا أملحت [87] ... لقد نزعت للمياه العذاب
ولو كنتم غنماً تصطفي ... ويترك سائرها للذئاب
لعمر أبيك أبي الخير ما ... أردت بقتلهم من صواب
ولا نعمة ان خير الملو ... ك أفضلهم نعمة في الرقاب

هـ ـ يوم الكلاب الثاني [88]

وهو لتميم على مذحج ، وكانت مذحج قد طمعت بتميم بعد أن اوقع بها كسرى في يوم الصفقة فرأت اجتياحها أملا بالغنيمة بيد ان تميماً حافظت في قتالها وارتدت مذحج مهزومة وكان ممن أسر منها في هذا اليوم زعيمها عبد يغوث الذي قال في أسره وهو يقدم للموت قصيدته المشهورة التي مطلعها :

ألا لا تلوماني كفى اللوم مابيا ... فمالكما في اللوم نفع ولا ليا

٤ ـ ايام العدنانيين فيما بينهم

وهي كما تقدم أكثر الايام شمولا واغناء للأدب الجاهلي وقد وقعت معظمها بين القبائل البدوية فمنها ما وقع بين القبائل القيسية نفسها أو بين هذه القبائل وقبائل كنانة من جهة وتميم من جهة اخرى ، ومنها ما وقع بين قبائل ربيعة نفسها أو بينها وبين قبائل تميم وهكذا .. [89] وسنمر فيما يلي من الفصل على جملة من هذه الايام .

٨٦ـ الاغاني ج ٢٢ ص ١٩٣/١٩٤
٨٧ـ اى وردت ماء ملحا .
٨٨ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٦٢٠ وما بعدها ، العقد الفريد ج٦ ص ٧٩ وما بعدها .
٨٩ـ وقد عمد صاحب العقد الفريد الى تبويب الايام على اساس ونوعها بين القبائل المختلفة ج٦ ص ٣٠ وما بعدها . وكذلك فعل النويرى في نهاية الادب ج١٥ ص ٣٣٨ وما بعدها وقلدهما جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام .

أ ـ ايام قيس

وهي كثيرة أشهرها حرب داحس والغبراء ، ومنها يوم منعج وبطن عاقل والرقم والنتأة وهراميت وحوزة الاول والثاني واللوى ، وسنتبين باقتضاب بعضها •

داحس والغبراء[٩٠] :

وهي حرب طويلة دارت بين عبس وذبيان واشتملت على عدة ايام هي : المريقب وذي حسى واليعمرية والهباءة والفروق وقطن • وتذكر الروايات ان الذى أثارها هو رهان جرى بين قيس بن زهير العبسي وحذيفة بن بدر من ذبيان [٩١] على سباق لخيلهما [٩٢] • وكان حذيفة قد ادعى السبق في حين أبى قيس ذلك لان حذيفة كان قد أكمن في طريق الخيل بعض الفتيان ليردوا داحساً وهو فرس قيس عن غايته ان جاء سابقاً وفي ذلك يقول قيس :

هم فخروا علي بغير فخر   وردوا دون غايته جوادي

وألح حذيفة في دعواه وذلك بأن طلب حقه في الرهان[٩٣] وارسل ابنه مالكاً الى زهير في طلبه فما كان من زهير الا ان قتله فلقحت الحرب بين عبس وذبيان وظلوا يتراوحون القتال كما يذكر الاخباريون اربعين سنة • وكان أول لقاء لهم في يوم المريقب وهو لعبس على ذبيان ثم التقوا مرة اخرى في يوم ذي حسى وكانت الغلبة فيه لذبيان ، وثأرت عبس لنفسها في يوم اليعمرية • وكان أشهر أيام داحس والغبراء هو يوم الهباءة الذي أسرفت فيه عبس في قتل ذبيان وفي ذلك يقول عمرو بن الاسلع : [٩٤]

٩٠ـ العقد الفريد ج٦ ص ١٧ وما بعدها ، نهاية الارب للنويرى ج ١٥ ص ٣٥٦ وما بعدها الكامل في التاريخ ج١ ص ٥٦٦ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٢٤٦ وما بعدها النقائض لابي عبيدة ج١ ص ٨٣ وما بعدها •
بل كان بين فرسي زهير داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والعنقاء ، الكامل في التاريخ

٩١ـ في رواية ان الرهان كان بين قيس بن زهير وحمل به بدر ، العقد الفريد ج٦ ص ١٧

٩٢ـ ذكر ان السباق كان بين داحس فرس قيس والغبراء فرس حذيفة وقيل بل كان فرسي زهير داحس والغبراء وفرسي حذيفة الخطار والعنقاء •

٩٣ـ وكان مائة بعير •

٩٤ـ العقد الفريد ج٦ ص ٢٣/٢٤

ان السماء وان الارض شاهدة — والله يشهد والانسان والبلد
إني جزيت بني بدر بسعيهم — على الهباءة قتلا ماله قود
لما التقينا على ارجاء جمتها — والمشرفية في ايماننا تقد ..
علوته بحسام ثم قلت له .. — خذها اليك فأنت السيد الصمد

وقتل في هذا اليوم حذيفة [٩٥] وأخوه حمل ومثل بهما وقد رثى زهير حملا بأبيات مؤثرة : [٩٦]

تعلم ان خير الناس ميت — على جفر الهباءة ما يريم
ولولا ظلمة ما زلت أبكي — عليه الدهر ما طلع النجوم
ولكن الفتى حمل به بدر — بغى والبغي مرتعه وخيم
أظن الحلم دل على قومي — وقد يستضعف الرجل الحليم
ومارست الرجال ومارسوني — فمعوج علي ومستقيم ..

وعقب هذا اليوم كانت لهم أيام الفروق وقطن وغدير قلبى[٩٧] ولكنها لم تبلغ في شدتها يوم الهباءة . وعندما كثرت استباحة الدماء بينهم تداعوا للصلح وقيل ان هرم بن سنان والحارث بن عوف قد تحملا ديات القتلى من الطرفين[٩٨] وفي ذلك يقول زهير بن أبي سلمى مادحاً الرجلين : [٩٩]

فأقسمت بالبيت الذى طاف حوله — رجال بنوه من قريش وجرهم
يمينا لنعم السيدان وجدتما .. — على كل حال من سحيل ومبرم
تداركتما عبسا وذبيان بعدما .. — تفانوا ودقوا بينهم عطر منشم
وقد قلتما ان ندرك السلم واسعا — بمال ومعروف من القول نسلم

٩٥- واليه يشير ابن الاسلع بقوله « علوته بحسام ... البيت ... »

٩٦- العقد الفريد ج٦ ص ٢٣ .

٩٧- هكذا يرد في نهاية الادب للنويرى ج١٥ ص ٣٦٣ وفي العقد الفريد ج٦ ص ٢٥ يرد « غدير قلياد » .

٩٨- وفي العقد ان الذي اصلح بينهما عوف ومعقل ابنا سبيع من بني ثعلبة واياهما يعني زهير بقوله :

تداكتما عبسا وذبيان .... الابيات .

٩٩- انظر معلقة زهير .

فأصبحتما منها على خير موطن بعيدين فيها من عقوق ومأثم
عظيمين في عليا معد هديتما ومن يستبح كنزاً من المجد يعظم

يوم بطن عاقل[١٠٠] :

وهو اليوم الذى قتل فيه الحارث بن ظالم المرى الذبياني خالد بن جعفر ابن كلاب العامري غيلة ببطن عاقل ـ وهو موضع بين البصرة ومكة ـ وقد كان الرجلان آنذاك في حضرة النعمان بن المنذر أمير الحيرة فحدثت ملاحاة بينهما أمام النعمان أغضبت الحارث فحملته على فعلته[١٠١] • وقد ظل الحارث اثر قتله خالداً يتنقل بين القبائل لان قومه اعظموا فعلته وأبوا اجارته ، وبسببه كانت وقعة رحرحان بين عامر وتميم ، ذلك ان تميما اجارت الحارث فأغضبت عامرا • وسيأتي ذلك عند الكلام عن يوم رحرحان •

يوم حوزة[١٠٢] :

وهو يومان كلاهما بين بني سليم وذبيان ، وحوزة اسم لواد في الحجاز • ففي اليوم الاول غزا معاوية بن عمرو بن الشريد السلمي بني مرة وفزارة ـ من ذبيان ـ يريد هاشما بن حرملة المري وذلك بسبب مشاحنة حدثت بينهما في عكاظ ، وقد قتل في هذا اليوم معاوية واصيب هاشم بجراح •

وفي اليوم الثاني خرج صخر ـ أخو معاوية ـ يريد بني مرة طلباً لثأر أخيه بيد انه لم يتمكن من هاشم انما قتل أخاه ، أما هاشم قاتل معاوية فقد قتله شخص من جشم اسمه عمرو بن قيس انتقاماً لمعاوية وفي ذلك تقول الخنساء :

فدا للفارس الجشمي نفسي وأفديه بمن لي من حميم
أفديه بكل بني سليم •• بظاعنهم وبالانس المقيم
كما في هاشم أقررت عيني •• وكانت لا تنام ولا تنيم

---

١٠٠ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٨/٧ ، ايام العرب في الجاهلية ص ٢٤٢ وما بعدها نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٤٩/٣٤٨ •

١٠١ ـ تذكر الروايات ان ثمة ثأرا سابقا بين خالد والحارث ذلك ان خالدا كان قد اغار على قوم الحارث ـ والحارث صغير ـ فأكثر فيهم القتل والسبي ويبدو ان خالدا قد ذكر الحارث بهذه الموقعة في حضرة النعمان •

١٠٢ ـ العقد الفريد ج٦ ص٢٨ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٦٥ وما بعدها •

يوم اللوى(١٠٣)

وهو بين غطفان وهوازن واللوى اسم لوادٍ .

ومن حديثه ان عبدالله بن الصمة غزا بني غطفان فأصاب منهم أموالا كثيرة فقال له أخوه دريد : النجاء ولا أظن غطفان عنا غافلة فأبى عبدالله الا أن ينتقع(١٠٤) . فلحقت بهم قبائل غطفان وهم باللوى فاقتلوا قتالا شديدا صرع فيه عبدالله وهزم الباقون . ولدريد قصيدة من عيون الشعر الجاهلي يرثي بها أخاه عبدالله ويعرض به لابائه النصيحة ، منها :

أمرتهم أمري بمنعرج اللوى	فلم يستبينوا الرشد الاضحى الغد
فلما عصوني كنت منهم وقداري	غوايتهم وانني غير مهتد ..
وهل أنا الا من غزية(١٠٥) ان غوت	غويت وان ترشد غزية أرشد

ب ـ ايام قيس وكنانة(١٠٦)

وأشهرها أيام الكديد وبرزة وحروب الفجار .

يوم الكديد

وهو لبني سليم من قيل على كنانة والكديد اسم لموضع . وفي هذا اليوم قتلت بنو سليم ربيعة بن المكدم احمى فرسان كنانه .

يوم برزة(١٠٧)

وهو لبني فراس من كنانة على بني سليم من قيس ، وبرزه اسم لموضع . وكان بنو سليم قد اغاروا على بني فراس بعد حين من قتلهم ربيعة بن المكدم ، بيد ان بني فراس هزموهم وقتل عبدالله بن جذل مالكا وكرز ابني خالد بن صخر بن الشريد السلمي وقال في ذلك مفاخرا .

---

١٠٣ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣٢ وما بعدها ، نهاية الادب للنويري ج١٥ ص ٣٦٨ وما بعدها .

١٠٤ ـ النقيعة ناقة يتخيرها زعيم القوم من الغنيمة لينحرها لاصحابه .

١٠٥ ـ غزية قبيلة دريد .

١٠٦ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣٨ ، نهاية الادب للنويري ج ١٥ ص ٣٧٣/٣٧٤ .

١٠٧ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣٨/٣٩ .

قتلنا مالكا فبكوا عليه ... وهل يغني من الجزع البكاء
وكرزا قد تركناه صريعا ... تسيل على ترائبه الدماء
فأن تجزع لذاك بنو سليم ... فقدوا وابيهم غلب العزاء
فصبرا يا سليم كما صبرنا ... وما فيكم لواحدنا كفاء
فلا تبعد ربيعة من نديم ... اخو الهلاك ان ذم الشتاء
وكم من غارة ورعيل خيل ... تداركها وقد حمس اللقاء

ايام الفجار(١٠٨)

وهي حروب قيس وكنانة التي استمرت عدة سنين وقد دعيت بايام الفجار لانها وقعت في الاشهر الحرم التي كان العرب يمتنعون فيها عن القتال • وقدقسمها الاخباريون الى فجارين ، اول وقعت فيه ثلاثة ايام وثان وقعت فيه خمسة ، والثاني هو الاهم لشدة ايامه بينا ايام الاول لاتعدو ان تكون مشاحنات بسيطة لم يصب بها كثيرون • وكان من عادتهم في الفجار الثاني ان يتواعدوا رأس الحول من العام التالي عند انتهاء اليوم ، لذا فقد التقوا في خمسة ايام على مدى اربع سنين ، اربعة منها لقيس على كنانة وقريش وهي أيام نخلة وشمطة والعبلاء والحريرة ، وواحد لكنانة وقريش على قيس وهو يوم عكاظ • وعكاظ من اشهر هذه الايام وقد اسرفت فيه كنانة من قتل قيس ، وفي ذلك يقول ضرار بن الخطاب الفهري :

ألم تسأل الناس عن شأننا ... ومن يثبت الامر كالخابر
غداة عكاظ اذا استكملت ... هوازن في لفها الحاضر
وجاءت سليم تهز القنا ... على كل سلهبة ضامر
وجئنا اليهم على المضمرات ... بارعن ذى لجب زاخر
فلما التقينا اذقناهم ••• ... طعانا بسمر القنا العائر
ففرت سليم ولم يصبروا ... وطارت شعاعنا بنو عامر

---

١٠٨ ـ الكامل في التاريخ ج١ ص ٦٧٦ وما بعدها ، العقد الفريد ج ٦ ص ١٠١ وما بعدها •

وفرت ثقيف الى لاتها بمنقلب الخائب الخاسر
وقاتلت العنس[109] شطر النهار ثم تولت مع الصادر

ح ـ ايام قيس وتميم :

ووقعت بين قيس وتميم عدة ايام اشهرها يوما رحرحان وشعب جبلة ، ومن ايامهم الاخرى يوم ذي نجب لبني تميم على بني عامر من قيس وذو نجب اسم لموضع ، ويوم الصرائم بين بني عبس من قيس وبني يربوع من تميم والصرائم اسم لموضع ايضا ، ويوم الرغام لبني يربوع من تميم على بني كلاب من قيس والرغام اسم لرمل في اليمامة ، ويوم جزع ظلال وهو لفزارة من قيس على تميم وجزع ظلال اسم لموضع ، ويوم المروت وهو لبني تميم على بني عامر من قيس والمروت اسم لموضع ايضا • وسنأتي فيما يلي من الكلام على يومي رحرحان وشعب جبلة لكونهما اشهر ايام قيس وتميم •

يوم رحرحان(١١٠) :

تقدم عند الكلام عن يوم بطن عاقل بان بني تميم قد اجاروا الحارث بن ظالم المرى بعد ان انفض عنه قومه ، فبلغ ذلك بني عامر فغزت تميما ، وكانت الغلبة لعامر ، واكثرت في تميم القتل واسرت جماعة من اشرافهم بينهم معبد بن زرارة وقد اسره عامر بن الطفيل الشاعر الفارس المعروف • وعندما طلبت بنو عامر به فداء ملك رفض اخوه لقيط ذلك وابى الا ان يدفع في فدائه مائتي بعير ، فكان ان مات معبد عند بني عامر هزالا لان عامرا منعت عنه الطعام والشراب ، وفي ذلك يقول عامر بن الطفيل :

قضينا الحزن من عبس وكانت منية معبد فينا هزالا

---

١٠٩ ـ اسم القبيلة •

١١٠ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٩/٨ ، الكامل في التاريخ ج ١ ص ٥٥٦ وما بعدها ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٤٩/٣٥٠ ، نقائض ابي عبيدة ج٢ ص ١٠٦٠ وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٣٤٤ وما بعدها ، الاغاني ج١١ ص ١٠٧ وما بعدها •

وقال شريح بن الاحوص يهجو لقيطا لانه ابى فداء اخيه :

لقيــط وانت امــروء ماجـد	ولـكن حلمك لا يهتـدى
الما امنت وسـاغ الشـرا	ب واحتـل بيتك فـي ثهمـد
رفعت برجـلك فـوق الفـرا	ش تهـدى القصائد فـي معبد
واسـلمته عنـد جـد القتـال	وتبخـل بالمـال ان تفتـدى

يوم شعب جبلة(١١١) :

وهو لبني عامر ـ من قيس ـ وحلفائها العبسيين على بني تميم وحلفائهم من بني ذبيان واسد وغيرهم • ويعتبر هذا اليوم من اشهر ايام العرب لكثرة المتحاربين فيه ، فقد جاء في الاغاني «قال ابو عبيدة : واما يوم جبلة فكان من عظام ايام العرب وكان عظام ايام العرب ثلاثة : يوم كلاب ربيعة ويوم جبلة ويوم ذي‌قار» (١١٢) وكان الساعي في هذا اليوم هو لقيط بن زرارة ـ سيد تميم ـ ابتغاء ثأر اخيه معبد الذي مات اسيرا في بني عامر اثر يوم رحرحان كما تقدم • وقد استمال لقيط القبائل في حربه هذه فانضم اليه بنو اسد وذبيان ، وقد انضمت ذبيان اليه لان بني عبس ـ خصومها في حرب داحس والغبراء ـ كانوا حلفا لبني عامر ،واغرى لقيط كلا من الجون الكلبي ملك هجر والنعمان بن المنذر امير الحيرة بغزو بني عامر فانجداه بجيشين ، ولما رأى بنو عامر حشد لقيط عليهم ايقنوا بعدم قدرتهم على ملاقاته فاستعملوا الدهاء ، وذلك بان كمنوا في شعب جبلة ومنعوا ابلهم المرعى والماء عدة ايام ، ولما هاجهم لقيط اطلقوا عقل الابل فهوت مسرعة نحو مواردها والقوم وراءها يرجسونها بالحجر ، فولت جيوش تميم مذعورة وبنو عامر يتبعونها قتلا واسرا ، وكان لقيط واحداً من قتلى هذا اليوم المرير •

---

١١١ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج١ ص ٥٨٣ وما بعدها ؛ نهاية الارب للنويرى ج١٥ ص ٣٥٠ ومابعدها ، نقائض ابي عبيدة ج٢ ص ٦٥٤ ومابعدها ، الاغاني ج ١١ ص ١٢٥ ، وما بعدها ، ايام العرب في الجاهلية ص ٣٤٩ وما بعدها • العمدة لابن رشيق ج٢ ص ١٩٣/١٩٤ •

١١٢ ـ الاغاني ج ١١ ص ١٢٥

د ـ ايام ربيعة[113] :

واشهر ايامها حرب البسوس ، وهي حرب واسعة استعرت بين بكر وتغلب ابني وائل ، وذكر انها استمرت اربعين سنة ووقعت فيها ايام عديدة اشهرها :

يوم النهى لتغلب على بكر ، والنهى اسم ماء لبني شيبان •

يوم الذنائب لتغلب على بكر ، والذنائب موضع بين البصرة ومكة •

يوم واردات لتغلب على بكر ، وواردات موضع بين البصرة ومكة ايضا •

يوم عنيزة ، وقد تكافأت تغلب وبكر في هذا اليوم ، وعنيزة موضع في اليمامة •

يوم القصيبات لتغلب على بكر ، والقصيبات اسم لموضع في ديار بكر •

يوم تحلاق اللمم[114] وهو لبكر على تغلب ، ويعتبر من اشهر ايام البسوس وانما سمي بيوم تحلاق اللمم لان بكرا حلقت رؤوسها استبسالا للموت •

وتروى الاخبار ان الذي اثار هذه الحرب بين ابني وائل هو ان كليبا[115] اصاب ناقة البسوس بسهم ـ والبسوس خالة جساس[116] ـ لانها كانت ترعى مع ابله فاغضب ذلك جساسا وذهب الى كليب معاتبا ، ثم ان جساسا قتل كليبا اثر ذلك فنشبت الحرب بين القبلتين • هذا ما ترويه الاخبار عن قصة هذه الحرب ، ويبدو ان لها سببا آخر غير سببها المباشر ذلك ان كليبا عقب قيادته معدا كلها في يوم خزاز وانتصاره على مذحج حمله زهو كبير واشتط في حكم قومه وسلبهم الماء والمرعى ، ومما قيل في هذا المجال انه كان يحمي مواقع السحاب فلا يرعى حماه • فكأن جساسا عندما قتله كان يرد عن بكر ماعانته من بغي وذل على يد كليب •

وقد اسرف مهلهل ـ وهو اخو كليب ـ في قتل بكر عندما قام بتغلب طلبا لثأر اخيه ، وكان المنتصر في اكثر الايام التي خاضا سعيا وراء ذلك الا في يوم

---

١١٣ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٦٩ وما بعدها ، الكامل في التاريخ ج١ ص ٥٢٣ وما بعدها نهاية الارب للنويري ج ١٥ ص ٣٩٦ وما بعدها •

١١٤ ـ وقد يسمى هذا اليوم بيوم قضة العقد ج ٦ ص ٧٦ •

١١٥ ـ كليب هو زعيم تغلب

١١٦ ـ جساس من بكر •

تحلاق اللمم عندما قام بامر بكر الحارث بن عباد[117] اثر قتل مهلهل ابنه بجيرا، وكان الحارث قبل ذلك معتزلا الحرب وفي ذلك يقول من قصيدة طويلة :

اصبحت وائل تعج من الحر	ب عجيج الجمال بالاثقال
لا بجير اغنى قتيلا ولا رهـ	ط كليب تزاجروا عن ضلال
لم اكن من جناتها علم الله	واني بحرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا	فأبت تغلب علي اعتزالي
واشابوا ذؤابتي ببجير	قتلوه ظلما بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب[118]	ان قتل الكريم بالشسع غال
يا بني تغلب خذوا الحذر انا	قد شربنا بكأس موت زلال
قربا مربط النعامة مني	لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني	لا نبيع الرجال بيع النعال
قربا مربط النعامة مني	لبجير فداه عمي وخالي

وقد كرر قوله « قربا مربط النعامة مني » مرات عديدة استنفدت جزءا كبيرا من قصيدته •

هـ ـ ايام ربيعة وتميم[119] :

وقد خاضت ربيعة وتميم اياما عديدة اشهرها :

يوم الوقيط وهو لبكر من ربيعة على تميم ، والوقيط اسم لموضع •

يوم ثيتل ، وهو لتميم على بكر وقد يسمى هذا اليوم بيوم النباح وسبب ذلك أن تميما عندما غزت بكراً تنازع كل من قيس بن عاصم المنقري وسلامة بن ظرب على الاغارة ثم اتفقا على أن يتقسما بكرا حين يغير قيس على البكريين في النباح ـ

---

117 ـ وهو من بكر وابى ان يدخل الحرب خوفا من اتساعها •

118 ـ يروى ان مهلهلا عند قتل كليبا قال « بوء بشسع نعل كليب » والى ذلك يشير الحارث في هذا البيت •

119 ـ العقد الفريد ج٦ ص ٤٤ وما بعدها ، نهاية الارب للنويرى ج١٥ ص ٣٧٩ وما بعدها ، نقائض ابي عبيدة ج١ و ٢ الصفحات ١٩ ، ٤٧ ، ٧٥ ، ١٤٤ ، ٢٣٢ ، ٣٢٦ ، ٤٠٤ ، ٥٨٠ ، ٦٨٠ ، ١٠٢٣ ، الكامل في التاريخ ج ١ الصفحات ٥٩٦ ، ٥٩٨ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٤ ، ٦١٠ ، ٦١٢ ، ٦١٣ ، ٦٢٠ ، ٦٥٢ ، العرب قبل الاسلام لجرجي زيدان ص ٢٤٢ ومابعدها •

وهو اسم لموضع – ويغير سلامة عليهم في ثيتل – وهو اسم ماء قرب البصرة – وكان الموضعان متقاربين •

يوم جدود وهو لبني منقر من تميم على بكر من ربيعة ، وجدود اسم لموضع في بلاد تميم •

يوم زرود وهو لبني يربوع من تميم على بني تغلب من ربيعة ، وزرود اسم لرمل في طريق مكة •

يوم ذى طلوح وهو لبني يربوع ايضا على بني بكر ، وذو طلوح اسم لموضع وقد يسمى هذا اليوم بيوم الصمد •

يوم الاياد وفيه هزمت يربوع بكرا وزعيمها بسطام بن قيس شر هزيمة ، والاياد اسم لموضع ، وقد يسمى هذا اليوم بيوم العظالى والافاقة ومليحة واعشاش، وسمي بيوم العظالى لان رؤساء بكر تعاظلوا على الرئاسة فيه •

يوم الغبيط ويسمى ايضا غبيط المدرة وصحراء فلج وكل هذه الاسماء تدل على مواضع ، وقد يسمى يوم الثعالب وذلك لان بني شيبان – من بكر – كانوا قد اغاروا على اربعة احياء كل منها يدعى ثعلبة وكان بسطام بن قيس الشيباني يقود شيبان في هذا اليوم وقد هزم فيه قبائل تميم بيد ان يربوعا الحت في طلبه حتى ادركته وجيشه وما استاق من غنيمة في غبيط المدرة فهزموا جيشه واسروه اثر قتال مرير ، وقد اسره عتيبة بن الحارث بن شهاب وفي ذلك يقول :

ابلغ سراة بني شيبان مألكة ... اني ابأت بعبدالله بسطاما
ان تحرزوه بذى قار فذاقنة ... فقد هبطت به بيدا واعلاما
قاظ الشربة في قيد وسلسلة ... صوت الحديد يغنيه اذا قاما

يوم قشاوة وهو لبني شيبان من بكر على بني يربوع من تميم ، وقد يسمى بيوم نعف قشادة وهو اسم لموضع •

يوم زبالة وهو لبني شيبان ايضا على بني تميم ، وزبالة موضع بطرق مكة •

يوم مبايض هو من ايام شيبان على تميم ، ومبايض اسم ماء لبني تميم •

يوم الزويرين وهو لبكر من ربيعة على تميم ، ويعتبر هذا اليوم من اشهر ايام ربيعة وتميم •

ومن حديثه ان بكرا كانت قد اسرفت في عدوانها على تميم فناجرتها تميم الحرب ، وعند اللقاء عقلت بعيرين بين جيشـها وجيش تميم سمتها الزويرين وتعاهدت على عدم الفرار حتى يولي البعيران ، فكانت الدائـرة على بني تميم وتتبعها بكر قتلا واسرا • وفي ذلك يقول الاعشى :

يا سلم ان تسألي عنا فلا كشف	عنـد اللقـاء ولسنا بالمقـاريف
نحن الذين هزمنا يوم صحبناه•	جيش الزويرين في جمع لاحاليف
ظلوا وظلنا نكر الخيل وسـطهم	بالشيب منا وبالمرد الغطـاريف
تستأنف الشـرف الاعـلى باعينها	لمح الصقور علت فـوق الاظاليف
انسل عنها نسيل الصيف فانجردت	تحت اللبـون منون كالزحـاليف

وترد في العقد الفريد وسواه من مصادر الايام ايام اخرى قامت بين قبائل ربيعة وتميم منها ايام الحائر والقحقح ورأس العين وسفوان والسلى ونقأ الحسن وكلها لتميم على بكر ومنها ايام صعفوق وفيحان والحاجر والشقيف وهي لبكر على تميم •

الفصل الثالث

اثر أيام العرب في الشعر من حيث كونها عاملا مؤثرا في شحذ القرائح وحمل الشعراء على قول الشعر ابان المعركة وفيما بعدها ومن حيث كونها عاملا في انتحال الشعر :

يمتاز الشاعر عموما برهافة في الحس قد لا يمتلكها الاخرون وان متلكوها فهم غير قادرين على ابرازها بالصور الشعرية المؤثرة التي تفرد بها . فهو بحكم تسلط العاطفة عليه لا يستطيع المرور غير آبه بالمؤثر من جوانب الحياة ، فتراه يقف عندها وقد يطيل الوقوف مستخدما ملكته الفنية في ابرازها سواء اكانت جوانب حسنة تطمئن اليها النفوس او رديئة تنفر منها فغايته القصوى ابرازها بأمانة حتى اذا ما تطلع اليها الاخرون من خلال الاسلوب الشعري المعبر وجدوا فيها ما يجول بخواطرهم وان عجزوا عن التصوير لافتقارهم الاداة الفنية التيحظي بها الشاعر . ومع ان ما تقدم يقع في دائرة البديهية التي لايحتاج ادر كها الى كثير عناء فان الدافع لا يراده ما انا بصدده من موضوع وهو اثر ايام العرب في شحذ قرائح الشعراء الجاهليين . فان الدارس ليعجب وهو يطالع هذا الفيض الغامر من التراث الشعري الذي خلفه اولئك الشعراء مصورين به بطولات قبائلهم ومعتذرين عن هزائمها وطارقين شتى الاغراض الشعرية ، فمن رثاء لقتيل وتعظيم لبطل وهجو لجبان وتهديد بانتقام وما الى ذلك من مواضيع توحي بها محنة الحرب القاسية . ومن العرب الاقدمين من تنبه الى هذه الظاهرة ، ظاهرة تأثير الحرب في الشعر فوجد ان الشعر ينمو ويزدهر في اجواء المعارك واندلاع نيرانها ويذوى عند خمودها ، قال ابن سلام(١٢٠) « وانما كان يكثر الشعر بالحروب التي تكون بين الاحياء نحو حرب الاوس والخزرج او قوم يغيرون ويغار عليهم والذي قلل شعر قريش انه لم يكن بينهم نائرة(١٢١) ولم يحاربوا وذلك الذي قلل شعر

---

١٢٠ ـ طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي ص ٢١٧ .
١٢١ ـ النائرة : الفتنة والحقد .

عمان واهل الطائف» واذا كان ابن سلام قد وجد في الحرب منطلقا لقول الشعر فان مما يجب ادراكه هنا هو ان المناسبة الحاسمة اجمالا تفجر العواطف وبخاصة لدى الشعراء القادرين على رسمها صورا معبرة عما يجول في الخواطر ، وقد وجد ابن سلام في الحرب ومشاهدها المؤثرة خير معين لابراز تلك الخواطر بالرغم من ان الحرب احد العوامل المؤثرة في الشاعر وان كانت اكثرها تأثيرا • وبالنسبة للشاعر الجاهلي فان الايام او المعارك قد الهبت عواطفه ودفعته الى قول الشعر في مجالين ، الاول ابان المعركة والثاني فيما بعدها • وهو في المجال الثـــاني أكثر ابداعا واسهابا وفي الاول أكثر اثارة وحماسا ، ففي أبان المعركة لم يعن بالاطالة او بالجوانب الفنية اذ ان نضاله في حومة القتال ، والموت يتربص به وبقومه قــد دفعه الى استنهاض الهمم والحض على الاستبسال حفاظا على شرف القبيلة وطمعاً في نيل النصر وذلك بابيات مرتجلة جلها من الرجز اوحت بها مناسبة الحرب المريرة وقد اختار الرجز ـ او ان الرجز بالاحرى فرض وجوده في هذا المجال ـ بسبب من خفة ايقاعه واتساقه مع جو الحرب الصاخب ، وثمة امثلة كثيرة تعن للباحث بهذا الصدد ادخرها للفصل التالي المكرس جزء منه لهذا الموضوع ، ولا اجـد بأسا من الاستشهاد هنا بشيء منها استكمالا لهذا الفصل • ففي يوم شعب جبلـة الذي تقدم التعريف به قال احد بني عامر مرتجزا في اثناء القتال ومفتخرا بانتصار قومه :(١٢٢)

لم أر يوماً مثـــل يوم جبـــله	يوم أتتنـــا أســـد وحنظـــله
وغطفـــان والملوك ازفـــله (١٢٣)	نضـــــربهم بقضب منتخـــلة
لم تعـد ان أفرش عنها الصقـــله	حتى حدوناهم حداء الزومله(١٢٤)

---

١٢٢ ـ الاغاني ج١١ ص ١٣٤ •

١٢٣ ـ الازفلة الجماعة والمنتخلة المختارة •

١٢٤ ـ الزوملة ، الابل

وقال عامري آخر في المناسبة نفسها [١٢٥] :

نحن حمـاة الشعب يوم جبـــله   بكل عضب صارم ومعبله [١٢٦]

وهيكل نهـــــد معا وهيـــكله

واذا كان للمنتصرين مثل هذ الصـوت المفتخر فان اجواء المعركة عرفت صوتاً آخر ردده المنهزمون يدعو للثبات ومغالبة العـدو . قال لقيـط بن زرارة زعيم تميم المغلوبة في يوم جبلة يحث قومه على الاقدام ويمنيهم بثمن الانتصـار وقد لمس منهم التخاذل : [١٢٧]

عرفتكم والدمعم العين يكف[١٢٨]   لفـارس اتلفتموه مـا خلف

ان النشيل[١٢٩] والشواء والرغف   والقينة الحسناء والكأس الانف[١٣٠]

وصفوة القدر وتعجيل اللقف[١٣١]   للطاعنين الخيل والخيل قطف[١٣٢]

وقـــال : [١٣٣]

اكلكم يزجركم ارحب هلا[١٣٤]   ولن تروه الدهـــر الا مقبـــلا

يحمل زغفـا[١٣٥] ورئيا جحفلا   وسائلا في أهـــله ما فعـــلا ..

ولما شدد العامريون قبضتهم على بني تميم لم يجد لقيط من أحد يستنهضه بعد ان عدم المعين سوى فرسه فخاطبه مرتجزاً [١٣٦] :

اشـــقر ان لم تتقـــدم تنحـــر   وان تأخـــر عن هيـــاج تعقـــر

---

١٢٥ ـ المصدر السابق ص ١٣٤ .
١٢٦ ـ المعبلة ، السهم اذا كان نصله عريضا .
١٢٧ ـ المصدر السابق ص ١٣٥ .
١٢٨ ـ يكف ، يســيل .
١٢٩ ـ النشيل ، اللحم المطبوخ .
١٣٠ ـ الكاس الانف التي لم يشرب فيها من قبل .
١٣١ ـ اللقف ، ما يلقف ويتناول من الطعام .
١٣٢ ـ قطف ، جمع قطوف وهو المتقارب من الخطو او البطيء من الدواب .
١٣٣ ـ المصدر السابق ص ١٣٦ .
١٣٤ ـ ارحب وهلا مما تزجر به الخيل ، يقال للخيل ارحب وارحبي اى توسعي وتباعدي وهـــلا اى أسكني وقري .
١٣٥ ـ الزغف والزغفة الدرع المحكمة او اللينة والجمع الزغف .
١٣٦ ـ المصدر السابق ص ١٣٦ .

فأجابه أحد بني عامر مزرياً به ومهوناً من بأسه (١٣٧) :

ان كنت ذا صدق فاقحمه الجرف   وقرب الاشبـقر حى تعـترف

وجوهنا انا بنو البيض العطف (١٣٨)

ولما أيقنت تميم بالهزيمـة واكثرت فيها عامر القتـل والاسر أخذت تلوم لقيطاً على زجها في هذه الحرب ، فرد لقيط وهو يتحرق أسى (١٣٩) :

يا قـوم قد احرقتموني باللـوم   ولم اقـاتل عامـرا قبـل اليـوم
فاليـوم اذ قاتلتهـم فلا لـوم   تقـدموا وقدموني للقـوم
شـتان هذا والعنـاق والنـوم   والمضجع البـارد في ظل الدوم

فأجابه أحد بني تميم لائماً (١٤٠) :

لكن ان قاتلتها قبل اليوم   اذ كنت لا تعصي اموري فيالقوم

وفي هـذا المعنى قال رجل من بني أسـد ـ وأسـد حليفة تميم في هـذه الحرب ـ متهكماً ومعرضاً بخـدعة الابل التي انتصر بسببها العامريون في يوم جبـلة (١٤١)

زعمت ان العير(١٤٢) لا تقـاتل   بلى اذا ما قعقع الرحـائل
واختلف الهنـدى والذوابـل   وقالت الابطـال من ينـازل

بلـى وفيهـا حسـب ونائـل

ومثلما حفـل يوم جبـلة بفيض من الرجـز الذى أنشـده المنتصريون والمنهزمون أثناء اتقاد نار الحرب فان أيام العرب الاخرى قد حفلت أيضـاً بهذا النوع من الشعر الصاخب الذى أوحت به رهبة الحرب والذى سنتبين مزيداً منه في الفصل الآتي • وكما تقدم فان الشـعر الذى قاله الشـاعر الجاهلي فيما بعد

---

١٣٧ ـ المصدر السابق ص ١٣٦ •
١٣٨ ـ العطف جمع عطوف وهو وصف من عطف عليه يعطف عطفا اذا رجع عليه بما يكره •
١٣٩ ـ المصدر السابق ص ١٣٥ •
١٤٠ ـ المصدر السابق ص ١٣٥ •
١٤١ ـ المصدر السابق ص ١٣٤ •
١٤٢ ـ العير ، الابل •

المعركة يختلف عما قاله في أبانها ، فقد أطال فيه القصيدة ونوع في أغراضها وبحورها وأبرز فيها قدرته الفنية في حين اعتمد المقطعات القصيرة فيما ارتجله من رجز في أبان المعركة والسبب في هذا التباين يعود الى تباين موقفيه في أبان المعركة وفيما بعدها ، فهو في الموقف الاول واقع تحت تأثير المعركة المتمثل بمشاهد من الموت مريعة ، فمن خيل أتعبها الكر والفر وسيوف تثلمت فوق هامات الرجال ورماح مشرعة غاصت في مقاتلهم • وتأثراً بهذا الموقف والموت يتحينه من كل جانب انطلق مرتجلا مقطعات الرجز الحماسية التي تقدم شيء منها غير عابيء بالاطالة أو بالتصوير الفني مبتغياً اثارة كوامن عزيمته وعزيمة المقاتلين من قومه • أما فيما بعد المعركة فان موقفه يختلف كثيراً ، فقد عاوده الهدوء الذى افتقده في أثناء القتال واخذ يستعيد بعد ان ظفر بنعمة الحياة ذكريات بلائه في مقاومة الاعداء ، واجمالا فهو في هذا الموقف مفتخر ومادح وراث وطارق شتى الاغراض الشعرية الاخرى التي أوحت بها مشاركته في المعركة وهو أيضا مبالغ ومهول من شأنه ومن شأن قومه ومهون في الوقت ذاته من شأن الاعداء • وأهم الاغراض التي طرقها الشاعر الجاهلي في هذا المجال هي :

١ - الفخر والحماسة :

وهما الغرضان الغالبان على ما عداهما من الاغراض الشعرية الاخرى التي طرقها الشاعر الجاهلي عند تعرضه لايام قومه ، وقد اتسع لهما المجال أمامه بسبب من سعة معانيهما وتشعب جوانبهما ولانسجامهما مع طبيعة مجتمع الجاهلية القبلي ، فأقصى ما كانت تأمله القبيلة في الجاهلية هو صوت يجهر بمآثرها ليطغى على غيره من أصوات القبائل المعادية ، فكان الشاعر في مثل هذا المجتمع ذلك الصوت المعبر عن أماني قبيلته ، فرجالها يبدون من خلال شعره أبطالا مغاوير يتميزون بالصبر والجلد في المعارك ويجودون بدمائهم من اجل الظفر • وأزاء ذلك كان يرسم صوراً معاكسة للعدو لا يتفحص المتطلع اليها سوى ملامح الجبن والاستكانة ، فهذا العدو مستباح الحمى ورجاله أما قتيل يتناهشه الوحشي من حيوان الصحراء أو أسير ترتسم في عينيه مذلة الهزيمة أو

فار تتعقبه خيل المنتصرين ، وايغالا في التهوين من شأنه وثلم كبريائه فقد صور حال نسائه عقب الغارة وهن سبايا تتلقفهن الايدى وهو أمر استحلى الجاهلي الموت دونه • واذا كان جو الحرب بما فيه من أشلاء ودماء قد اوحى الىالشاعر الجاهلي بصور بعيدة عن المعاني الانسانية فان هذه المعاني لم تمت في نفسه اطلاقاً اذ كانت تنهد فيها أحيانا فتراه يفخر بانتصاره لمستغيث او لامرأة فقدت النصير كما لو كان كل منهما من أهله • وعموما فان الشاعر الجاهلي قد فخر عند تعرضه للايام بقبيلته وبطولاتها وخص افراداً منها أظهروا في الحرب حسن البلاء بحيث غدوا عنواناً لفخرها ومجدها وهو الى جانب ذلك كثيراً ما يشيد بنفسه لخوضه مستبسلا غمرات الوغى • قال محرز بن المكعبر الضبي مفتخراً بانتصار قومه بني تميم على مذحج في يوم الكلاب الثاني (١٤٣)

فدى لقومي ما جمعت من نشب	اذ ساقت الحرب أقواماً لاقوام
قد حدثت مذحج عنا وقد علمت	ان لن يورع عن احسابنا حام
دارت رحاكم قليلا ثم وجهكم	ضرب يصيح منه مسكن الهام
ساروا الينا وهم صيد رؤوسهم	فقد جعلنا لهم يوماً كأيام
ظلت ضباع مجيرات يعدنهم	والحموهن منهم أي الحام
ولا حذنة(١٤٤) لم نترك لها سبعا	الا له جزر من شلو مقدام
ظلت تدوس بني عمرو بكلكلها	وهم يوم بني سعد باظلام

واثر انتصار بني يربوع على المنذر بن ماء السماء في يوم طخفة قال شريح بن حارث اليربوعي مسجلا هذا الانتصار بأبيات هي غاية في الفخر الذى توحي به نشوة الانتصار العارمة (١٤٥) :

وكنت اذا ما باب ملك قرعته	قرعت بآباء اولي شرف ضخم
بأبناء يربوع وكان أبوهم	الى الشرف الاعلى بآبائه ينمي

١٤٣ ـ نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة ج١ ص ١٥٥/١٥٦ المفضليات ص ٢٥١/٢٥٢ •

١٤٤ ـ حذنة ارض لبني عامر •

١٤٥ ـ ايام العرب في الجاهلية لمحمد احمد جاد المولى وجماعته ص ٩٧ •

هم ملكوا أملاك آل محرق ... وذادوا أبا قابوس رغماً على رغم
وقادوا بكره من شهاب وحاجب ... رؤوس معد بالازمة والخطم
علا جدهم جد الملوك فأطلقوا ... بطخفة أبناء الملوك على الحكم
وكنا اذا قوم رمينا صفاتهم ... تركنا صدوعاً بالصفاة التي نرمي
ونرعى حمى الاقوام غير محرم ... علينا ولا يرعى حمانا الذى نحمي

وتبرز مثل هذه الصورة المغرقة في الفخر بالقبيلة في أبيات حاجب بن دينار المازني التي قالها اثر غارة موفقة شنها بنو مازن على بني يشكر(١٤٦) :

سلي يشكراً عني وأبناء وائل ... لهازمها طراً وجمع الاراقم
ألم تعلمي انا اذا الحرب شمرت ... سمام على اعدائنا في الحلاقم
عتاة قراة في الشتاء مساعر ... حماة كماة كالليوث الضراغم
بأيديهم سمر من الخط لدنة ... وبيض تجلي عن فراخ الجماجم
اولئك قومي ان فخرت بعزهم ... فخرت بعز في اللهى والغلاصم
هم انزلوا يوم السلي عزيزها ... بسمرالعوالي والسيوف الصوارم

وتكاد تكون جميع قصائد الشاعر الجاهلي في مجال فخره بقبيلته وتحمسه لها منسجمة في اغراضها ، فجلها كما تقدم تبرز قبيلة منتصرة متحدية سطوة العدو وموقعة فيه شتى صنوف الاذى والمهانة ، قال عنترة في يوم الفروق الذى انتصر فيه قومه بنو عبس معدداً هذه المآثر وخاصة الحفاظ على النساء باعتبارها الرمز لشرف القبيلة (١٤٧) :

ألا قاتل الله الطلول البواليا ... وقاتل ذكراك السنين الخواليا
وقولك للشيء الذى لا تناله ... اذا ما حلا في الصدر يا ليت ذاليا
ونحن منعنا بالفروق نساءنا ... نذبب عنها مشبلات غواشيا(١٤٨)
حلفت لكم والخيل تردى بنا معاً ... نزايلكم حتى تهروا العواليا(١٤٩)

---

١٤٦ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٦٠ .
١٤٧ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٤٢١/٤٢٣ .
١٤٨ ـ المشبلات ، الاسد والفواشي التى تغشاهم يريد غشيتهم الرماح .
١٤٩ ـ تهروا اى تكرهوا ، والعوالي الرماح .

عوالي سمر من رماح ردنية[150] هـرير الكلاب يتقين الافاعيـا
تفاديتـم اسـتاه نيب تجمعت على رمة من الرماح تفاديا[151]
ألم تعلموا ان الأسنة احرزت بقيتنا لوا ان للدهـر باقيا
أبينا أبينا ان تضب لثاتكم[152] على مرشقات كالظباء عواطيا
وقلت لمن قد أخطر الموت نفسه الا من لامر حازم قد بدا ليا
وقلت لهم ردوا المغيرة عن هوى سوابقها واقبلوها النواصيا
فما وجدونا في الفروق اشابة[153] ولا كشفا[154] لكن وجدنا مواليا
وانا نقود الخيل حتى رؤوسها رؤوس نساء لا يجدن فواليا

وقد وجد زهير بن جناب في صبر قومه عند لقائهم غطفان وانتصارهم عليهم خير ما يفخر به[155] :

فلم تصـبر لنا غطفـان لما تلاقينا وأحـرزت النسـاء
فلولا الفضـل منا ما رجعتـم الى عـذراء شيمتها الحيـاء
فدونكـم ديونـاً فاطلبوهـا واوتـاراً ودونكـم اللقـاء
فانا حيث لا يخفى عليكـم ليوث حـين يحتضر اللـواء
فقـد أضحى لحي بني جناب فضاء الارض والماء الـرواء
نفينا نخوة الاعـداء عنـا بارمـاح أسنتها ظمـاء
ولولا صبرنا يوم التقينـا .. لقينا مثل ما لاقت صداء[156]
غـداة تضرعوا لنبي بغيـض وصدق الطعن للنوكى شفاء

وفي يوم آخر قال زهير مفتخراً بقومه وقد هزموا تغلباً وبكراً وأسروا

---

150 ـ رماح ردينية منسبة الى امراة من قضاعة اسمها ردينة .
151 ـ تفاديتم من الرماح اى هربتم منها كابل تجمعت على رمة تأكلها ، والرمة العظام الباليـة ، قال ابو عبيدة والابل تأكل العظام .
152 تضب لثاتكم اى تسيل ، ويقال ذلك للرجل اذا جاء طامعا في شيء .
153 ـ الاشابة ، الاخلاط من ذوى النسب المغمور .
154 ـ الاكشف من الرجال الذى لايثبت في الحرب .
155 ـ الكامل لابن الاثير ج1 ص 503 / 504 .
156 ـ صداء ، قبيلة سبق ان هزمها بنو بغيض .

الاخوين كليباً ومهلهلا وغيرهما من سراة القوم وسبوا المحصنات من نساء المنهزمين [١٥٧] :

أين أين الفرار من حذر المو ... ت اذا يتقون بالاسلاب

اذا أسرنا مهلهلا وأخاه ... وابن عمرو في القيد وابن شهاب

وسبينا من تغلب كل بيضا ... ء رقود اضحى برود الرضاب

حين تدعو مهلهلا يا ل بكر ... ها اهذى حفيظة الاحساب

ويحكم ويحكم ابيح حماكم ... يا بني تغلب انا ابن رضاب

وهم هاربون في كل فج ... كشريد النعام فوق الروابي

واستدارت رحى المنايا عليهم ... بليوث من عامر وجناب

فهم بين هارب ليس يألوا ... وقتيل معفر بالتراب

فضل العز عزنا حين نسمو ... مثل فضل السماء فوق السحاب

ويرسم المعقر البارقي [١٥٨] صورة معبرة ليوم جبلة الذى هزمت فيه تميم عامراً ، ولكي تبدو الصورة أكثر ايحاء فهو يعظم جموع الاعداء لكي يبرز جهد قومه في التغلب عليهم :

أمن آل شعثاء الحمول البواكر ... مع الصبح أم زالت قبيل الاباعر

وحلت سليمى في هضاب وايكة ... فليس عليها يوم ذلك قادر

والقت عصاها واستقر بها النوى ... كما قر عينا بالاياب المسافر

وصبحها املاكها بكتيبة ... عليها اذا مست من الله ناظر

وقد رجعت دودان[١٥٩] تبغي لثأرها ... وجاشت تميم كالفحول تخاطر

وقد جمعوا جمعا كأن زهاءه .. ... جراد هفا في هبوة متطاير

فمروا باطناب البيوت فردهم ... رجال باطناب البيوت مساعر

---

١٥٧ ـ المصدر السابق ص ٥٠٥ .

١٥٨ ـ العقد الفريد ج٦ ص ١٣/١٢ .

١٥٩ ـ اسم لقبيلة .

فباتوا لنا ضيفا وبتنا بنعمة .. لنا مسمعات بالدفوف وزامر

فلم نقرهم شيئا ولكن قراهم صبوح لدينا مطلع الشمس جازر

وصبحهم عند الشروق كتائب كأركان سلمى سيرها متواتر

كأن نعام الدو باض عليهم واعينهم تحت الحبيك خوازر

من الضاربين الهام يمشون مقدما اذا غص بالريق القليل الحناجر

اظن سراة القوم ان لن يقاتلوا اذا دعيت بالسفح عبس وعامر

ضربنا حبيك البيض في غمر لجة فلم ينج في الناجين منهم مفاخر

هوى زهدم تحت العجاج لعامر كما انقض باز اقتم الريش كاسر

يفرج عنا كل ثغر نخافه ... مشيح كسرحان القصيمة[160] ضامر

وكل طموح في العنان كأنها اذا اغتمست في الماء فتخاء كاسر

لها ناهض في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر

تخاف نساء يبتزن حليلها محردة قد احردتها الضرائر

ويفخر عبيد بن ناقد الاوسي بالصمود ، صمود قبيلته الاوس وهزيمتها الخزرج في يوم البقيع وتبدو ضمن أبيات الشاعر المفتخر الاستهانة بالدم المراق والاكثار من القتل[161] :

لما رأيت بني عوف وجمعهم جاؤا وجمع بني النجار قد حفلوا

دعوت قومي وسهلت الطريق لهم الى المكان الذي اصحابه حللوا

جادت بانفسها من مالك عصب يوم اللقاء فما خافوا ولا فشلوا

وعاوروكم كؤوس الموت اذ برزوا شطر النهار وحتى ادبر الاصل

حتى استقاموا وقدطال المراس بهم فكلهم من دماء القوم قد نهلوا

تكشف البيض عن قتلى اولي رحم لولا المسالم وا لارحام ما نقلوا

تقول كل فتاة غاب قيمها .. اكل من خلفنا من قومنا قتلوا

---

١٦٠ - القصيمة ، الرمل الذى ينبت الغضى .

١٦١ - الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٧٤ .

لقد قتلتم كــريما ذا محافظــة   قــد كان خالفــه القينات والحلل
جـزل نوافلــه حلو شــمائلة   ريان واغـله تشقى بـه الابــل

ولعل في استعمال الشاعر الجاهلي صيغة الجمع عند فخـره بقبيلته وذلك بتصديره الضمير نحن وعداه من الضمائر المشابهة لقصائده ما يدلل على رغبته في اضفاء مظاهر الفخر على مجموع القبيلة وهو ما عنيناه بهذا الصدد • قال أبو داؤد الرؤاسي مستعملا هذه الصيغـة عند فخره بانتصـار مذحج على بني عامر في يوم فيف الريح [١٦٢] :

ونحن اهــل بضيع [١٦٣] يـوم واجهنـ
جيش الحصين طـلاع الخائف الكـزم [١٦٤]
ســاقوا شــعوبا وعنســا فـي ديــارهم
ورجـل خثعم مـن ســهل ومـن علـم
منــاهم منيــة كانت لهــم كـــذبا
ان المــنى انمــا يوجــدن كالحــلم
دلت رجــال بنــو شــهران تتبعهــا
خضــراء يرمونهــا بالنبــل عـن شــمم
والزاغبيـــة تكفيهــم وقـــد جعلـــت
فيهــم نوافــذ لا يرقعـن بالــدسم [١٦٥]
ظلت يحـــابر تدعى وســط ارحلنــنا
والمستميتون مـن حــاء ومـن حكم [١٦٦]
حـتى تولــوا وقـــد كانت غنيمتهـم
طعنــا وضــربا عريضــا غـير مقتسـم

---

١٦٢ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٤٧١/٤٧٢ •
١٦٣ ـ بضيع اسم الجبل •
١٦٤ ـ الكزم ، الضيف •
١٦٥ ـ الدسم ، ماسدوا به الجراحات •
١٦٦ ـ كل هذه اسماء قبائل •

وقال سوار بن حيان المنقري مستعملا الصيغة ذاتها عند فخره بانتصار بني منقر على بني بكر في يوم **جدود**[١٦٧] :

ونحـــن حفـــزنا الحوفـــزان بطعنـــة
سـقته نجيعـا مـن دوم الجـوف اشكلا[١٦٨]

وحمـــران قســـراً انزلتـــه رماحنـــــا
فعـــالج غـــلا فـــي ذراعيـــه مقفـــلا

فمـالك مـن ايـــام صـــدق تعدهـــا
كيـــوم جـــواثا والنبـــاح وثيتـــلا

قضـــى الله انـا يـوم نقتســم العـــلا
احـــق بهـــا منكـم فاعطـى واجـــزلا

فلســـت بمســـطيع السماء ولـم تجـــد
لعـــز بنـــاه الله فـــوقك منقـــلا

ومثلهما فعل ابو اللحام التغلبي عندما فخر بيوم الكلاب الاول وان خالفهما في الصيغة[١٦٩] :

ربعنـــا فـــي الكـــلاب وما ربعتـم
وانهبنـــا الهجـــائن بالصعيـــد

ســـقينا الابـــل غبا بعـــد عشـــر
وغبـــا بالمـــزاد مـن الجلـــود

وجـــرد كالقـــداح مســـومات
شـــوازب ملحســـات باللبـــود

بـــكل فتـى اطـــار الغـــزو عنـــه
بشاشـــة كـل ســـربال جـــديد

---

١٦٧ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦١١ .
١٦٨ ـ الاشكل ، الاحمر .
١٦٩ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٤٥٨ .

اما فخر الشاعر بنفسه فاكثره ينصرف الى بلائه في الحرب واغراقه في استباحة الاعداء واذلالهم ، وقد يتعرض احيانا وهو في مثل هذا الموقف الى ذكر بعض خصاله الحميدة كالكرم وحفظ الجوار وحماية المستضعف ٠

ففي يوم جبلة واثر هزيمة ذبيان حليفة تميم في حربها مع بني عامر اخذ بنو عامر واحلافهم يتعقبون فلول المنهزمين وكان من بينهم رهط من بني ذبيان على رأسهم سنان بن ابي الحارثة المرى ومعه مالك الفزاري ، ولما رأى سنان ذلك اثار حمية مالك واطعمه بتزويجه من ابنته ان هو تصدى لهم فكر مالك عليهم وقتل منهم نفرا مفتخرا بمأثرته هذه ومعددا اسماء من قتلهم[170] :

ولقـد صـددت عـن الغنيمـة حرمـلا
وبغيتـه لـددا [171] وخيلي تطـرد

اقبلتـه صـدر الاغـر وصـارما
ذكـرا فخـر على اليـدين الابعـد

وابن الصمـوت تـركت حـين لقيتـه
في صـدر مارنـة[172] يقـوم ويقعـد

وابنـا بجبلـة فـي الغبـار كلاهمـا
وابـن الغنـي وعامـر والاسـود

حتـى تنفس بعـد نكـظ محجـرا[173]
اذهبـت عنـه والفـرائض ترعـد

يعـدو ببـزى سـابح ذو ميعـة
نهـد المراكـل ذو تليـل اقـود[174]

وفي يوم السرارة ، وهو من أيام الاوس والخزرج فخر حسان بن ثابت

---

١٧٠ ـ نقائض ابي عبيدة ج ٢ ص ٦٧٤/ الاغاني ١١ ص ١٤٧/١٤٨ ٠
١٧١ ـ اللدد ، الخصومة ٠
١٧٢ ـ المارن ، الرمـح
١٧٣ ـ النكظ ، الجهد ، والمجحر المضطر والمضيق عليه ٠
١٧٤ ـ البز ، السلاح ، يريد يعدو بي فرس يمد يديه في الجرى والميعة اول الجرى والمركل من الفرس حيث تصيب برجلك ، والتليل العنق واقود سهل القياد ٠

بنفسه مضفيا عليها شتى معاني البطولة والخلق الحميد ضمن قصيدة منها[175] :

لعمــر ابيـك الخـير بالحق مانبـا
علي لســاني في الخطــوب ولا يــدى
لســاني وســيفي صارمان كــلاهما
ويبلــغ ما لا يبلــغ السيف مــذودى
فــلا الجهــد ينســيني حيــائي وعفتــى
ولا وقعــات الــدهر يفللــن مبــردى
اكثــر اهلــي مــن عيــال ســواهم
واطـــوى على المــاء القـــراح المبـــرد
واني لمنجــــاء المطــي عــلى الوجــى
وانــي لنــزال لمــا لــم اعــود
واني لقـــوال لذي اللـــوث مرحبــا
واهـــلا اذا ما ريــع من كل مرصــد
وانــي ليــدعوني الــندى فاجيبــه
واضــرب بيض العــارض المتوقــند
فــلا تعجلن[176] يــا قيس واربــع فانمــا
قصـــاراك ان تلقــى بكـــل مهنــد
حســام وارمـــاح بايــدى اعــزة
متى ترهــم يــا ابــن الخطيم تبلــد
اســود لــدى الاشــبال يحمــي عرينهــا
مداعيـــس بالخطــى في كـــل مشـــهد

---

١٧٥ ـ الكامل لابن الاثير ١ ص ٦٦٣ ٠

١٧٦ ـ يقصد قيس بن الخطيم ٠

ولما تعسف زهير بن جذيمة العبسي في حكم هوازن آلى خالد بن جعفر العامري ان يقتله[177] وفي ذلك قال متوعدا ومفتخرا ببطولاته[178] :

اديروني اداتكم[179] فاني
وحذفة[180] كالشجا تحت الوريد
مقربة اسويها بجزء
والحفها ردائي في الجليد
واوصي الراعيين ليؤثراها
لها لبن الخلية والصعود[181]
تراها في الغزاة وهن شعت
كقلب[182] العاج في الرسغ الجديد
يبيت رباطها في الليل كفي
على عود الحشيش وغير عود

لعل الله يمكنني عليها ••• جهارا من زهير او اسيد
فاما تثقفوني فأقتلوني ••• فمن اثقف فليس الى خلود
وقيس في المعارك غادرته ••• قناتي في فوارس كالاسود
ويربوع بن غيظ يوم ساق ••• تركناهم كجارية وئيد
تركت بها نساء بني عصيم ••• ارامل ما تحن الى وليد
يلذن بحارث جزعا عليه ••• يقلن لحارث لولا تسود
ومني بالظويلم قارعات ••• تبيد المخزيات ولا تبيد
وحكت بركها بنبي جحاش ••• وقد اجروا اليها من بعيد
تركت ابني جذيمة في مكر ••• ونصرا قد تركت لها شهودى

---

١٧٧ ـ وبسبب ذلك نشب يوم النفراوات بين عامر وعبس •
١٧٨ ـ الاغاني ج ١١ ص ٧٧ •
١٧٩ ـ يقصد اداة الحرب •
١٨٠ ـ حذفة اسم فرس خالد •
١٨١ ـ الخلية ، الناقة التي تنتج فينحر ولدها ليدوم لبنها ، والصعود الناقة التي يموت حوارها فتعطف على فصيلها •
١٨٢ ـ القلب ، السوار •

ومن اروع ما قيل في هذا المجال قصيدة لعمرو بن معد يكرب ابتدأهـا بالحكمة ثم انتقل الى ذكر بطولاته وتحديه الاعداء وعبر في نهايتها عن صبره وجلده ازاء الحوادث وايمانه بالقدر ، قال[183] :

ليس الجمال بمئزر	فاعلم وان رديت بردا
ان الجمال معادن	ومناقب اورثن مجدا
اعددت للحدثان سا	بغة وعداء علندا
نهدا[184] وذا شطب يقد	البيض والابدان قدا
وعلمت اني يوم ذا	ك منازل كعبا ونهدا[185]
قوم اذا لبسوا الحديد	تنمروا حلقا وقدا[186]
كل امرىء يجرى الى	يوم الهياج بما استعدا
لما رأيت نساءنا	يفحصن بالمعزاء شدا[187]
وبدت لميس كأنها	بدر السماء اذا تبدى
وبدت محاسنها التي	تخفي وكان الامر جدا
نازلت كبشهم ولم	ار من نزال الكبش[188] بدا
هم ينذرون دمي وانذر	ان لقيت بان اشدا
كم من اخ لي صالح	بوأته بيدي لحدا
ما ان جزعت ولا هلعت	ولا يرد بكاى زندا[189]
البسته اثوابه ..	وخلقت يوم خلقت جلدا
اغني غناء الذاهبين	اعد للاعداء عدا
ذهب الذين احبهم	وبقيت مثل السيف فردا

---

١٨٣ ـ الحماسة لابي تمام / مختصر من شرح التبريزى بتحقيق محمد عبد المنعم خفاجي ج ١ ص ٨١ وما بعدها ، ديوان عمرو تحقيق هاشم الطعان / نشر وزارة الثقافة والاعلام ص ٦٧ / وما بعدها .

١٨٤ ـ النهد الفرس وذو شطب السيف والابدان الدروع .

١٨٥ ـ كعب ونهد قبيلتان .

١٨٦ ـ القد ، الجلد . ويقصد هنا الدروع المصنوعة من الجلود .

١٨٧ ـ المعزاء ، الارض الحزنة ذات الحجارة ، ويفحصن يؤثرن في العزاء لشدة العدو .

١٨٨ ـ ـ الكبش ، رئيس القوم .

١٨٩ ـ يقصد بالزند القلة .

ورسم ربيعة بن مكدم وهو احد ابطال الجاهلية المشهورين صورة مؤثرة لبطولته وقد هاجمه ثلاثة فرسان كل منهم يبغي استلاب ظعينته فارداهم الواحد تلو الاخرى ومضى يتغنى مفتخرا بحفاظه وجراءته[190] :

ان كان ينفعك اليقين فسائلي	عني الظعينة يوم وادي الاخزم[191]
اذ هي لاول من اتاها نهبة	لولا طعان ربيعة بن مكدم
اذ قال لي ادنى الفوارس ميتة	خل الظعينة طائعا لا تندم
فصرفت راحلة الظعينة نحوه	عمدا ليعلم بعض ما لم يعلم
وهتكت بالرمح الطريل اهابه[192]	فهوى صريعا لليدين وللفم
ومنحت آخر بعده جياشة	نجلاء فاغرة كشدق الاضجم[193]
ولقد شفعتهما بآخر ثالث	وابى الفرار لي الغداة تكرمي

٢ ـ المدح :

وهو اضفاء الصفات الحميدة اطلاقا على شخص او جماعة ، وقد طرقه الشاعر الجاهلي عند تعرضه للايام لاضفاء صفات البطولة على قومه او على فرد فيهم ، ولربما مدح الاعداء اضطرارا عند وقوعه في أسرهم طمعا في اطلاق سراحه والى جانب ذلك طرق وهو مادح اغرضا اخرى كالكرم والمحافظة تأثرا بالمناسبة التي توحي بذلك .

قال صخر بن عمرو[194] مادحا قومه وقد خص الغلمان منهم لتصديهم لغطفان عندما كان غائبا مع المقاتلين من رجال القبيلة في غزوة :

جزى الله خيرا قومنا اذ دعاهم	بعدنية[195] الحي الخلوف المصبح
وغلماننا كانوا اسود خفية	وحق علينا ان يثابوا ويمدحوا

---

١٩٠ ـ وذلك في يوم الكديد وهو بين كنانة وسليم من قيس ، العقد الفريد ج٦ ص ٣٦ .
١٩١ ـ الاخزم اسم لجبل .
١٩٢ ـ الاهاب ، الجلد .
١٩٣ ـ الضجم اعوجاج في الفم ويشبه الجرح البليغ بالفم الاضجم .
١٩٤ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣٢ .
١٩٥ ـ عدنية اسم اليوم .

هم نفروا اقرانهم بمضـــــرس — وسعروذادواالجيش حتى تزحزحوا
كأنهـم اذ يطـــردون عشيـــة — بقيـــة ملحـــان نعـــام مـــروح

ومدح سحيم الرياحي قومه لانتصارهم في يوم رأس العين ، وهو من ايام يربوع على بكر وذكر اسماء بعض من سقطوا صرعى من الاعداء ٠ (١٩٦)

أليس الاكـــرمون بنو ريـــاح — نموني منهـــم عمي وخــــالي
هـــم قتلوا المجبة وابن تميـــم ٠٠ — تنـــوح عليهما ســـود الليـــالي
وهـــم قتـلوا عميـــد بني فراس — برأس العين في الحجج الخوالي
وذادوا يوم طخفـــة عن حماهـــم — ذيـــاد غـــرائب الابل النهـــال

ومثلهما فعل ربيعة بن مقروم الضبي الذي أكبر انتصـار بني ضبة على بني عامر في يوم النســار (١٩٧) :

وقومـــي فـــان أنت كذبتنـــي — بمـــا قلت فاسـأل بقومي عليمـا
فـــدى ببزاخـــة أهـــلي لهـم — واذ ملؤا بالجمـــوع القصـــيما
واذا لقيت عـــــامر بالنســـــا — ر منهـــم وطخفـــة يوماً غشـــوما
به شـــاطر الحـــي أموالهـــم — هوازن ذا وفرهـــا والعديمـــا

وعقب انتصار بني بكر على الفرس في يوم ذي قار تغنى أعشى قيس بهـذا الانتصـار الكبير للعرب على الفرس وخص بمدحه بني ذهل ـ وهم من بكر ـ لحفاظهم في المعركة (١٩٨) :

فدى لبني ذهـل بن شيبان ناقتي — وراكبهـــا يـــوم اللقـــاء وقلت
كفوا اذ أتى الهامرز تخفق فوقه — كظـل العقـاب اذ هـــوت فتدلت
اذاقوهم كأسـاً من الموت مـــرة — وقـــد بذخت فرســـانهم وأذلت
فصبحهـــم بالحنـــو حنـــو قراقر — وذي قارهـــا منها الجنـــود فقلت

---

١٩٦ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٥٢ ، نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٨٦ ٠

١٩٧ ـ نقائض ابي عبيدة ج ٢ ص ١٠٦٧ ٠

١٩٨ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٣٥/٣٦ ، والشاعر هنا خارج عن الاطار القبلي الضيق فهو في اكباره ذهلا وشيبانا يكبر انتصار العرب عموما على الفرس ٠

علـى كل محبوك السـراة كأنـه — عقـاب سرت من مرقب اذ تدلت

فجاءت على الهامرز وسط بيوتهم — شـآبيب موت اسـبلت فاسـتهلت

تناهت بنو الاحزاب اذ صبرت لهم — فوارس من شيبان[199] تغلب فولت

وخلد الشـاعر الجاهلي أبطـالا من قبيلته تأثراً بمواقفهم البطوليـة التي استحقوا بها مدحه ، قال قيس بن زهـير بن جذيمـة العبسي[200] عندما قتـل الحارث بن ظالم المري خالد بن جعفر بن كلاب العـامرى في يوم بطن عاقـل وكان خالد قد قتل أباه في يوم سابق :

جـــزاك الله خـيراً من خليـــل — شفى من ذي تبولته[201] الخليلا

أزحت بها جوى ودخيل حـزن — تمخخ اعظمي زمنـــاً طويـــلا

كسوت الجعفري ابا جزيء[202] — ولم تحفـــل به ســـيفاً صـقيلا

ابأت بـه زهير بني بغيض[203] — وكنت لمثلهـــا ولهـــا حمـــولا

كشفت لهـا القنـاع وكنت ممن — يجلي العـــار والامر الجليـــلا

واثر انتصار تميم على بكر في يوم ثيتـل قال قرة بن قيس بن عاصم مادحاً قيس بن عاصـم المنقري قائد تميـم في المعـــركة وقد أبدى فيهـــا ضروباً من البسالـة[204]

أنا ابن الذي شق المزاد[205] وقد رأى — بثيتـل أحيـــاء اللهـازم حضـــرا

فصبحهـم بالجيش قيس بن عاصـم — فلم يجـــدوا الا الأسـنة مصـدرا

سقاهم بها الذيفان[206] قيس بن عاصم — وكان اذا ما أورد الامر أصـــدرا

---

١٩٩ ـ شيبان من بكر ٠

٢٠٠ ـ الاغاني ج١١ ص ٩٣ ٠

٢٠١ ـ التبولة ، جمع تبل وهو العداوة

٢٠٢ ـ يقصد به خالد بن جعفر ٠

٢٠٣ ـ وهو زهير بن جذيمة العبسي وينتهي نسبه الى بني بغيض ٠

٢٠٤ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٤٨/٤٩ والكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٦٥١ ٠

٢٠٥ ـ جمع مزادة وهي الراوية ٠

٢٠٦ ـ الذيفان ، السم الناقع ٠

على الجرد[٢٠٧] يعلكن الشكيم[٢٠٨] عوابسا
اذا الماء من أعطافهن تحدرا

فلم يرها الراؤن الا فجاءة نثرن عجاجاً بالسنابك أكدرا
وحمران أدته الينا رماحنا فنازع غلا في ذراعيه أسمرا
وجثامة الذهلي قدناه عنوة الى الحي مصفود اليدين مفكرا

ومدح الشاعر الجاهلي أفراداً وجماعات من غير قبيلته وهؤلاء أما من اعدائه الذين وقع أسيراً فيهم وهو في مدحه لهم متطلع الى افتكاكه من الاسر ، أو ان يكونوا من الآخذين بثأره أو من المتعطفين عليه عند احتياجه الاجارة • وقد يبدو في هذا المجال مكبراً البطولة ومتأثراً بها غير مدفوع فيما يقول بواحد من الاساب المتقدمة •

قال أحد اسرى بني تميم[٢٠٩] ، مادحاً بسطام بن قيس الشيباني عندما أسر في يوم زبالة الذى انتصرت فيه شيبان على تميم ، وقد أطلقه بسطام اثر سماعه قوله :

فدى بوالدة علي شفيقة فكأنها حرض على الاسقام
لو انها علمت فيسكن جأشها اني سقطت على الفتى المنعام
ان الذى ترجين ثم ايابه سقط العشاء به على بسطام
سقط العشاء به على متنعم سمح اليدين معاود الاقدام

وقال عمرو بن كلثوم[٢١٠] متغنياً بمنة يزيد بن عمرو بن شمر عليه واكرامه له بعد ان أسره اثر غزوة له غير موفقة على بني حنيفة في اليمامة :

الا ابلغ بني جشم بن بكر وتغلب كلما أتيا حلالا
بأن الماجد القرم ابن عمرو غداة نطاع قد صدق القتالا

---

٢٠٧ ـ الجرد ، الخيل القصيرة الشعر •
٢٠٨ ـ الشكيم وهي حديدة اللجام التي تعترض فم الفرس •
٢٠٩ ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٦٠١ •
٢١٠ ـ الاغاني ج١١ ص ٥٠/٥١ •

كتيبتــــه ململمـــــة رداح اذا يرمونهـــا تغـــني النبـــالا
جـزىالله الاغـر يزيد خـيراً ولقـــاه المســـرة والجمـــالا
بماخـــذه ابن كلثوم بن عمرو يزيد الخيـــل نازلــه نـــزالا
بجمـع من بني قـــران صيـــد يجيلون الطعـــان اذا اجـــالا
يزيد يقـــدم السـفراء حـــتى يروى صـدرها الاسـل النهالا

ومثل عمرو بن كلثوم فعل خالد بن مالك بن سـلمة التيمي عندما أسره عرفجـــة بن بجير العجـــلي في يوم فلج ثم اطلق سراحه فقـال خالد مادحـاً كرم عرفجة [٢١١] :

وجـــدنا الرفد رفد بني لجيـــم اذا ما قلت الافــــــاد زادا ...
هم ضربوا القبـــاب ببطن فلـج وذادوا عن محاربهـــم ذيـــادا
وهـــم منـــوا عـلي واطلقوني وقد طاوعت في الجنب القيـــادا
أليسوا خـير من ركب المطـــايا واعظمهـم اذا اجتمعوا رمـــادا
أليس هم عمـــاد الحـــي بكـــراً اذا نزلت مجـــللة شـــــدادا

ولعل أبرز من استعطف عدوه في هذا المجـال شاعران اولهما عبيـد بن الابرص في قصيدته التي قالها أمام ملك كندة حجر بن الحـارث بن عمرو اثر قتله بني أسد لامتناعهم عن الاتاوة ، والآخر علقمة بن عبدة [٢١٢] في قصيدتـه التي قالها أمام الحارث بن جبلة الغساني مستشفعاً اياه لاطلاق أخيه شاس الذي وقع أسيراًبيد الغساسنة في يوم حايمة[٢١٣] . وقصيدة الثاني أبرع من قصيدة عبيـد ، لتمكن علقمة من اثارة عواطف كبرياء المنتصر في نفس ممدوحه بينمـا اتخذ عبيد من الاغراق في التذلل سبيلا لاستعطاف الممدوح .
قال عبيـد [٢١٤] :

---

٢١١ ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٦٥٢/٦٥٣ ويوم فلج من ايام بكر بن وائل على تميم .
٢١٢ ـ وهو المعروف بعلقمة الفحل .
٢١٣ ـ يوم حليمة للحارث بن جبلة الغساني على المنذر بن ماء السماء ملك الحيرة وحليمة هـي بنت الحارث . وسمي اليوم باسمها لانها كانت تطيب جنود ابيها تشجيعاً لهم .
٢١٤ ـ انظر ديوانـــــه .

يا عــــين فابكـــي ما بنـــو اســـد فهم أهــل الندامـــه
أهــل القبــاب الحمــر والنــ ـــعم المؤبل [٢١٥] والمــدامه
وذوو الجيــاد والجــرد والــ أســل المثقفـــة المقامــه
جــلا ابيت اللعن حـــــــلا ان فيما قلت آمـــه [٢١٦]
فـــي كل واد بين يثـــرب فالقصـــور الى اليمامـــه
تطريب عــان او صيـــا ح محــرق أو صــوت هامـــه
ومنعتهــم نجــداً فقــد حــلوا على وجــل تهامـــه
برمت بنــو أســد كمــ برمت ببيضتهــا الحمـــامه
جعلت لهـــا عودين مــن نشم وآخر من ثمامـــه [٢١٧]
امـــا تركت تركت عفـــ ـــوا أو قتلت فلا ملامـــه
انت المليـــك عليهـــم وهــم العبيــد الى القيامـــه
ذلـــوا لســـوطك مثلمـــا ذل الاشـــيقر ذو الخـــزامه

وقال علقمة[٢١٨] مبتدئً قصيدته بغزل رصين وواصفاً ناقته التي حملته في رحلة مضنية الى ديار الغساسنة ، ثم يستطرد في قصيــدته بعد ذلك مادحاً الامير الغساني بأسلوب هو غاية في التأثير :

هداني اليك الفرقــدان ولا حب له فوق اصواء المتان علوب[٢١٩]
وانت امرؤ أفضت اليك أمانــتي وقبلك ربتني فضعت ربوب[٢٢٠]
فأدت بنو كعب بن عوف ربيبهـا وغودر في بعض الجنـــود ربيب
فوالله لولا فارس الجون منهم٠٠ لآبوا خـــزايا والايـــاب حبيب
تقـــدمه حتـــى تغيب حجـــوله وانت لبيض الدارعـــين ضروب

٢١٥ ـ المؤبل : اي المقتنى .
٢١٦ ـ حلا ،اي تحلل من يمينك والآمة العيب .
٢١٧ ـ النشم شجر تتخذ منه القسي والثمامة من نبات البادية .
٢١٨ ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٤٥ والمفضليات ص ٣٩٠/٣٩٦ .
٢١٩ ـ اللاحب الطريق الواضح واصواء المتان ما غلظ من الارض والعلوب الاثار .
٢٢٠ ـ الربوب من الارباب .

مظاهر سربالي حـــديد عليهمـــا عقيلا سيوف مخذم ورســوب[221]

فجالدتهم حتى اتقـــوك بكبشهم وقد حان من شمس النهار غروب

وقاتل من غســان أهل حفاظهـا وهنب ولهأس جالدت وشبيب[222]

تخشخش ابدان الحديد عليهم • كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

تجود بنفس لا يجـــاد بمثلهـــا وانت بهـــا يوم اللقـــاء خصيب

كأن رجـــال الاوس تحت لبانـــه وما جمعت جل معاً وعتيب[223]

رغا فوقهم سقب السماء فداحض بشكته لم يستلب وسليب[224]

كأنهـم صـابت عليهـم ســحابة صواعقهـــا لطيرهـــن ربيب

فلم تنـج الا شـطبة بلجامهـــا والا طمر كالقنـاة نجيب[225]

والا كمي ذو حفـــاظ كـــأنه بما ابتل من حد الظبـاة خضيب

وانت الذى آثـــاره في عـــدوه من البؤس والنعمى لهن ندوب[226]

وفي كل حي قد خبطت بنعمـــة فحق لشأس من نداك ذنوب[227]

فلا تحرمني نائـــلا عن جنـــاية فاني امرؤ وســط القبـاب غريب

واذا كان الشاعر الجاهلي متكلفا بعض الشيء في مدح اعـدائه لطمعه في منتهم فانه يبدو اكثر صدقا في مدحه اولئك الذين نصروه عند احتياجه الى النصرة وقد يقدمهم على عشيرته وخاصته وفاء لهم واعترافا بجميل الصنيع • قالت الخنساء تمدح عمرا بن قيس الجشمي وتفضله على سائر قومها بني سليم لقتله هاشم بن حرملة الذبياني في يوم حوزة الثاني واخذه بثـأر اخيها صخر الذي قتله هاشم في يوم حوزة الاول[228]

---

٢٢١ ـ مخذم ورسوب اسما سيفين •

٢٢٢ ـ اسماء قبائل •

٢٢٣ ـ جل وعتيب قبيلتان •

٢٢٤ ـ الرغاء صوت البعير والسقب ولد الناقة ، وقد اراد سقب ناقة النبي صالح وهو يعني هنا بانهم هلكوا كما هلكت ثمود حين عقروا الناقة فرغا سقبها ، والداحض الذى يفحص الارض برجليه عند الموت ، والشكة مجموع السلاح ، وامعانا في تصوير كثرة قتلاهم فقد ذكـر الشاعر ان منهم من استلب ومنهم من لم يستلب •

٢٢٥ ـ الشطبة الفرس الرشيقة والطمر الفرس السريع العدو والنجيب الاصيل من الخيل •

٢٢٦ ـ الندوب الاثار •

٢٢٧ ـ الذنوب ، النصيب •

٢٢٨ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٢٩٠ •

فدى للفارس جشمي نفسي وافديه بمالي من حميم
افديه بكل بني سليم .. بظاعنهم وبالانس المقيم
كما من هاشم اقررت عيني .. وكانت لا تنام ولا تنيم

وقال امروء القيس يمدح المعلى[229] لاجارته اياه والمنذر بن ماء السماء يطلبه :

كأني اذ نزلت على المعلى نزلت علي البواذخ من شمام
فما ملك العراق على المعلى بمقتدر ولا ملك الشآم
أصد نشاص ذى القرنين حتى تولى عارض الملك الهمام
اقر حشا امرىء القيس بن حجر بنو يتم مصابيح الظلام

ومدح امرؤ القيس آخرين ممن اجاروه منهم شخص يدعى العوير ، وقد ضمن قصيدته في هذا المجال ذم الذين غدروا بابيه حجر وقارن لؤمهم بشهامة قوم العوير قال[230] :

ان بني عوف ابتنوا حسبا ضيعه الدخللون اذ غدروا
ادوا الى جارهم ذمامهم ولم يضيعوا بالغيب من نصروا
لم يفعلوا فعل حنظل بهم بئس لعمرى بالغيب ما أئتمروا
لا حميرى وفى ولا عدس ولا است عير يحكمها ثفر
لكن عوير وفى بذمته لا عور ضره ولا قصر
كالبدر طلعته حلو شمائله لا البخل ازرى به ولا الحصر
من معشر ليس في نصابهم عيب ولا في عيدانهم خور
بيض مطاعيم في المحول اذا استروح ريح الدخان والقتر

ولما قتل الحارث بن ظالم المرى خالد بن جعفر الكلابي في يوم بطن عاقل كما تقدم ذلك في موضع سابق اكبرت قبيلته فعلته وخشيت اجارته خوفا من

---

٢٢٩ ـ ديوان امرىء القيس ص ١٤٠ ، والمعلى احد بني تميم من جديله من طيء .
٢٣٠ ـ المصدر السابق ص ١٣٢ .

غضبة بني عامر وبطش امير الحيرة الذي كان خالد في ضيافته ، فظل الحارث اثر ذلك ينتقل بين القبائل طلبا للاجارة وقد مدح في رحلته المضنية هذه عددا من القبائل التي لقي منها النصرة عنـد نزوله فيهـا • قال(٢٣١) مادحا بني عجل بن لجيم(٢٣٢) لحدبها عليه بعد ان امتنعت عن ذلك سائر قبائل بكر :

يكلفني الكندى(٢٣٣) سـير تنوفة اكابد فيهـا كل ذى صبة مثرى
واقبل دوني جمع ذهل(٢٣٤) كأنني خلاة لذهل والزعانف من عمرو
ودوني ركب مـن اجيم مصـمم وزبان جارى والخفير على بكـر
لعمرى لا اخشى ظلامـــة ظالـم وسعد بن عجل مجمعون على امرى

ثم غادر الحارث بني عجل بعد اشتهار امره والتجأ الى بني طيء وقـال فيهم بعد ان اجاروه(٢٣٥) :

لعمرى لقد حلت بي اليوم ناقتي على ناصر مـن طيء غـير خـاذل
فاصبحت جـارا للمجرة فيهـم عـلى باذخ يعلـو يـد المتطاول
اذا اجـأ لفت عـلي شـعابها وسلمى(٢٣٦) فانى انتم من تناولي

ومدح الحارث قبائل من قريش لاجارتها له اثر لحوقه بمكـة مدعيـا قرابتها • قال(٢٣٧) :

ومـا قـومي بثعلبـة بن سـعد ولا بفـزارة الشـعر الرقابـا
وقومي ان سـألت بنـو لـؤى بمكـة علمـوا مضـر الضـرابا

---

٢٣١ ـ الاغاني ج١١ ص ١٠٠/١٠١ •
٢٣٢ ـ بنو عجل بن لجيم من قبائل بكر •
٢٣٣ ـ الكندى هو احد اصدقائه من كندة كان قد التجأ اليه الحارث ثم طلب اليه الرحيل خوفا من امير المناذرة •
٢٣٤ ـ بنو ذهل من قبائل بكر وقد امتنعت عن اجارة الحارث وحذرت بني عجل بن لجيم مـن اجارتـه •
٢٣٥ ـ الاغاني ج١١ ص ١٠١ ، العقد الفريد ج٦ ص ١٤ ، نهاية الارب للنويرى ج ١٥ ص ٣٥٤ •
٢٣٦ ـ اجأ وسلمى جبلان حصينان لطيء •
٢٣٧ ـ الاغاني ج ١١ ص ١١٠ •

وقال ايضا[٢٣٨] :

اذا فارقت ثعلبة بن سعد ... واخوتهم نسبت الى لؤى
الى نسب كريم غير دغل ... وحي من اكارم كل حي
فان يك منهم اصلي فمنهم ... قرابين الاله بنو قصي

واصدق صور المدح التي قالها الشاعر الجاهلي تلك التي مدح بها ابطالا تركوا من الاثر ما يستحقون به الخلود ، وهو في مدحه لهم مكبر البطولة اطلاقا ، فتراه يشيد بعدوه حين تهزه بطولته وكأنه واحد من افراد قبيلته ، وقد عبر عن هذا المعنى دريد بن الصمة عند مدحه ربيعة مكدم الذي اردى ثلاثة فوارس كان دريد قد بعث بهم اليه لاستلاب ظعينته • ولما رأى دريد العجب من بطولة ربيعة اهداه رمحه وفارقه وهو يتغنى ببطولته[٢٣٩] :

ما ان رأيت وما سمعت بمثله ... حامي الظعينة فارس لم يقتل
اردى فوارس لم يكونوا نهزة[٢٤٠] ... ثم استمر كأنه لم يفعل
متهللا تبدو اسرة وجهه ... مثل الحسام جلته كف الصيقل
يزجي ظعينة ويسحب رمحه ... متوجها يمناه نحو المنزل
وترى الفوارس من مهابة رمحه ... مثل البغاث خشين وقع الاجدل[٢٤١]
يا ليت شعري من أبوه وامه ... يا صاح من يك مثله لم يجهل

وكما ان الشاعر الجاهلي قد مدح الابطال من المقاتلين لصمودهم في حومة الوغى وهم يجادلون عدوهم طعانا وضرابا فانه مدح اولئك الذين خلدوا انفسهم بمكرمات تركت من الاثر ما يطغى على البطولة الحربية ، وخص منهم من ناضل في سبيل السلم واطفاء جذورة الحرب ، وخير من تغنى بهذه المكرمة ، مكرمة السعي الى السلم هو زهير بن ابي سلمى في مدحه الحارث بن عوف وهرم بن سنان لتحملهما ديات القتلى في حرب داحس والغبراء واصلاحهما ذات البين بين عبس وذبيان

---

٢٣٨ ـ العقد الفريد ج٦ ص ١٦ •

٢٣٩ ـ العقد الفريد ج ٦ ص ٣٥/٣٦ نهاية الارب للنويري ج١٥ ص ٣٧١ •

٢٤٠ ـ النهزة ، الشيء الملقى الذي يطمع به الاخرون •

٢٤١ ـ البغاث نوع من الطيور والاجدل الصقر •

في هذه الحرب التي امتدت طويلا من الدهر وكلفت الكثير من الدماء ، قـــال زهير وقد تقدمت بعض اباته في موضع سابق[٢٤٢] :

فأقسمت بالبيت الذي طاف حـوله ... رجال بنوه من قريش وجـرهم
يمينا نعم السيدان وجـدتما .. ... على كل حال مـن سحيل ومبرم .
تداركتما عبســـاً وذبيان بعـــدما ... تفانوا ودقـوا بينهم عطـر منشم
وقد قلتما ان ندرك السـلم واسـعا ... بمال ومعروف مـن القول نسلم
فاصبحتما منها على خير موطن .. ... بعيدين فيهـا مـن عقوق ومـأثم
عظيمين في عليـا معـد هديتمـــا ... ومن يستبح كنزا مـن المجد يعظم
تعفى الكلـوم بالمـئين فـاصبحت ... ينجمهـا مـن ليس فيهـا بمجرم
ينجمهـا قـوم لقـوم غـرامة ... ولـم يهريقوا بينهم مـلء محجم
فاصبح تحدى فيهم مـن تـلادكم ... مغانم شتى مـن افـال مزنم[٢٤٣]

٣ ـ الـــرثاء

الرثاء هو بكاء الاعزاء من الموتى والتأسي عليهم والتوجع لمصابهم • وهو يشكل بابا واسعا من ابواب الشعر الجاهلي وذلك تأثرا بكثرة صرعى المنازعات الجاهلية المتعاقبة • ولم يقتصر هذا الباب لدى شعراء الجاهلية على ندب الموتى بل تعداه الى ذكر فضائلهم والمبالغة فيها في اكثر الاحيان والتوعد باخـذ الثأر مـن الاعداء ، وقد يهون الشاعر الجاهلي من مصابه وهو يتوجع على فـراق عزيزه باظهار عدم اكتراثه بالموت باعتباره سبيلا لابد لكل حي من سلوكه •

واذا ما تطلعنا الى جانب الندب في رثاء الجاهليين فسنجد ان الشواعر قـد بززن اقرانهن من الرجال في اكثر الاحيان نظرا لرقة شعور المرأة وعدم احتراسها من البكاء واسبال الدمع بغزارة عند تأثرهـا بمكروه اضافـة الى ان فقد المـرأة الجاهلية معيلها سواء أكان هذا المعيل الحامي قرينا ام أخا ام قريبا يعني بالنسـبة اليها ذلاً مقيماً وهي تعيش في مجتمع القبيلة الذي تحكمه السطوة وتعد المرأة فيه

---

٢٤٢ ـ انظر معلقة زهير .
٢٤٣ ـ الافال جمع افيل وهو الصغير السن من الابل ، المزنم المعلم .

وخاصة عند اشتجار المعارك غنيمة تستلب شأنها في ذلك شأن اى متاع آخر ٠ وقد رسمت فاطمة بنت الاحجم صورة معبرة لهذا المعنى عند رثائها لاخيها الجراح الذي قتل في يوم الحريرة [٢٤٤] ، قالت فاطمة[٢٤٥]واللوعة الصادقة تتدفق عبر ابيات قصيدتها :

يا عين بكي عنه كل صباح	جودى باربعة على الجراح
قد كنت لي جبلا الوذ بظله	فتركتني اضحى باجرد ضاح
قد كنت ذات حمية ماعشت لي	امشي البراز وكنت انت جناحي
فاليوم اخضع للذليل واتقي ٠٠	منه وادفع ظالمي بالراح
واغض من بصري واعلم انه ٠٠	قد بان حد فوارسي ورماحي
واذا دعت قمرية شجنا لها	يوما على فنن دعوت صباحي
امست ركابك يا ابن ليلى بدنا	صنفين بين مخائض ولقاح
ولقد تظل الطير تخطف جنحا	منها لحوم غوارب وصفاح
ومطوح قفر دعوت نعامة	قبل الصباح بضمر اطلاح
وخطيب قوم قدموه امامهم	ثقة به متخمط تياح
جاوبت خطبته فظل كأنه	لما نطقت مملح بملاح

وتتولى حرقات الالم واناته عبر قصائد الرائيات من شواعر الجاهلية لتعكس صورا معبرة لمآتم نسائية معولة لا تختلف في كثير عما هو حاصل في الوقت الحاضر عند فقد المرأة عزيزا ٠ قالت اخت ربيعة بن مكدم ترثي اخاها اثر مقتله في يوم الكديد ، وقد رسمت في ابياتها صورة للباكية المتوجعة التي لا تكف عن اهراق الدمع تأسيا [٢٤٦] :

ابكي على هالك اودى فاورثني	بعد التفرق حزنا حره باق
لو كان ينفع ميتا وجد ذى رحم	ابقى اخي سالما وجدى واشفاقي

---

٢٤٤ ـ وهو من ايام الفجار وقد انتصرت فيه قيس على كنانة وقريش ٠

٢٤٥ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٣٣٩/٣٤٠ ٠

٢٤٦ ـ المصدر السابق ص ٣١٧ ٠

او كان يفدى لكان الاهـل كلهـم — وما اثمر مـن مال لـه واقـي

لكن سهام المنايا من نصبن لـه — لم يغنه طب ذى طب ولا راقـي

فاذهب فلا يبعدنك الله مـن رجل — لاقى الذي كل حي مثلـه لاقي

فسوف ابكيك ما لاحت مطوقـة — وما سريت مع السارى على ساق

ابـكي لذكـرته عبرى مفجعـة — ما ان يجف لها من ذكرة ما قـي

وما ومن شاعرة جاهلية اجادت في هذا المجال غير الخنساء وذلك في قصائدها التي رثت فيها اخاها صخرا الذي قتل في يوم ذات الاثل[247] ، فقد بقيت نائحة عليه السنين الطوال ، لاطمة الخد ، شاقة الجيب ، متأسية ، تعن لها ذكراه انى ولت وجهها ، فلا تجد من معين الا البكاء ولا من سبيل الى هدوء النفس من همها الا بافراغ هذا الهم في القريض الذي وقفته على رثاء صخر اخيها قالت[248] :

الا يـا عـين ويحـك اسـعديني — لريب الدهـر والـزمن العضوض

ولا تبقي دمـوعا بعـد صـخر — فقد كلفت دهـرك ان تفيضـي

وقـد اصبحت بعـد فتـى سـليم — افـرج هم صـدرى بالقريض

واصبح لا اعـد صحيح جسـم — ولا دنفـا امـرض كالمـريض

وقالت ايضا وقـد آلمتها لوعة فقـدان اخيها وقد كان في حياتـه نعم انيس وحام لهـا :

الا يـا صخـر ان ابكيت عيني — لقـد اضحكتني دهـرا طويلا

بكيتك فـي نسـاء معـولات — وكنت احق من ابدى العويـلا

دفعت بك الجليل وانت حـي — فمـن ذا يدفـع الخطب الجليـلا

اذا قبـح البكـاء عـلى قتيـل — رأيت بكاءك الحسـن الجميـلا

وتبالغ الخنساء في بكاء فقيدها حتى انها لتعاتب عينيها ان هما شحتا بالدموع:

يا عـين مالك لا تبكـين تسـكابا — اذ راب دهر وكان الـدهر ريابا

---

٢٤٧ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣١/٣٢ ·

٢٤٨ ـ انظر ديوانها بالنسبة لهذه الابيات والابيات التالية ·

فابكي اخاك لا يتـام وارملـة وابكي اخاك اذا جاوزت اجنـابا
وابكي اخاك لخيـل كالقطا عصب فقـدن لمـا ثوى سيبا وانهـابا
هو الفتى الكـامل الحـامي حقيقته مأوى الضـريك اذا ما جـاء منتابا
يهدي الرعيل اذا ضاق السبيل بهم نهـدا التليل لصعب الامـر ركابا

وتستطرد الخنساء في بكائها وهي مستكينة مشفقة على نفسـها من ريب الدهـر :

فمثل حبيبي ابكـى العيـون واوجـع مـن كان لا يوجـع
وفجعني ريب هـذا الـزمان بـه والمصائب قـد تفجـع
اخ لـي لا يشتكيـه الـرفيق ولا الركب في الحاجـة الجـوع
فما لـي والـدهر ذى النائبـات اكل الوزوع بنـا تـوزع

واذ تبلغ اللوعة بالخنساء منتهاها ، فانها تجد في الباكين امثالها على اخوانهم خير ملجأ لاطفاء اللوعة :

يذكرني طلوع الشمس صخـرا واذكره لـكل غروب شمس
ولولا كثرة البـاكين حـولي عـلى اخـوانهم لقتلت نفسـي

ومن الشعراء الجاهليين من تناسي كبرياء الرجولة ولم يجد بأسا من البكاء على احبائه الذين فقدهم في المعارك ، فتراه ينوح في شعره عليهم تخفيفا من وقع المصاب • قال زهير بن جذيمة العبسي يبكي ابنه شاسا الذي قتلته بنو غني وبسببه حدث يوم منعج[٢٤٩] :

بكيت لشأس حـين خبرت انـه بماء غني آخـر الليـل يسلب
قتيل غني ليس شكل كشكلـه كـذاك لعمرى الحين للمرء يجلب
سـابكي عليـه ان بكيت بعبـرة وحـق لشأس عبرة حـين تسكب
وحـزن عليه ما حييت ولـوعة على مثل ضوء البدر او هو اعجب

---

٢٤٩ ـ الاغاني ج١١ ص ٧٣ •

اذاسيم ضيما كان للضيم منكرا　　وكان لدى الهيجاء يخشى ويرهب
وان صوت الداعي الى الخير مرة　　اجاب لما يدعو له حين يكرب .
ففرج عنه ثم كان وليه　　فقلبي عليه ـ لو بدا القلب ـ ملهب

وبكى مهلهل اخاه كليبا في مفتتح قصيدته التي هدد فيها بني بكر وانذرهم سوء العقاب[250] :

اهاج قذاة عيني الادكار　　هدوءا فالدموع لها انحدرا
وصار الليل مشتملا علينا　　كأن الليل ليس له نهارا ..
وبت اراقب الجوزاء حتى　　تقارب من اوائلها انحدرا
اصرف مقلتي في اثر قوم　　تباينت البلاد بهم فغاروا
وابكي والنجوم مطلعات　　كأن لم يحوها عني البخار
على من لو نعيت وكان حيا　　لقاد الخيل يحجبها الغبار

واضافة الى بكاء الجاهليين لقتلاهم ، فان الشاعر الجاهلي عدد فضائل القتيل وبالغ فيها ، فهو يبدو في قصيدته شجاعا كريما محافظا على شرف القبيلة وقد خصة اجمالا بكل مظاهر المدح كما لوكان يمدح حيا ولكن باسلوب فيه اسى ولوعة يتناسب مع ما يوحى به الموت من رهبة وعاطفة .

قال دريد بن الصمة من قصيدة له مشهورة يرثي بها اخاه عبدالله الذي قتل في يوم اللوى وقد خصه بالشجاعة والصبر والكرم وسداد الرأى[251]:

فان يك عبدالله خلى مكانه　　فلم يك وقافا ولا طائش اليد
ولا برما اذا الرياح تناوحت　　برطب العضاة والهشيم المعضد
كميش الازار خارج نصف ساقه　　بعيد من الافات طلاع أنجد
قليل التشكي للمصيبات حافظ　　من اليوم اعقاب الاحاديث في غد
تراه خميص البطن والزاد حاضر　　عتيد ويغدو في القميص المقدد

---

٢٥٠ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ١٥١ .
٢٥١ ـ جمهرة اشعار العرب ص ٢٤٤ ومابعدها ، الاصمعيات ص ١٠٥ وما بعدها .

وان مسه الاقواء والجهد زاده   سماحا واتلافا لما كان في اليـد

صبا ما صبا حتى علا الشيب رأسه   فلما علاه قال للباطـل ابعـد

ووصف مهلهل اخاه كليبا وهو يرثيه ، بانه فتى عز ومكرمة ومن خلائقه الحزم والعزم والشجاعة(٢٥٢) :

كليب لا خير في الدنيا ومن فيها   اذ انت خليتها فيمن يخليهـا

كليب اى فتى عز ومكرمـة   تحت السفاسف اذ يعلوك سافيها

نعى النعاة كليبا لي فقلت لهـم   مالت بنا الارض اوزالت رواسيها

الحزم والعزم كانا من صنيعته   ما كل آلائه يا قوم احصيهـا

القائد الخيل تردى في اعنتهـا   زهوا اذا الخيل لجت في تعاديها

من خيل تغلب ما تلفى استتهـا   الا وقد خضبوها من اعاديهـا

يهزهزون من الخطى مدمجـة   كمتا انابيبها زرقـا عواليهـا

نروى الرماح بأيدينا فنوردهـا   بيضا ونصدرها حمرا عواليهـا

ليت السماء على من تحتها وقعت   وانشقت الارض فانجابت بمن فيها

لا اصلح الله منا من يصالحكـم   ما لاحت الشمس في اعلى مجاريها

وقال ايضا في كليب وقد خصه بالحفاظ على شرف العشيرة واكرامـه النازلين به من ضيوف ومحتاجين(٢٥٣) :

كنا نغار على العواتق ان تـرى   بالامس خارجه عن الاوطـان

فخرجن حين ثوى كليب حسرا   مستيقنـات بعـده بهـوان

فترى الكواعب كالظباء عواطـلا   اذ حان مصرعه مـن الاكفـان

يخمشن من ادم الوجوه حواسرا   من بعـده ويعـدن بالازمـان

متلبسـات نكـدهن وقـدورى   اجوافهن بحرقة وورانـي

ويقلن من للمستضيف اذا دعـا   ام من لخضب عوالي المـران

ام لا تسار بالجزور اذا غـدا   ريح يقطع معقد الاشـطان

---

٢٥٢ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٧٣ ، الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٣١/٥٣٢ .

٢٥٣ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٢٩ / ٥٣٠ .

ام من لا سباق الديات وجمعهـا   ولفادحات نوائب الحدثـان
كان الذخيرة للزمان فقد اتـى   فقدانه واخل ركن مكانـي
يا لهف نفسي من زمان فاجـع   القى على بكلكل وجـران
بمصيبة لا تستقال جليلـة   غلبت عزاء القـوم والنسـوان
هدت حصونا كن قبل ملاذنـا   لذوى الكهـول معا وللشبـان
اضحت واضحى سورها من بعده   متهدم الاركان والبنيـان
فأبكين سيد قومه واندبنـه   شدت عليه قباطي الاكفـان
وابكين للايتام لما اقحطـوا   وابكين عند تخاذل الجـيران
وابكين مصرع جيده متزمـلا   بدمائه فلذاك ما ابكانـي
فلأتركن به قبـائل تغلـب   قتلى بكل قـرارة ومكـان
قتلى تعاورها النسور اكفهـا   ينهشنها وحواجل الغربـان

وعدد مهلهل فضائل اخيه وهو يرثيه في قصيدة طويلة ولكن باسلـوب من العتاب فقد ذكره بالمعوز المحتاج وبالجار وبالضعيف وبنساء القبيلة اللائي برزن من الخدور بعده ، فكأنه ينعى عليه موته وتركه كل هؤلاء بلا مجير . قال مكررا الشطر الاول «على ان ليس عدلا من كليب» مرات عديدة فـي قصيدته التي مطلعها[٢٥٤] :

اليلتنا بذي حسم انـيرى   اذا انت انقضيت فلا تحـوري
فان يك بالذنائب طـال ليلـي   فقـد ابكي من الليل القصـير
على ان ليس عدلا من كليـب   اذا رجف العضاه[٢٥٥] من الدبور
على ان ليس عدلا من كليـب   اذا طرد اليتيم عن الجـزور
على ان ليس عدلا من كليـب   اذا ما ضيم جيران المجـير
على ان ليس عدلا من كليـب   اذا خيف المخوف من الثغـور
على ان ليس عدلا من كليـب   غداة بلابل الامر الكبـير
على ان ليس عدلا من كليـب   اذا هبت رياح الزمهريـر

---

٢٥٤ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ١٥٦/١٥٨ ، العقد الفريد ج٦ ص ٧٥/٧٦ .
٢٥٥ ـ العضاه ، نوع من الشجر .

على ان ليس عدلا من كليب   اذا وثب المثار على المثير

على ان ليس عدلا من كليب   اذا برزت مخبأة الخدور

على ان ليس عدلا من كليب   اذا علنت نجيات الامور

ورثي عبدالله بن عنمة الضبي بسطام بن قيس الشيباني الذي صرع في يوم الشقيقة وهو احد ايام ضبة على بني شيبان ، وذكر ان رثائه له كان بسبب مجاورته لبني شيبان فلما قتلت بنو ضبة بسطاما خاف الانتقام فرثاه زلفى، بيد انه اجاد الرثاء ، اذ لخص في ابياته القليلة معاني البطولة والكرم في الفقيد ، وبرع في البيت السادس منها عندما عدد فيه حقوق رئيس القبيلة وقائدها في الحرب • قال[٢٥٦] :

لام الارض ويل ما اجنت   بحيث اضر بالحسن السبيل[٢٥٧]

يقسم ماله فينا وندعو   ابا الصهباء اذجنح الاصيل[٢٥٨]

اجدك لن تريه ولن تراه   تخب به عذافرة ذمول[٢٥٩]

حقيبة رحلها بدن وسرج   تعارضها مربية دؤول[٢٦٠]

الى ميعاد أرعن مكفهر   تضمر في جوانبه الخيول[٢٦١]

لك المرباع منا والصفايا   وحكمك والنشيطة والفضول[٢٦٢]

افاتته بنو زيد بن عمرو   ولا يوفى ببسطام قتيل[٢٦٣]

وخر على الألاءة لم يوسد   كأن جبينه سيف صقيل[٢٦٤]

---

٢٥٦ ـ الاصمعيات ص ٣٦/٣٧ ، الحماسة ج١ ص ٥٩١ ، ابن الاثير ج١ ص ٦١٥/٦١٦ •

٢٥٧ ـ الحسن اسم لجبل •

٢٥٨ ـ ابو الصهباء ، كنية بسطام والاصيل وقت العشاء وهو وقت الاضياف •

٢٥٩ ـ العذافرة ، الغليظة من الابل والذمول السريعة منها •

٢٦٠ ـ الحقيبة ما يجعل وراء الرحل والبدن الدرع والمربية السمينة والدؤول من الدؤلان وهو نوع من السير •

٢٦١ ـ الارعن ، الجيش الكثيف والمكفهر صفة للجيش ، وتضمر اى تعطى القليل من العلف بعد ان تبدو عليها السمنة •

٢٦٢ ـ المرباع ، ربع الغنيمة وهي حصة الرئيس والصفايا جمع صفية وهي الاشياء التي يصطفيها الرئيس من الغنيمة والنشيطة ما اصابه الجيش فى طريقه من قبل ان يصل الى مقصده ، والفضول ما فضل ولم يقسم •

٢٦٣ ـ افاتته بنو زيد ، اى ضيعوا دمه •

٢٦٤ ـ الالاءة ، نوع من الشجر •

فان تجزع عليه بنو ابيـــه فقد فجعوا وفاتهم جليـــل
بمطعام اذا الاشـــوال راحـــت الى الحجرات ليس لها فصيل[(٢٦٥)]

ولم تبك دختنوس اباها لقيط بن زرارة الذي قتل في يوم شعب جبلة كما هو معهود في رثاء الجاهليات بل رثته بقصيدة عددت فيها مآثره وفخرت بعلو نسبه وتقدمه على قومه وبشجاعته في الحرب ولامت بني اسد وهوزان ـ من حلفاء تميم في هذا اليوم ـ لفرارهم من المعركة وتركهم لقيطا عرضه للاعداء• قالت[(٢٦٦)]

بكر النعـي بخـير خنـــدف كهلهـا وشـــبابها[(٢٦٧)]
واضرها لعدوهـــــا وافكها لرقابهـــــنا
وقريعها ونجيبهـــــا في المطبقات ونابهـــــا
ورئيسها عند الملـــــو ك وزين يوم خطابهـــــا
فرع عمود للعشـــــيرة رافعا لنصابهـــــا[(٢٦٨)]
ويعولها ويحوطهـــــا ويذب عن احســـــابها
ويطاموطيء للعـــــدو وكـــان لا يمشـــى بهـــا
فعل المدل من الاســـــو دلحينها وتبابهـــــا[(٢٦٩)]
كا لكوكب الدري في الظلمــــاء لا يخفـــى بها
عبث الاغربـــــه وكـــل منيـــة لكتابهـــا[(٢٧٠)]
فرت بنو اســـد فـــرا ر الطـــير عـــن اربابهـــا[(٢٧١)]
وهوزان اصحابهـــــم كالفأر في اذنابهـــــا
لم يحفظوا حسـبا ولـــم يأووا لفيء عقابهـــــا[(٢٧٢)]

٢٦٥ ـ الاشوال ، النوق التي خف لبنها •
٢٦٦ ـ الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٥٨٥/٥٨٦ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٣٦٢/٣٦٣ •
٢٦٧ ـ بكر ، اتى باكرا وخندف تنسب اليها قبائل مضر ومنها بنو تميم قوم الشاعرة •
٢٦٨ ـ الفرع الابن والعمود السند •
٢٦٩ ـ المدل الواثق من نفسه ، والحين الهلاك ، والتباب الفساد •
٢٧٠ ـ الاغر ، السيد وتكني به الشاعرة عن قاتل ابيها •
٢٧١ ـ بنو اسد حلفاء تميم في يوم شعب جبلة وكانوا من الفارين •
٢٧٢ ـ تقصد بالعقاب هنا لقيطا •

وكثيرا ما توعد الشاعر الجاهلي في قصائد الرثاء اعداءه الذين قتلوا عزيزا عليه ، فهددهم بسوء المصير وبالاجل القريب • قال(٢٧٣) الربيع ابن زياد العبسي من قصيدة يرثي بها مالك بن زهير بن جذيمة العبسي الذي قتله بنو ذبيان :

ما ان أرى في قتله لذوى الحجا — الا المطي تشدب بالاكوار
ومجنبات لم يذقن عذوفة — يقذفن بالمهرات والامهار(٢٧٤)
ومساعرا صدأ الحديد عليهم — فكأنما طلي الوجوه بقار
يارب مسرور بمقتل مالك — ولسوف يصرفه لشر محار

وعند مقتل خالد بن جعفر الكلابي ، وكان قد قتله الحارث بن ظالم المري في يوم بطن عاقل كما تقدم ، قال عبدالله بن جعدة الكلابي متوعدا(٢٧٥) :

شقت عليك العامرية جيبها — اسفا وما تبكي عليك ضلالا
يا حار لو نبهته لوجدته ••• — لا طائشا رعشا ولا معزالا
واغرورقت عيناى لما اخبرت — بالجعفري واسبلت اسبالا
فلنقتلن بخالد سرواتكم •• — ولنجعلن للظالمين نكالا
فاذا رايتم عارضا متهللا — منا فانا لا نحاول مالا

ويعد مهلهل من ابرع من اجاد في تهديد الاعداء في مرثياته • فلا تكاد واحدة من قصائده الرثائية تخلو من تهديد لبكر لقتلها اخاه كليبا ، وقد تقدم شيء من ذلك في موضع سابق وحسبنا هنا الابيات التالية من احدى مرثياته (٢٧٦) :

اتغدو يا كليب معي اذا ما — جبان القوم انجاه الفرار
اتغدو يا كليب معي اذا ما — حلوق القوم يشحذها الشفار

---

٢٧٣ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٨٩ •

٢٧٤ ـ المجنبات ، الخيل تجنب الى الابل في الغزو ، والعذوفة القليل من الطعام او الشراب وقوله يقذفن بالمهرات والامهار اى ان الابل تقذف اولادها نظرا لشدة سيرها •

٢٧٥ ـ نهاية الارب للنويرى ج١٥ ص ٣٤٩ •

٢٧٦ ـ ايام العرب فى الجاهلية ص ١٥٢ •

اقـــول لتغلـب والعـــز فيهـــا	اثيروهـــا لذلـــكم انتصـــــار
تتابع اخوتي ومضـــوا لامـــر	عليـــه تتابـع القـــوم الخيـــار
خـذ العهـد الاكيـد على عمرى	بتركـــي كـل مـا حـوت الديار
وهجـري الغانيات وشـرب كأس	ولبســـي جبـــة لا تســـتعار
ولسـت بخالـع درعـي وسيـفي	الى ان يخلـع الليـل النهـار
والا ان تبيد ســراة بكــر ••	فــلا يبقـى لها ابـدا اثـــار

ونظر الشاعر الجاهلي احيانا الى الموت وهو يرثي احبـاءه مـن قتـلى الايام نظرات فيها ايماءات فلسفية او عدم اكترات وذلك في محاولة منـــه للتخفيف من وقع المصاب • فتراه يقنع نفسه بان الموت حقيقة واقعة وبانـه غاية كل حي ولا سبيل لتخطيه فلابد اذن من الصبر على الخطب مهما كـان جللا • وقد ترك في هذا المجال بعض القصائد والابيات المتفرقة فيها روعـة وتبحر •

قال مهلهل من قصيدة في هذا المعنى[٢٧٧] :

وكنـت اعـد قربـي منـك ربحا	اذا مـا عـدت الربـــح التجـار
فـلا تبعد فكـل ســوف يلقـى	شـعوبا يستديـر بهـــا المـدار
يعيش المــرء عنـد بني ابيـــه	ويوشـك ان يصير بحيث صاروا
ارى طـول الحيـاة وقـد تولـى	كمـا قـد يسـلب الشـيء المعار

وفي ذلك تقول فاطمـة بنت الاحجم وقد فقدت اخوتهـــا في يـــوم الحريرة[٢٧٨] :

اخـــوتي لا تبعـــدوا ابـــدا	وبـــلى والله قـــد بعـــــدوا
لـــو تملتهـــم عشـــيرتهم	لاقتنـــاء العـــز او ولـــدوا
هـان مـن بعض الرزيـــة او	هـان مـن بعض الـذي اجـد
كـل ماحـــي وان امـــروا	وارد الحـــوض الـذي وردوا

---

٢٧٧ ـ المصدر السابق ص ١٥١ •
٢٧٨ ـ المصدر السابق ص ٣٤١ •

وابى دريد بن الصمة بكاء اخيه عبدالله الذي قتل في يوم اللوى اعتدادا بالصبر وافتخارا بعشيرته التي صور افرادها عرضة لسيوف الاعداء ، فهو هنا غير مكترث بالموت تيقنا منه بانه سبيل لعشيرته واعدائها على حد سواء[279] :

تقول : الا تبكي اخاك وقد أرى	مكان البكا لكن بنيت على الصبر
فقلت اعبدالله ابكي ام الذي	له الجدث الاعلى قتيل ابي بكر[280]
وعبد يغوث تحجل الطير حوله	وعز المصاب حثو قبر على قبر[281]
ابى القتل الا آل صمة انهم ••	ابوا غيرة والقدر يجرى الى القدر
فأما ترينا لا تزال دماؤنا ••	لدى واتر يشفي بها آخر الدهر
فانا للحم السيف غير نكيرة	ونلحمه حيناوليس بذى نكر[282]
يغار علينا واترين فيشتفى	بنا ان أصبنا او نغير على وتر
قسمنا بذاك الدهر شطرين بيننا	فما ينقصني الا ونحن على شطر

٤ ـ الهجاء

احتل الهجاء مكانا مصدرا بين اغراض الشعر الجاهلي التي قيلت في مجال الايام ، فقد وازى في مكانته المديح الذي حفل فيه هذا الشعر فاذا كان دأب الشاعر المادح ابراز انتصارات قبيلته في المعارك واضفاء سمات البطولة عليها فانه في هجائه الاعداء صور هزائمهم ، ووصفهم بالجبن وازرى بهم وهون من شأنهم في الحرب • ولم يكن هجاء الشاعر الجاهلي مقصورا على اعدائه فقط بل تعداه مرارا الى ابناء قبيلته وحلفائها بسبب من تخاذلهم في المعركة او لفرارهم منها او لامتناعهم عن نصرة اخوانهم في الحرب • وعموما فان هجاء الجاهليين نزيه في معظمه ، لم يألف فيه الشاعر معاني الفحش والتشهير كما استمرأها فيما بعد شعراء العصر الاموي واضرابهم امثال جرير والفرزدق ممن انحدروا في مهاوىن الحطة مزرية • فقد كانت غاية الجاهلي في هجائه خصومه وتوبيخه

---

٢٧٩ ـ المصدر السابق ص ٢٩٧/٢٩٨ •
٢٨٠ ـ قتيل ابي بكر هو اخوه قيس •
٢٨١ ـ عبد يغوث اخوه ايضا •
٢٨٢ ـ لحمه ، اطعمه •

قومه وصم المتخاذلين من الجانبين بعدم المحافظة على المحارم وبالفرار من المعترك رغبة بالحياة وما الى ذلك من معان الفها الجبان في الحرب • قال قيس بن الخطيم من قصيدة يهجو بها بني دحي ، احدى القبائل المعادية للاوس ويعيرها بالهزيمة(٢٨٣) :

ابني دحي(٢٨٤) والخنا من شأنكم	انى يكون الفخر للمغلوب
وكأنهم في الحرب اذ تعلوهم	غنم يغبطها غواة شروب
ان الفضاء لنا فلا تمشوا به	ابدا بعالية ولا بذنوب
وتفقدوا تسعين من سرواتكم	اشباه نخل صرعت لجنوب
وسلوا صريح الكاهنين ومالكا	عمن لكم من دارع ونجيب

وقال ايضا في هجاء بعض اعدائه وقد عدد من مثالبهم الجبن وصغر الشأن والفرار عند احتدام اللقاء(٢٨٥) :

سقينا بالفضاء كؤوس حرب	بني عوف(٢٨٦) واخوتهم تزيدا
لقيناهم بكل اخي حروب	يقود وراءه جمعا عتيدا
ومشرفة التلائل مضمرات	طوى احشاءها التعداء قودا
اكنتم تحسبون قتال قومي	كأكلكم الفغايا والهبيدا
اصاب القتل ساعدة بن كعب	وغادر في مجالسها قرودا
وقد رد العزائم في طريف	واقيان يصوغون الحديدا
وان سيوفنا ذهبت عليكم	بني شر الخنا مهلا بعيدا
ويأبى جمعكم الا فرارا	ويأبى جمعنا الا ورودا •••••
الا من مبلغ عني كعيبا ••	فهل ينهاك ابك ان تعودا
اراني كلما صدرت امرا	بني الرقعاء جشمكم صعودا
فما ابقت سيوف الاوس منكم	وحد ظباتها الا شريدا
فلن ننفك نقتل ما حيينا	رجالكم ونجعلكم عبيدا

---

٢٨٣ ـ ديوان قيس بن الخطيم تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ، ط ١ ص ٣٦ •
٢٨٤ ـ بنودحي ، اسم لقبيلة •
٢٨٥ ـ المصدر السابق ص ٥١/٥٢ •
٢٨٦ ـ بنوعوف وتزيد / من القبائل المعادية للاوس قوم قيس •

وقد يتهكم الشاعر الجاهلي من اعدائه اسرافا في اذلالهم ، ففي يوم ساحوق - لذبيان على عامر - شنق بعض المنهزمين انفسهم خوفا من الاسر فقال عروة بن الورد العبسي في ذلك[287] :

ونحن صبحنا عامرا في ديارها علالة ارماح وضربا مذكرا
بكل رقيق الشفرتين مهند .. ولدن من الخطى قد طراسمرا
عجبت لهم اذ يخنقون نفوسهم ومقتلهم تحت الوغى كان اجدرا

وكما تقدم فان الشاعر الجاهلي قو ازرى احيانا بقومه وبحلفائهم ، وانما فعل ذلك لعدة اسباب ابرزها تخاذلهم في الحرب والانصراف عن نصرة المتحاربين من اخوانهم ومهادنة الاعداء او الفرار منهم عند استعار المعارك . فاثر هزيمة يربوع امام بكر في يوم قشاوة قال مالك بن حطان هاجيا قومه لتخاذلهم في المعركة[288]

لعمرى لقد اقدمت مقدم حارد ولكن اقران الظهور مقاتل[289]
ولو شهدتني من عبيد عصابة حماة لخاضوا الموت حين انازل
بكل لذيد لم يخنه ثقافه .. وعضب حسام اخلصته الصياقل
وما ذنبنا انا لقينا قبيلة اذا واكلت فرساننا لا تواكل
يساقوننا كأسا من الموت مرة وعرد عنا المقرفون الحناكل[290]
فليت سعيرا كان حيضا برجلها وليت حجيرا غرقته القوابل[291]
وليتهم لم يركبوا في ركوبنا وليت سليطا دونها كان عاقل
فما بين من هاب المنية منكم وما بيننا الا ليال قلائل

وفي هذا المعنى قال مالك بن نويرة يهجو بني سليط لانهزامهم في اليوم ذاته[292] :

---

٢٨٧ - الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٦٤٤

٢٨٨ - نقائض ابي عبيدة ج١ ص٢٢/٢٣ .

٢٨٩ - الاقران ، الاعوان والظهر الناصر .

٢٩٠ - الحناكل ، جمع حنكل وهو القاصر عن الاعمال البطولية ، وعرد اي فر .

٢٩١ - الجنين عندما يموت في الرحم يقال عنه غرقته القوابل.

٢٩٢ - المصدر السابق ص ٢٢ .

لحا الله الفوارس من سليط . خصوصا انهم سلموا وآبوا
اجئتم تطلبون العذر عندي ولم يخرق لكم فيها اهاب
دعتكم خلفكم فأجبتموها مجازم في اعاليها الجباب[٢٩٣]
كفعلكم غداة لوى حبي فهذا من لقائكم عذاب
اذا لا قيتم ابدا فضحتم ذماركم فليس لكم عتاب
فكيف بكم وقد اخزيتموها اذا ذكر الحفائظ والسباب
وكانت جعفر لو صادفتها هم اصحاب نجدتها فغابوا
ولو شهد الفوارس من عبيد لراث لرهط بسطام اياب
ولو سمع الدعاة بنو رياح لجاء فوارس منهم غضاب
فلا تبعد فوارسنا وجادت على ارض ثووا فيها الذهاب

وعرض سعد بن مالك بالحارث بن عباد الذي اعتزل حرب البسوس ولم ينتصر لقومه بني بكر في قتالهم لبني وائل[٢٩٤] :

يا بؤس للحرب التي وضعت اراهط فاستراحوا[٢٩٥]
والحرب لا يبقى لجا حمها التخيل والمراح ..[٢٩٦]
الا الفتى الصبار في النجـ ـدات والفرس الوقاح[٢٩٧]
والنثرة الحصداء والـ ـبيض المكلل والرماح
وتساقط الاوشاظ والـ ـذبات اذ جهد الفضاح
والكر بعد الفراذ كره التقدم والنطاح
كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح
يئس الخلائق بعدنا اولاد يشكر واللقاح
من صد عن نيراننا فانا ابن قيس لا براح[٢٩٨]

---

٢٩٣ ـ المجازم ، الاسقية المملوءة والجباب شبيه بالزبد يعلو لبن اللقاح .
٢٩٤ ـ ديوان الحماسة ج ١ ص ٢٧٨ .
٢٩٥ ـ ارهط جمع ارهط وهو جمع رهط .
٢٩٦ ـ جاحمها ، مثيرها والتخيل التكبر والمراح النشاط .
٢٩٧ ـ الفرس الوقاح ، الشديد .
٢٩٨ ـ لابراح ، لا ريب .

صبرا بني قيس لها ... حتى تريحوا او تراحوا
ان المـوائل حوفها ... يعتاقه الاجل المتاح
هيهات حال الموت دو ... ن الفوت وانتضى السلاح
كيف الحياة اذا خلت ... منا الظواهر والبطاح
ايـن الاعزة والاسنة ... عند ذلك والسماح

وفي يوم جدود وهو لبني منقر من تميم على بني بكر ، هجا قيس بن عاصم بني يربوع – وهم من تميم – لمسالمتهم الغازين من بني بكر(٢٩٩) :

جزى الله يربوعا باسوأ سعيها ... اذا ذكرت في النائبات امورها
ويوم جدود قد فضحتم اباكم .. ... وسالمتم والخيل تدمى نحورها
ستخطم سعد والرباب انوفكم ... كماغاطفيانف القضيبجريرها(٣٠٠)
فاصبحتم والله يفعل ذاكم .. ... كمهنوءة جرباء ابرز كورها
فاصبحتم والله يفعل ذاكم .. ... كمؤودة لم يبق الا زفيرها
افخرا على المولى اذا ما بطنتم ... ولؤما اذا ما الحرب شب سعيرها

واذا كان الشاعر الجاهلي قد استهان بقومه وذمهم احيانا لبعض من صفات الجبن التي اظهروها في المعارك فانه كان اكثر ايلاما في هجائه لهم ان هم تولوا فرارا امام العدو ومن ابرز من الح على قومه في هذا المجال العوام الشيباني الذي اكثر من هجاء بني بكر لفرارهم في يوم الاياد وهو لبني يربوع من تميم على بني بكر ، من ذلك قوله(٣٠١) :

وان يك في يوم الغبيط ملامة ... فيوم العظالى كان اخزى وألوما
اناخوا يريدون الصباح فصبحوا ... وكان على الغازين دعوة اشأما
فررتم ولم تلووا على محجيركم.. ... لو الحارث الحراب يدعى لاقدما
وما يجمع الغزو السريع نفيره ... وان تحرموا يوم اللقاء القنا الدما

---

٢٩٩ – نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٣٢٧/٣٢٨ .
٣٠٠ – غاظ دخل ، والقضيب الناقة والجرير الحبل .
٣٠١ – نقائض ابي عبيدة ج ٢ ص ٥٨٥ .

ولو ان بسطاما اطيع بامره •• لادى إلى الاحياء بالنحو مغنما
ولكن مفروق القنا وابن خاله •• الاما فليما يوم ذاك وشؤما
ففر ابو الصهباء اذ حمس الوغى والقى بابدان السلاح وسلما
وايقن ان الخيل ان تلتبس به •• يقظ عاتيا او يملأ البيت مأتما
ولو انها عصفورة لحسبتها مسومة تدعو عبيدا وازنما
ابى لك قيد في الغبيط لقاءهم ويوم العظالى اذ نجوت مكلما
فافلت بسطام جريضا بنفسه •• وغادرن في كرشاء لدنا مقوما
وقاظ اسيرا هانيء وكأنما •• مفارق مفروق تغشين عندما[302]

وتهكمت بمرارة دختنوس ابنة لقيط بن زراة من النعمان بن قهوس التميمي حامل لواء تميم في يوم جبلة لفراره عند تجلد بني عامر في القتال[303] :

فر ابن قهوس الشجاع بكفه رمح متل[304]
يعدو به خاظي البضيع كأنه سمع أزل •••••[305]
انك من تيم فدع غطفان ان ساروا وحلوا
لا منك عدهم ولا آباك ان هلكوا وذلوا
فخر البغي بحدج[306] ر بتها اذا الناس استقلوا
ولقد رايت اباك وسط القوم يبزو او يجل[307]
متقلدا ربق الفرار كأنه في الجيد غل

والشاعر الجاهلي كما ذكرنا من قبل نزيه في هجائه مبتعد عن مواطن التدني ، فقد قصر هجاءه على المعاني المتقدمة ولم يألف في معظم الاحيان ما يجافي المثل التي تعارف عليها مجتمعه • ففي الروايات ان النابغة الذبياني أنكر على قومه هجاءهم عامر بن الطفيل باسلوب ناب اثر هزيمة بني عامر في يوم الرقم وقال

---

٣٠٢ ـ العندم شجر احمر او هو نوع من الصبغ •
٣٠٣ ـ نقائض ابي عبيدة ج ٢ ص ٦٥٦/٦٥٧ •
٣٠٤ ـ المتل ، الشديد •
٣٠٥ ـ الخاظي ، المكتنز والبضيع ما انحاز من لحم الفخذ والسمع ولد الضبع والازل السريع •
٣٠٦ ـ الحدج ، مركب النساء •
٣٠٧ ـ يبزو ، كناية عن الجبن ويجل يجمع البعر •

فيه بدلا عن ذلك ابيات هي غاية في التعريض المؤدب حط بها من شأنه بان فضل عليه اباه وعمه وكان عامر يرى انه افضل منهما اعتدادا بنفسه ، حتى انه قال عندما تناهت اليه ابيات النابغة ،، ما هجيت قبلها[٣٠٨] واليك الابيات[٣٠٩] :

فان يك عامر قد قال جهلا ... فان مظنة الجهل الشباب
فكن كابيك او كأبي براء ... توافقك الحكومة والصواب
ولا تذهب بحلمك طاميات ... من الخيلاء ليس لهن باب
فانك سوف تحلم او تناهي ... اذا ما شبت او شاب الغراب
فأن تكن الفوارس يوم حسي ... اصابوا من لقائك ما اصابوا
فما ان كان من نسب بعيد ... ولكن ادركوك وهم غضاب
فوارس من منولة غير ميل ... ومرة فوق جمعهم العقاب

وقد يأبى الشاعر الجاهلي الهجاء ابدا كما فعل صخر بن عمرو بن الشريد السلمي الذي امتنع عن هجاء بني ذبيان وقد قتل احد فرسانهم وهو هاشم بن حرملة اخاه معاوية في يوم حوزة الاول ، واكتفى بان رثاه بابيات مؤثرة معرضا عن الهجاء قال[٣١٠] :

وعاذلة هبت بليل تلومني ... الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيا
تقول الا تهجو فوارس هاشم ... ومالي اذا أهجوهم ثم ماليا
ابى الهجو اني قد اصابوا كريمتي ... وان ليس اهداء الخنا من سماتيا
اذا ما امروء اهدى لميت تحية ... فحياك رب الناس عني معاويا
وهون وجدى انني لم اقل له ... كذبت ولم ابخل عليه بماليا
وذى اخوة قطعت اقران بينهم ... كما تركوني واحدا لا اخاليا

ومن صور الهجاء الجاهلي النقائض التي كانت تنشب بين شاعرين اثر يوم وقع بين قبيلتيهما كما تقدم ذلك في فصل سابق ، بيد ان المناقضة الجاهلية لم تكن

٣٠٨ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج ١ ص ٦٤٣ .
٣٠٩ ـ ديوان النابغة الذبياني ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠ ص ٢٠/١٩ .
٣١٠ ـ العقد الفريد ج ٦ ص ٣٠

فنا قائما بذاته مثلما هو معروف عنها في صدر الاسلام حيث اختص بها شعراء قصروا جل شعرهم عليها واوجدوا لها الاطر الفنية الخاصة بها ، وقد وقفنا على شيء من هذا الفن في مجال سابق من البحث عند تحدثنا عن نقائض جرير والفرزدق •

فالمناقضة الجاهلية كانت تبدأ بقصيدة يقولها شاعر فيتصدى له آخر ليرد عليه بقصيدة مماثلة وتكون على الاغلب من ذات الوزن والقافية وقد لا تكون كذلك ، وكثيرا ما تنتهي المناقضة على هذا النحو دون ان يعود كل من الشاعرين الى اثارتها تارة اخرى كما هو في المناقضة الاسلامية[٣١١] • ومن امثلة المناقضة الجاهلية قصيدة عمرو بن الاطنابة في هجاء الحارث بن ظالم المرى لقتله خالد بن جعفر الكلابي وهو نائم وذلك في بطن عاقل ، وقد قالها وهو في مجلس شربه وقيانه يتغنين[٣١٢] :

علّلاني وعللا صاحبيا واسقياني من المروق ريا
ان فينا القيان يعزفن بالدف لفتياننا وعيشا رخيا ••
يتبارين بالنعيم ويصببن خلال القرون مسكا ذكيا
انما همهن ان يتحلين سموطا وسنبلا فارسيا ••
من سموط المرجان فصل بالشذر فأحسن بحليهن حليا
وفتى يضرب الكتيبة بالسيف اذا كانت السيوف عصيا
اننا لا نسر في غير نجد ان فينابها فتى خزرجيا ••••
يدفع الضيم والظلامة عنا فتجافي عنه لنا يا منيا ••••
ابلغ الحارث بن ظالم الرعديد الناذر النذور عليا
انما يقتل النيام ولا يقتل يقظان ذا سلاح كميا ••••
ومعي شكتي معابل كالجمر واعددت صارما مشرفيا
لو هبطت البلاد انسيتك القتل كما ينسي النسيء النسيا

---

٣١١ ـ ومن الشعراء الجاهليين الذين عاودوا المناقضة بينهم اكثر من مرة خلافا لما تقدم ، قيس بن الخطيم من الاوس وحسان بن ثابت من الخزرج نظرا لكثرة ايام قومهما •

٣١٢ ـ الاغاني ج ١١ ص ١١٥/١١٦ •

فاجابه الحارث عندما تناهت اليه الابيات المتقدمة ، وكان قد هم بقتل عمرا ثم عفى عنه تكرما (٣١٣) :

اعــزفا لي بلــذة قينتيــا قبــل ان يبكــر المنـون عليـا
قبل ان يبكــر العـواذل انــي كنت قــدما لامــرهن عصيـا
بلغتنا مقــالة المــرء عمــرو فأنفنــا وكــان ذاك بديــا
قــد هممنا بقتلــه اذ برزنـا ولقينــاه ذا ســلاح كميــا
غــير مـا نائـم تعــلل بالحــ ــلم معــدا بكفــه مشــرفيا
فمننا عليــه بعــد علــو .. بوفــاء وكنت قــدما وفيــا
ورجعنــا بالصفــح عنــه وكان المــن منـا عليـه بعــد تليـا

وقال مسلمة بن الحارث بن عمرو آكل المرار الكندي عندما قتـل اخوه شرحبيل في يوم الكلاب الاول وهو يعرض بابي حنش قاتله ، وكان مسلمة قـد وعد من يقتل شرحبيلا في ذلك اليوم بمائة من الابل ثم ندم بعد ذلك (٣١٤) :

الا ابلــغ ابا حنش رســولا فمـا لك لا تجـيء الى الثــواب
تعلـم ان خــير النـاس طــرا قتيــل بين احجــار الــكلاب
تداعــت حوله جشم بن بكــر واسلمه جعــاسيس الــرباب
قتيـل مـا قتيلك يـا ابن سـلمى تضر بـــه صديقك او تحــابي

وعندما بلغت الابيات ابا حنش قال واصما مسلمة واباه بالغدر :

احــاذر ان اجيئك ثـم تحبــو حبــاء ابيك يــوم صنيبعــات
فكانت غــدرة شـنعاء ســارت تقلــدها ابــوك الى الممــات
تتــابع ســبعة كانــوا لأم .. كاجــرام النعــام الحــائرات

ومن ابلــغ ما قيل في هــذا المجال قصيدتا عامر بن الاطنابة(٣١٥) والربيع

---

٣١٣ ـ الاغاني ج ١١ ص ١١٦/١١٧ .
٣١٤ ـ نقائض ابي عبيدة ج ١ ص ٤٥٥ .
٣١٥ ـ هكذا يرد اسم الشاعر في ابن الاثير ج ١ ص ٦٦٨ والراجح انه عمرو بن الاطنابة المتقدم ذكره في قصيدة سابقة .

ابن حقيق اليهودي في يوم فارع[٣١٦] ، وقد ابتعد بهما الشاعران عن التجريح مستعملين في هجائهما اسلوب التعريض المؤثر ، وبالرغم من ان القصيدتين تشكلان مناقضة الا انهما قد اختلفتا في القافية ، قال عامر وقد بلغه تهديد الاوس له بالقتل[٣١٧] :

الا من مبلغ الاكفاء عني ... وقد تهدى النصيحة للنصيح
فانكم وما ترجون شطري ... من اقول المزجى والصريح
سيندم بعضكم عجلا عليه ... وما اثر اللسان الى الجروح
ابت لي عزتي وابى بلائي ... واخذي الحمد بالثمن الربيح
واعطائي على المكروه مالي ... وضربي هامة البطل المشيح
وقولي كلما جشأت وجاشت ... مكانك تحمدي او تستريحي
لا دفع عن مآثر صالحات ... واحمي بعد عن عرض صحيح
بذي شطب كلون الملح صاف ... ونفس لا تقر على القبيح

فاجابه الربيع[٣١٨] :

الا من مبلغ الاكفاء عني ... فلا ظلم لدى ولا افتراء
فلست بغائظ الاكفاء ظلما ... وعندي للملمات اجتراء
فلم ار مثل من يدنو لخسف ... له في الارض سير واستواء
وما بعض الاقامة في ديار ... يهان بها الفتى الاعناء
وبعض القول ليس له عناج ... كمحض الماء ليس له اناء
وبعض خلائق الاقوام داء ... كداء الشح ليس له دواء
وبعض الداء ملتمس شفاء ... وداء النوك ليس له شفاء
يحب المرء ان يلقى نعيما ... ويابى الله الا ما يشاء
ومن يك عاقلا لم يلق بؤسا ... ينخ يوما بساحته القضاء
تعاوره بنات الدهر حتى ... تثلمه كما ثلم الاناء

---

٣١٦ ـ من ايام الاوس والخزرج ، المصدر السابق ص ٦٦٨ وما بعدها .
٣١٧ ـ المصدر السابق ص ٦٦٨ .
٣١٨ ـ المصدر السابق ص ٦٦٨/٦٦٩ .

وكل شدائد نزلت بحي | سيأتي بعد شدتها رخاء
فقل للمتقي عرض المنايا | توق فليس ينفعك اتقاء
فما يعطى الحريص غنى بحرص | وقد ينمي لدى الجود الثراء
وليس بنافع ذا البخل مال | ولا مزر بصاحبه الحباء
غنى النفس ما استغنى بشيء | وفقر النفس ما عمرت شقاء
يود المرء ما تفد الليالي | كأن فناءهن له فناء

٥ ـ الوعيد والتحذير

وهما غرضان طرقهما الشاعر الجاهلي في مجالين مختلفين ، الاول توعد اعداءه بالقتل والتنكيل وهددهم بالثأر لذوي قرباه وابناء قبيلته من الذين سقطوا صرعى بايديهم ، وفي المجال الثاني انذر قومه وحذرهم من مباغتة العدو وعزمه على لقائهم طالبا منهم حسن الاستعداد تحسبا لغارته • وما قيل من شعر في الغرض الاول فاق في كثرته ذلك الذي قيل في الغرض الثاني نظرا لان معظم ايام العرب لم تعد ان تكون غارات وغزوات آنية هدفها الاستئثار بالغنيمة مما لم يدع لشاعر القبيلة المهاجمة المجال الكافي لانذار قومه • قال مهلهل متوعدا بني بكر قتلة اخيه كليب[٣١٩] :

قتيل ما قتيل المرء عمرو | وجساس بن مرة ذى صريم
اصاب فؤاده باصم لدن | فلم يعطف هناك على حميم
فان غدا وبعد غد لرهن | لامر ما يقام له عظيم ••
جسيما ما بكيت به كليبا | اذا ذكر الفعال من الجسيم
سأشرب كأسها صرفا واسقي | بكأس غير منطقة مليم

وقال امرؤ القيس يتهدد بني أسد لقتلهم اباه حجرا[٣٢٠] :

تطاول ليلك بالاثمد | ونام الخلي ولم ترقد
وبات وباتت له ليلة | كليلة ذى العائر الارمد

---

٣١٩ ـ الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٥٢٦ •
٣٢٠ ـ شعراء النصرانية ، لويس شيخو ، ط ٢ ، دار المشرق ، بيروت ، القسم الاول ، ص ٤٠ ، ٤١

وذلك من نبأ جاءني وانبئته عن ابني الاسود
ولو عن نبا غيره جاءني وجرح اللسان كجرح اليد
لقلت من القول ما لا يزال يؤثر عني يد المسند
بأى علاقتنا ترغبون أعن دم عمرو على مرثد
فان تدفنوا الداء لا نخفه وان تبعثوا الحرب لا نقعد
وان تقتلونا نقتلكم .. وان تقصدوا لدم نقصد
متى عهدنا بطعان الكماة والمجد والحمد والسؤدد
وبني القباب وملء الجفان والنار والحطب الموقد
واعددت للحرب وثابة جواد المحثة والمرود
سبوحا جموحا واحضارها كمعمة السعف الموقد
ومطردا كرشاء الجزور من خلب النخلة الاجرد
وذا شطب غامضاً كلمه اذا صاب بالعظم لم ينأد
ومسرودة[٣٢١] السك موضونة تضاءل بالطي كالمبرد
تفيض على المرء اردانها كفيض الأتي على الجدجد

وتبرز في تهديد الشاعر الجاهلي لاعدائه وتوعدة لهم صور من التحدي والانتقام بالغة في قسوتها ، ومن ابرز من تقدم في هذا المجال مهلهل الذي اسرف في قتل بني بكر ثأرا لاخيه ، قال[٣٢٢] :

اكثرت قتل بني بكر بربهم حتى بكيت وما يبكي لهم احد
آليت بالله لا ارضى بقتلهم حتى ابهرج بكرا أينما وجدوا

وله ايضا[٣٢٣] :

قتلوا كليبا ثم قالوا اربعوا كذبوا ورب الحل والاحرام
حتى تبيد قبيلة وقبيلة .. ويعض كل مثقف بالهام

---

٣٢١ ـ المسرودة ، الدرع .
٣٢٢ ـ نهاية الارب للنويرى ج ١٥ ص ٤٠٢ .
٣٢٣ ـ المصدر السابق ص ٤٠٢ .

ويقمن ربات الخدور حواسرا	يمسحن عرض ذوائب الايتام
حتى يعض الشيخ بعد حميمه	مما يرى ندما على الابهام

وذهب مهلهل بعيداً في تهديده اذ اقسم بأن يتتبع البكريين قتلا حتى الاجنة في الارحام[٣٢٤] :

قتلوا ربهم كليبا سفاها	ارقب الليل ساهرا ان يزولا
كيف اهدا ولا يزال قتيل	من بني وائل ينسى قتيلا
لم يطيقوا ان ينزلوا ونزلنا	واخو الحرب من اطاق النزولا
قتلوا ربهم كليبا سفاها	ثم قالوا ما ان نخاف عويلا
كذبوا والحرام والحل حتى	يسلب الخدر بيضه المحجولا
ويموت الجنين في عاطف الرحـ	ـم ونروي رماحنا والخيولا

وبعكس الصورة السابقة التي رسمها مهلهل فقد يأتي الوعيد هادئا يطلقه الشاعر الجاهلي بعد تأن وهو مضطر اليه للجاجة الاعداء في الخصومة فتراه يعتذر عن خوضه الحرب معللا انغماره فيها لدفع الظلم الذي ابتدر به ولم يجد بدّاً من دفعه الا بخوضها من ذلك قول الحارث بن عبادة في قصيدته المشهورة : « قربا مربط النعامة مني » والتي تقدم شيء منها في موضع سابق • وكان الحارث معتزلا حرب البسوس التي ثارت بين بكر وتغلب ، ولما اشتط مهلهل في عدوانه وقتل بجيرا ابنه « بشسع نعل كليب » ثارت الحمية فيه ولم يتدبر مخرجا لرد كرامته المهدورة الا بالقتال فقال متوعدا بني تغلب[٣٢٥] :

اصبحت وائل تعج من الحر	ب عجيج الجمال بالارحال
لا بجير أغنى قتيلا ولا رهـ	ـط كليب تزاجروا عن ضلال
لم أكن من جناتها ـ علم الله ـ	واني بحرها اليوم صال
قد تجنبت وائلا كي يفيقوا	فأبت تغلب علي اعتزالي

---

٣٢٤ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٧٣ •

٣٢٥ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ١٦٠ وما بعدها •

واشابوا ذؤابتي ببجير قتلوه ظلما بغير قتال
قتلوه بشسع نعل كليب ان قتل الكريم بالشسع غال
يا بني تغلب خذوا الحذر انا قد شربنا بكأس موت زلال
يا بني تغلب قتلتم قتيلا ما سمعنا بمثله في الخوالي
قربا مربط النعامة مني لقحت حرب وائل عن حيال
قربا مربط النعامة مني ليس قولي يراد لكن فعالي
قربا مربط النعامة مني ليس قلبي عن القتال بسال
قربا مربط النعامة مني كلما هب ريح ذيل الشمال
قرباها لحي تغلب شوشا لاعتناق الكماة يوم القتال
قرباها وقربا لامتي درعا دلاصا ترد حد النبال
قرباها بمرهفات حداد لقراع الابطال يوم النزال

وفي هذا المعنى يقول الربيع بن زياد العبسي منتصرا لقومه اثر قتل بني ذبيان لمالك بن زهير بن جذيمة العبسي[٣٢٦] :

فان تك حربكم امست عوانا فاني لم اكن ممن جناها
ولكن ولد سودة ارثوها وحشوا نارها لمن اصطلاها
فاني غير خاذلكم ولكن ساسعى الآن اذ بلغت مداها

وكما تقدم فقد قال الشاعر الجاهلي في مجال التحذير بعض القصائد تقل عما قاله في مجال الوعيد بيد انه ظل ملتزما بتحذير قومه متى ما أحس بخطر يتهددهم ، فقد هزأ عميرة بن طارق اليربوعي من بني شيبان ـ وهم اخواله وكان متزوجا منهم ونازلا فيهم ـ عندما لاموه ورموه بالغدر لتحذيره قومه بني يربوع حين علم بنية بني شيبان لغزوهم . قال عميرة وقد صور رحلته المضنية التي قطعها وجلا وهو يروم الالتحاق بقومه ابتغاء تحذيرهم ووصف اثناء ذلك ناقته أحسن الوصف[٣٢٧] :

---

٣٢٦ ـ العقد الفريد ج٦ ص ١٩ .
٣٢٧ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ١٨٩/١٩٠ وقد قال عميرة هذه القصيدة في يوم ذى طلوح لبني يربوع على بني بكر .

فلا تأمـــرني يا ابن اسـماء بالتي ... تجر الفتى ذا الطعـــم ان يتكلما
بأن تغتزوا قـومي واجلس فيـكم ... واجعـل علمي ظـن غيب مرجما
ولما رأيت القـوم جـد نفيرهم ... دعوت نجيي محـرزا والمثلما[328]
واعرض عنـي قنعب وكأنمـــا ... يرى اهل اود من صـداء وسلهما
فكلفت ما عندي من الهـم ناقتـي ... مخافـة يوم ان ألام وأندمــــا
فمرت بجنب الزور ثمت اصبحت ... وقد جاوزت بالاقحوانات مخـرما
كأن يديهـــا ان أجـــد نجاؤهـا ... يدا معـــول خرقاء تسـعد مأتمـا
ترائي الذين حولهــا وهي لبهـا ... رخي ولا تبكي لشجوي فتألما[329]
ومـرت على وحشيها وتذكـــرت ... نصيبا ومـاء من عبيـة اسـحما[330]
فقـامت عليـــه واستقر قـرورها ... من الاين والنـكراء في آل ازنما[331]
سأجشمها من رهبـة ان يعـزهم ... عدو من المومات والامــر معظمـا
حلفت فلم تأثـم يميني لأثـــأرن ... عـديا ونعمـان بن قيل وايهما[332]
وبرت يميني ان رأيت ابن فلحس ... يجر كما جروا هدى بن اصرمـا
فافلت بسـطام جريضـا بنفســه ... وغادر في كرشـــاء لدنا مقوما[333]
أثم أخـــذت بعـد ذاك تلومنـــي ... فسائل ذوي الاحلام من كان اظلما

ومن صور التحذير التي قالها الشاعر الجاهلي ابيات جساس بن مرة التي خاطب بها أباه أثر قتله كليبا طالبا منه الاستعداد لحرب بني تغلب[334] :

تأهب مثـل أهبــــة ذي كفـــاح ... فان الامــر جـــل عن التلاحي
واني قـد جنيت عليك حـربا .. ... تغص الشيخ بالمـــاء القـــراح
مذكـرة متى ما يصـح منهـا .. ... فتى شبت بآخـــر غير صـــاح
تعــــدت تغلب ظلمــا علينــا ... بلا جـــرم يعـــد ولا جنـاح

---

٣٢٨ ـ محرز والمثلم اسمان لرجلين
٣٢٩ ـ من الالم .
٣٣٠ ـ عبية ماء لبني قيس .
٣٣١ ـ ازنم اسم لشخص .
٣٣٢ ـ وهوءلاء قوم من بني يربوع
٣٣٣ ـ جرض بريقة اى غص به وكرشاء اسم لرجل .
٣٣٤ ـ المصدر السابق ص ١٤٧ .

فلمـا ان راينـا واستبنـا •• عقاب البغي رافعـة الجنـاح
صرفت اليـه نحسـا يوم سـوء لـه كأس من المـوت المتـاح

ومن جيد ما قيل في هذا المجال قصيدة لقيط بن يعمر الايادي محـذراً قومه بني اياد من استعداد كسرى لغزوهم[٣٣٥] :

ابلغ ايـادا وخلل في سراتهـم انى ارى الرأي انلم اعص قد نصعا
يا لهف نفسي انكانت اموركم•• شتى واحكم امر النـاس فأجتمعا
اني اراكم وارضا تعجبون بهـا مثل السفينة تغشى الوعث والطبعا
ألا تخافـون قومـا لا أبالكم •• امسوا اليكم كأمثـال الدبا سرعـا
ابنـاء قـم تأووكم على حنـق لا يشعرون اضـر الله ام نفعـا
احرار فارس ابنـاء الملوك لهـم من الجموع جموع تزدهي القلعا
فهم سـراع اليـكم بين ملتقـط شوكا وآخريجني الصابوالسلعا[٣٣٦]
لـو ان جمعهم رامـوا بهـدته شم الشماريخ من تهلان لا تصدعا
في كل يوم يسنون الحـراب لكم لا يهجعون اذا ما غافـل هجعـا
خزر عيونهم كأن زحفهـم•• حريق غاب ترى منـه السنا قطعا
لا الحرث يشغلهم بل لايرونلهم من دون بيضتكم ريـا ولا شـبعا
وانتم تحرثون الارض عن سـفه في كل معتمـل تبغون مزدرعـا
وتلقحون حيـال الشـول اونـة وتنتجون بدار القلعـة الربعـا
وتلبسون ثيـاب الامن ضاحيـة لا تفزعون وهذا الليث قـد جمعا
وقد اظلكم من شطر ثغـركم •• هول لـه ظلم تغشاكم قطعـا
مالي اراكم نيـاما في بلهنيـة وقد ترون شهاب الحرب قد سطعا

ثم يسترسل في ذلك الى أن يقول :

لقد بذلت لكن نصحي بلا دخـل فاستيقظوا ان خير العلم ما نفعـا
هذا كتابي اليكم والنـذير لكم لمن رأى رايـه منـكم ومن سمعا

---

٣٣٥ ـ حماسة الشجري قصيدة رقم ـ ١ ـ
٣٣٦ ـ الصاب والسلع نوع من الشجر وقد قصد بجنيها السلاح ٠

٦ ـ العتاب

وقد اتخذ العتاب الذي قاله الشاعر الجاهلي في مجال الايام صوراً متعددة منها عتاب الاقربين لعدم نصرته في الحرب وعتابه لهم لاجارتهم اعداءه وعتابه لهم أو لسواهم لعدم الامتثال لنصيحته بتجنب مواطن الخطر والتروي عند خوض المعارك اضافة الى صور أخرى لهذا الغرض تبدو مبثوثة بين ثنايا القصيدة الجاهلية • قال قيس بن زهير العبسي عندما قتلت بنو ذبيان أخاه مالكا في أحد أيام داحس وهو يعاتب الربيع بن زياد لتخليه عن نصرة اخوانه العبسيين وقد جارت عليهم بنو ذبيان(٣٣٧) :

اينجو بنو بدر بمقتل مالك ... ويخذلنا في النائبات ربيع
وكان زياد قبله يتقى به •• ... من الدهر ان يوم ألم فظيع
فقل لربيع يحتذى فعل شيخه ... وما الناس الا حافظ ومضيع
والا فمالي في البلاد اقامة ... وأمر بني بدر علي جميع

وقال الربيع بن زياد ـ وهو المذكور في قصيدة زهير ـ معاتبا بني ذبيان لاجارتهم قيس بن زهير وكان ذلك قبل اصطلاحهما ، وقد كانت بينهما ضغينة سابقة(٣٣٨) :

الا ابلغ بني بدر رسولا ... على ماكان من شنء(٣٣٩) ووتر
باني لم ازل لكم صديقا ... ادافع عن فزارة كل أمر
اسالم سلمكم وارد عنكم ... فوارس اهل نجران وحجر
وكان ابي ابن عمكم زياد ... صفي ابيكم بدر بن عمرو
فالجأتم اخا الغدرات قيسا ... فقد افعمتم ايغار صدري
فحسبي من حذيفة ضم قيس ... وكان البدء من حمل بن بدر
فأما ترجعوا ارجع اليكم ... وان تأبوا فقد اوسعت عذري

---

٣٣٧ ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ج١ ص ٥٧٢ •
٣٣٨ ـ المصدر السابق ص ٥٦٩ •
٣٣٩ ـ الشنء ، البغضاء •

ومن جيد ما قيل في هذا المجال قصيدة النابغة الذبياني التي عاتب بها بني مرة ـ وهم من ذبيان ـ لاظهارهم العداوة له ولقبيلته ، واستشهد على غدرهم باسطورة كان الجاهليون يتمثلون بها عند خيانة العهد ، قال النابغة[340] :

الا ابلغا ذبيان عني رسالة ... فقد اصبحت عن منهج الحق جائرة

اجدكم لن تزجروا عن ظلامة ... سفيها ولن ترعوا لذي الود آصره

فلو شهدت سهم وابناء مالك ... فتعذرني من مره المتناصره

لجاؤوا بجمع لم ير الناس مثله ... تضاءل منه بالعشي قصائره

واني لالقى من ذوي الضغن منهم ... وما اصبحت تشكو من الوجد ساهره

كما لقيت ذات الصفا من حليفها ... وما انفكت الامثال في الناس سائره[341]

فقالت له ادعوك للعقل وافيا ... ولا تغشيني منك بالظلم بادره

فواثقها بالله حين تراضيا .. ... فكانت تديه المال غبا وظاهره

فلما توفى العقل الا أقله ... وجارت به نفس عن الحق جائره

تذكر انى يجعل الله جنة ... فيصبح ذا مال ويقتل واتره

فلما رأى ان ثمر الله ما له ... واثل موجودا وسد مفاقره

اكب على فأس يحد غرابها ... مذكرة من المعاول باتره

فقام لها من فوق جحر مشيد ... ليقتلها او تخطىء الكف بادره

فلما وقاها الله ضربة فأسه ... وللبر عين لا تغمض ناظره

فقال تعالى نجعل الله بيننا .. ... او تنجزي لي آخره

فقالت يمين الله افعل انني .. ... على مالنا او تنجزى لي آخره

ابي لي قبر لا يزال مقابلي ... وضربة فأس فوق رأسي باقره

ومن أبرز القصائد التي قالها الشاعر الجاهلي في عتابه للذين لم يمتثلوا للنصيحة فكان ان حل بهم الخسران نتيجة الغرور قصيدة دريد بن الصمة في

---

340 ـ ديوان النابغة ص ٦٨/٧٠ .
341 ـ يقصد بذات الصفا الحية ، وهي اسطورة سترد في الابيات التالية .

عتابه لبني هوازن ، وكان قد نصحهم بعد أن هزموا بني غطفان في يوم اللوى باللحاق بديارهم توقيا من معاودة غطفان القتال طلبا للثأر ، فأبوا عليه ذلك حتى يقتسموا الغنيمة ، وقد صدق ظن دريد اذ لحقت بهم غطفان واستردت الامـوال والسبي واكثرت فيهم القتل وكان من بين القتلى عبدالله اخو دريد وهو قائـد هوازن في يوم اللوى وقد ابى نصيحة اخيه ، ومن ابيات قصيدة دريد[٣٤٢] :

اعاذلتـي كل امـرىء وابن امـه — متـاع كـزاد الراكب المتـزود
اعاذل ان الرزء في مثـل خالد[٣٤٣] — ولا رزء فيمـا اهلك المـرء عن يـد
وقلت لعراض[٣٤٤] واصحاب عارض — ورهط بني السـوداء والقـوم شهدي
علانية : ظنـوا بألفي مدجـج .. — سراتهـم في الفارسـي المسـرد
امرتهـم امـري بمنعـرج اللـوى — فلم يستبينوا الرشـد الاضحى الغـد
فلما عصوني كنت فيهـم وقـد ارى — غوايتهـم وانني غـير مهتـد
وما انـا الا من غزية[٣٤٥] انغوت — غويت وان ترشـد غـزية ارشـد

ونصح صليع بن عبد غنم ـ وهو من شيبان ـ بني سليم بعـدم الاغارة على بني شيبان وحذرهم من بأسهم وقد وجدهم مزمعين على ذلك ، فلم يلق بنو سليم النصيحة سمعا فكان ان خسروا المعركة وقتـل نصيب رئيسهم فقـال صليع فيهم[٣٤٦] :

نهيت بني زعل غـداة لقيتهم — وجيش نصيب والظنون تطاع
وقلت لهم انالحريب وراكسا — به نعم ترعى المـرار رتـاع
ولكن فيه الموت يرتع سربـه — وحق لهم أن يقبلوا ويطاعوا
متى تأته تلقى على المـاء حاوثا — وجيشا له يوفي بكل بقـاع[٣٤٧]

---

٣٤٢ ـ الاصمعيات ص ١٠٥ وما بعدها .
٣٤٣ ـ خالد من اسماء عبدالله .
٣٤٤ ـ من اسماء عبدالله ايضا .
٣٤٥ ـ غزية ، قبيلة الشاعر .
٣٤٦ ـ الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٦٠٩ .
٣٤٧ ـ ارتكب الشاعر في هذا البيتين غلطتين الاولى عدم جزم الفعل ـ تلتقى ـ والثانية اختلاف حركة الروى .

واضافة لما اتضح من صور العتـــاب التي استوحاها الشـاعر الجاهلي من الايام فثمـــة صور اخرى لهذا الغرض ترد مبثوقة في القصيدة الجاهليـــة ، وحسبنا ما تقدم منها •

٧ ـ الاعتذار عن الهزيمة

وتختلف لهجة الشاعر الجاهلي وهو يعتذر عن هزيمة لحقت به وبقومـه عن لهجته التي توعد بها الاعداء بالويل والموت الزؤام قبل خوض المعـــركة ، وذلك بفعل تباين موقفيه • فبينا هو قبل المعركة يجهد نفسه لالقاء الرعب فيقلوب اعدائه قاصدا الحط من معنوياتهم تراه عقب انتصار هؤلاء الاعداء ، وقد واجـه الحقيقة التي لا مراء فيها ، يتشبث بالواهي من الاسباب لتبرير الهزيمة واشاعة جو من الطمأنينة التي افتقدتها نفسه ونفوس ابناء قبيلته محاولا الايحاء بان الخسارة لم تكن بتقصير منه او من المقاتلين من ابناء قبيلته ، فهم شجعان لا يهابون المـوت ولكن الحظ العاثر قد الحق بهم الهزيمة او لان اعداءهم كانوا من الكثرة بحيث استعصى عليهم الثبات •

قال عباس بن ريطة الرعلي ، وقد خسر قومه المعركة في يوم الذئينة ، وهو يعزو خسارتهم الى الحظ العاثر(٣٤٨) •

اتاني رحل فوق رحل يعـدنا ... عديد الحصى ما ان يزال يكاثر
اغرك مني ان رأيت فوارسي ... ثوى منهم يوم الذئينـة حاضر
بايدي رجال اغضبتهم رماحنـا ... واسيافنـــا ان الامـــور دوائر
وذلك ما جرت علينا رماحنـــا ... وكل امرىء يوما به الجد عاثر

وفي هذا المعنى يقول مهلهل ـ وهو المكثر من توعد بكر وتهديدهم ـ وذلك اثر انتصار بكر على تغلب في يوم تحلاق اللمم احد ايام البسوس (٣٤٩) :

ليس مثلي يخبـر الناس عن آ ... بائهـــم قتلوا وينسى القتـــالا

---

٣٤٨ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٣٩٢ والذئينة يوم لبني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم •
٣٤٩ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ١٦٤ •

لم ارم عرصة الكتيبة حتى انتـ ـعل الورد[٣٥٠] من دماء نعالا
عرفتـه رمـاح بكـر فمـا يأ خـذن الالبـانه والقـذالا

ولدختنوس ابنة لقيط بن زرارة ابيات مشابهة قالتها اثر هزيمة بني تميم في يوم شعب جبلة (٣٥١)

لعمري لقد لاقت من الشق دارم عناء وقد آبت حميدا ضرابهـا
فما جبنوا بالشعب اذ صبرت لهم ربيعـة يدعى كعبها وكلابهـا
عصوا بسيوف الهند واعتقلت لهم براكاء موت لا يطـير غرابها[٣٥٢]

وللشاعر الجاهلي في مجال الاحتجاج بكثرة الاعداد قصائد عدة قالهـا معتذرا عن الهزيمة وقد تقدمت امثلة لها في فصل سابق منها ابيات عامر بـن الطفيل في يوم فيف الريح والتي يقول فيها :

اعـاذل لو كان البداد لقوتلوا ولكن اتانا كل جـن وخابـل
وخثعم حي يعـدلون بمذحـج وهل نحن الا مثل احدى القبائل

وفي ذات اليوم يقول عمرو بن معد يكرب معترفا بفراره من المعركة حذر الموت لتكاثـر الاعداء (٣٥٣) :

ولقـد اجمـع رجلي بهـا حـذر الموت واني لفـرور
ولقـد اعطفهـا كارهـة حين للنفس من الموت هـرير
كل ما ذلك منـي خلـق وبكل انا في الحـرب جـدير

وقد يكون الشاعر الجاهلي اكثر شجاعة فيعترف بالاسباب الحقيقية للهزيمة وابرزها جبن قبيلته وتخاذلها عند جد القتال وذلك امر نادر في الشعر الجاهلي

---

٣٥٠ ـ الورد ، الاشقر من الخيل .
٣٥١ ـ الاغاني ج١١ ص ١٣٨ .
٣٥٢ ـ عصوا ، دافعوا عن انفسهم وبراكاء أي الثبات في الحرب والجد ، وعنت ب « لا يطير غرابها » أي قد وقعوا في خطب عظيم . واجمالا فالشاعرة تريد ان تقول بأن الحظ لم يواتهـم في هذه المعركة .
٣٥٣ ـ ومنهم من يرى ان عمرو بن معديكرب قال هذه الابيات في غير يوم فيف الريح ، راجع ديوانه ص ١٠٢ .

لانه يسم القبيلة المهزومة بعار لا يلبث اعداؤها ان يستغلوه لاعتراف ابنائها بـه ومن امثلة هذا النوع ـ وهو ما يقع في موضوع هجاء القبيلة من قبل ابنائها ـ قصيدة مالك بن حطان في يوم قشاوة والتي تقدمت في غرض الهجاء ، فقد انكر مالك على قومه ايثار حياة الذل على مقارعة الخصوم ، وابلغ ما فيها بيته :

فما بين من هاب المنيـة منكم   وما بيننـا الا ليـال قلائل

ومن جميل ما قيل في هذا المجال قصيدة ورقاء بن زهير بن جذيمة العبسي وهو يعترف بتقصيره عن نجدة ابيه وقد صرعه في يوم النفراوات خالد بن جعفر الكلابي (٣٥٤)

رأيت زهـيرا تحت كلكل خالد   فأقبلت أسـعى كالعجول ابـادر
الى بطلـين ينهضان كلاهمـا   يريدان نضل السيف والسيف نادر
فشلت يميني يوم اضرب خالـدا   ويمنعـه مني الحـديد المظاهـر
فيا ليت اني قبـل ايـام خالـد   ويوم زهير لـم تلدني تماضـر
لعمري لقد بشرت بي اذ ولدتني   فمـاذا الذي ردت اليـك البشائر

واجمالا فان الشاعر الجاهلي ظل يصطنع المبررات لهزيمته وهزيمة قومه في المعارك وندر اعترافه بانتصار الاعداء كما تقدم .

٨ ـ الحكمـة

وبالرغم من تأثر الشاعر الجاهلي بالحـرب تأثرا بالغا وما اضفاه ذلك على نفسيته من تقبل للقسوة واستمراء لمنظر الدماء ، فقد يبدو احيانا في شعره حكيما يدعو الى السلم لاعنا ما تجرعه من كأس الحرب المريرة . قال قيس بـن زهير العبسي عندما قتلت بنو ذبيان اخاه مالكا في حرب داحس وابت دفع ديته كاملة ، مضمنا قوله وخاصة في البيت الاخير حكمة مطروقة خلاصتها شجب الحـرب والدعـوة الى السلم (٣٥٥) :

---

٣٥٤ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٦ .

٣٥٥ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٢٥٦ .

يود سنان[٣٥٦] لو يحارب قومنا وفي الحرب تفريق الجماعة والازل
يدب ولا يخفى ليفسد بيننـــا دبيبا كما دبت الى جحرها النمل
فيا ابني بغيض راجعا السلم تسلما ولا تشمتا الاعداء يفتـرق الشمل
وان سبيل الحرب وعــر مضـلة وان سبيل الســلم آمنـــه سهل

ولقيس بن الاسلت زعيم الاوس في يوم بعاث أبيات في هذا المعنى قالهـا حين أنكرته زوجته لتغير معالمه ، وكان قد غاب عنها طويلا لانشغاله في حرب الخزرج[٣٥٧] :

قالت ولم تقصد لقيل الخنــا مهـــلا فقــد ابلغت اسماعي ...
انكرتــه حـــين توســمته •• والحرب غــول ذات اوجـــاع
من يذق الحرب يجـد طعمها مـــرا وتحبســه بجعجـــاع[٣٥٨]
قــد حصت البيضة راسي فمـا اطعم غمضـا غــير تهجـاع[٣٥٩]
اسعى على جل[٣٦٠] بني مالك كل امرىء في شـأنــه ســاع

وثمة امثلة اخرى في الشعر الجاهلي لهذا المعنى من ابرزها ما اورده زهير بن ابي سلمى في معلقته من شجب لاقتتال عبس وذبيان في حرب داحس والغبراء وقد تقدم شيء مما قاله زهير في هذا المجال في مناسبة سابقة •

وللشاعر الجاهلي موقف اخر في اسجاء الحكمة يختلف عن سابقه ، فقد يبدو في قصيدة محبذاً الحرب حين تكون حياته وحياة قبيلته مرهونة بخوضـها ولا سبيل لتجنبها للجاجة أعدائه بالعدوان • قال الفند الزماني حين لج بنو ذهل ــ وهم من بكر ــ في عداوتهم لقبيلة الشاعر وذلك في حرب داحس والغبـراء وقد تضمنت قصيدته حكماً بارعة في هذا الشأن[٣٦١] :

صفحنا عن بني ذهـــل وقلنــا القـــوم اخوان

---

٣٥٦ ــ سنان احد الذين اشاروا بعدم دفع الدية كاملة •
٣٥٧ ــ المفضليات ص ٢٨٤ •
٣٥٨ ــ الجعجاع ، المكان الغليظ •
٣٥٩ ــ حصت ، اذهبت شعره • والبيضة ما تلبس في الراس عند الحرب ، والتهجـــاع النوم الخفيف •
٣٦٠ ــ الجل ، ما يوضع على الدابة •
٣٦١ ــ ديوان الحماسة ج١ ص ٢٠/٢١ •

عسى الايام ان يرجعـ ـن قوما كالذي كانوا
فلما صرح الشر فامسى وهو عريان
ولم يبق سوى العدوا ن دناهم كما دانوا
مشينا مشية الليث •• غدا والليث غضبان
بضرب فيه توهين •• وتخضيع واقران
وطعن كفم الزق •• غذا والزق ملآن
وبعض الحلم عند الجهـ ـل للذلة اذعان
وفي الشر حيا ة لا ينجيك احسان

ومن أبرع ما قيل في الظالمين الذين نالهم القتل قصاصا عادلا لجرائرهم قول عمرو بن الاهتم في كليب بن ربيعة(٣٦٢) :

وان كليبا كان يظلم قومه فأدركه مثل الذي تريان
فلما حشاه الرمح كف ابن عمه تذكر ظلم الاهل اي أوان
وقال لجساس اغثني بشربة والا فخبر من رايت مكاني
فقال تجاوزت الاحص وماءه وبطن شبيث وهو غير زؤان

وسوى ما تقدم فقد يبرز الشاعر الجاهلي في قصيدته وهو يتعرض لايام قومه حكماً عامة أوحتها اليه المناسبة التي هو بصددها من ذلك ما ورد في قصيدة قيس بن الخطيم التي قالها في يوم السراة ، أحد أيام الأوس والخزرج(٣٦٣) :

تحملت ما كانت مزينة تشتكي من الظلم في الاحلاف حمل التغمد(٣٦٤)
ارى كثرة المعروف يورث أهله وسود عصر السوء غير المسود
اذا المرء لم يفضل ولم يلق نجدة مع القوم فليقعد بصغر ويبعد
واني لاغني الناس عن متكلف يرى الناس ضلالا وليس بمهتد
اكثر اهلي من عيال سواهم واطوى على الماء القراح المبرد

---

٣٦٢ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٧١ •
٣٦٣ ـ ديوان قيس ص ٤٥/٤٦ •
٣٦٤ ـ مزينة اسم لقبيلة ، والتغمد من قولهم : اللهم تغمدنا منك برحمة •

كثير المنى بالزاد لاخير عنده | اذا جاع يوما يشتكيه ضحى الغد
نشا غمرا بورا شقيا ملعنا | الدكأن راسه راس اصيد[٣٦٥]
وذي شيمة سراء يسخط شيمتي | اقول له دعني ونفسك ارشد
فما المال والاخلاق الا معارة | فما اسطعت من معروفها فتزود
متى ما تقد بالباطل الحق يأبه | وان قدت بالحق الرواسي تنقد
متى ما اتيت الامر من غير بابه | ضللت وان تدخل من الباب تهتد

وللايام ، اضافة لما تقدم وجه آخر من التأثير على الشعر الجاهلي تجلى فيما نحل من شعر الى شعرائها ، والنحل في شعر الايام أمر ليس ميسورا تجاهله لاسباب تأتت من طبيعة الايام ذاتها والعوامل التي أدت الى قيامها والقبائل المشتركة فيها ، ويمكن حصرها بجملة نقاط أبرزها : عدم تدوين حوادث الايام وما رافقها من شعر لوقوعها في العصر الجاهلي الذي لم يعن ابناؤه بالتدوين ، ولما بدىء بتدوينها اعتمد المعنيون على الرواة الذين امتد بهم العمر فعاصروا قسما منها وخاصة تلك القريبة من الاسلام ، فحفظوا شيئا من شعرها ، و ان هؤلاء الرواة حفظوا اشعارها عن طريق اسلافهم وفي كلتا الحالتين فان الحافظة البشرية لا يمكن أن تكون أمينة الى الحد الذي يعتمد عليه تأريخيا اضافة الى ان قسما من الايام قد ابتعد به الزمن كثيرا عن الاسلام بحيث لم يتسن لرواته ادراك عصر التدوين • ومن أسباب النحل في شعر الايام التعصب القبلي الذي غلب على الرواة والمدونين ، فقد كان كل من هؤلاء يكبر من شأن القبيلة المشتركة في اليوم بقدر رابطة النسب التي تشده بها وبجانب ذلك فهو يجهد للتهوين من شأن القبيلة المنافسة • وسبب آخر يرد في هذا المجال لعله يوازي في أهميته الاسباب المتقدمة ، وهو ان الايام أصبحت بفعل تتالي العصور مادة قصصية يأنس اليها الناس ، لذا فقد أهتم رواتها ومدونوها بتنسيق حوادثها واخراجها بالصيغة التي يتلهف اليها السامع والقارىء وذلك باصطناع الحوادث المثيرة لها وخلق شخصياتها الاسطورية واضفاء هالات من البطولة الخارقة

---

٣٦٥ ـ بور ، لاخير فيه •

عليها • وبطبيعة الحال فان سرد مثل هذه الحوادث كان بحاجة الى شعر يتناسب معها ولم يكن الرواة الذين افتعلوها بعاجزين عن افتعال شعر يناسبها ، ومن هنا أكثر هؤلاء من النحل في شعر الايام بما يتلاءم والموقف الذي يعرضون لــه •

تلك هي أهم الاسباب التي جعلت النحل ممكنا في شعر الايام واذ ذكرتها باقتضاب فلأن معظمها قد مر في فصل سابق ، ولكي يبدو الموضوع أكثر جلاء فلابد من الاستشهاد بأمثلة شعرية تؤيد ما ذهبنا اليه ، والحق ان ذلك ليس بالامر العسير ففي شعر الايام تبرز كثرة من الشواهد لهذا الغرض ، من ذلك ان الرواة اصطنعوا اياما للعرب البائدة وانطقوهم شعراً اذا ما قرأته فكأنك تقرأ شعراً هو أقرب في لغتــه الى عصرنا الحاضر منــه الى عصر الجاهلية لسلامتــه وليونته ، واذا ما تبينا بعد الشقة بين العرب البائدة وعرب الجاهلية القريبة من الاسلام والتي حدثت فيها معظم الايام تبين لنا مدى الافتعال الذي جاء به الرواة • ودونك هذه القصيدة المفتعلة على لسان امرأة من جديس وهي تحرض قومها على طسم لاعتداء ملكهم على الاعراض(٣٦٦) :

أيجمل ما يؤتى الى فتيــاتكم ... وانتم رجـال فيكم عدد النمل
وتصبح تمشي في الدمـــاء عفيرة ... عشية زفت في النساء الى بعــل
ولو اننا كنـــا رجالا وكنتــم ... نساء لكنا لا نقر بذا الفعــل
فموتوا كراما وأميتوا عــدوكم ... ودبوا لنار الحرب بالحطب الجزل
والا فخلوا بطنهـا وتحمـلوا ... الى بلد قفـر وموتوا من الهزل
فللبين خير من تمـاد على اذى ... وللموت خير من مقام على الذل
وان انتم لم تغضبوا بعـد هـذه ... فكونوا نساء لا تعاب من الكحل
ودونكم طيب العروس فانمـا ... خلقتم لاثواب العروس وللنسل
فبعدا وسحقا للذي ليس دافعا ... ويختال يمشي بيننا مشية الفحل

واذا كانت القصة الاسطورية قد الجأت راوية الابيات السابقة لايراد ابياته فثمة أمثلة شعرية اخرى قد نحلت بفعل العصبية القبيلة منها قصيدة وعلة الجرمي في

---

٣٦٦ ـ ايام العرب فى الجاهلية ص ٣٩٧ •

يوم الكلاب الثاني ، وهو لتميم على مذحج ، وكان وعلة حامل لواء مذحج في هذا اليوم ويلاحظ انه يمدح في قصيدته تميما ويصفها بالبأس ، ولا أظن قائل القصيدة الا تميميا قد نحلها على وعلة فخرا بقبيلته ، وقد تقدم شيء منها في موضع واليك تمام القصيدة كما يرويها صاحب العقد : (٣٦٧) .

ومن علي الله منـــا شـكرتـه غداة الكلاب اذ تجـز الدوابر
ولما رأيت الخيـــل تترى اثايحا علمت بان اليوم احمس فاجر
نجوت نجاء ليس فيـه وتيرة كأني عقـاب عنـد تيماء كاسر
خـــدارية سفعاء لبـد ريشها بطخفة يوم ذو أهاضيب ماطر
لها ماهد في الوكر قد مهدت له كما مهدت للبعل حسناء عاقر
كأنا وقد حالت جـدية دوننا نعـام تلاه فارس متـواتر ..
فمن يك يرجو من تميم هوادة فليس لجرم في تميم اواصر..
ولما سمعت الخيل تدعو مقاعسا تنازعني من ثغرة النحر ناحر
فان استطع لا تلتبس بي مقاعس ولا ترني بيـــداؤهم والمحاضر
ولا أك في جـــرارة مضريـة اذا ما غدت قوت العيال تبـادر
يقول لي النهدى هل انت مردفي وكيف رداف الفل امك عاثر
يذكـرني بالآل بيني وبينـــه وقد كان في جرم ونهـــد تدابر

ومن هذا القبيل ما ورد على لسان عوف بن الاحوص العامري في حرب قيس وقريش ، وكانت قريش قد ظهرت على قوم الشاعر في المعركة (٣٦٨) :

ولـما دنونا للقبـــاب واهلهـــا اتيح لنا ذئب مع الليـل فاجـــر
اتيحت لنـــا بكر وتحت لوئهـــا كتائب يرضاها العـــزيز المفاخـــر
وجاءت قريش حافلين بجمعهـــم وكان لهم في اول الدهر ناصر ..
وكانت قريش لو ظهـرنا عليهـــم شفاء لما في الصدر والبغض ظاهر..
حبت دونهم بكـــر فلم نستطعهم كأنهـــم بالمشرفيـــة ســامر ..

---

٣٦٧ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٨٦ .
٣٦٨ ـ المفضليات ص ٣٦٥/٣٦٦ .

وما برحت بكر تثـوب وتدعي ... ويلحق منها اولون وآخـر ..
لدن غدوة حتى اتى الليل وانجلت ... غمـامة يوم شـره متطـاير
ومازال ذاك الدأب حتى تخـاذلت ... هوازن فأرفضت سليم وعامـر
وكانت قريش يفلق الصخر حدها ... اذا اوهن الناس الجـدود العواثر

ونسبت في هذا الشأن أبيات لعمرو بن معد يكرب هي غاية في الزراية به وبقومه ، وزعم انه قالها في لقاء له ولقومه مع بني عبس وقد ظهرت فيه بنو عبس عليهم[369] :

اجـاعلة ام لثـوير خزايـة ... علي فـراري اذ لقيت بني عبس
لقـونا فضموا جانبينـا بصـادق ... من الطعن حش النار في الحطب اليبس
لقيت ابـا شأس وشأسـا ومالكا ... وقيسا فجاشت من لقائهـم نفسي
كأن جلود النمـر جيب عليهـم ... اذا جعجعوا بين الاناخة والحبـس
ولمـا دخلنا تحت فيء رماحهـم ... خبطت بكفي اطلب الارض باللمس
وليس يعاب المرء من جبن يومـه ... اذا عرفت منـه الشجاعة بالامس

وبرغم ما تقدم فان انكار الايام وشعرها كلية فيه كثير من التجني على واقع الجاهلية الادبي ، وان الذين ذهبوا هذا المذهب قد اعتمدوا التعميم في حكمهم تأثرا بما عثروا عليه من أمثلة في شعر الايام توحي بأنها منحونة ، وقد تقدم في مجال سابق بأن على رأس هؤلاء الدكتور طه حسين في كتابه في الادب الجاهلي فقد تقصى الشعر الجاهلي وظفر منه بأمثلة معظمها منحول بحق ، منهـا القصيدة المنسوبة الى البراء بن قيس الكندي في يوم الكلاب الثاني الذي انتصرت فيـه تميم على أهل اليمن ، وقد علق الدكتور على هذه القصيدة بقوله : « وانظر الى هذه القصيدة التي تضاف الى البراء بن قيس الكندي وحدثني بعد ذلك اتظن تميما يستطيع ان يثني بخير مما اثنى به هذا الكندي الموتور ؟ بل اتظن ان مضريا يستطيع

---

٣٦٩ ـ ديوان عمر بن معد يكرب ص ١٩ .

«ان ينال من اليمانية قبل مانالها به اليماني من قبيح المسبة؟»[370] واليك قصيدة البراء كما ترد في كتاب الدكتور طه حسين :

قتلتنـــا تميم يـوما جـــديدا … قتـل عـاد وذاك يـوم الكـلاب

يـوم جئنـا يسوقنا الحين سوقا … نحـو قـوم كأنهم اسـد غـاب

سرت في الازد والمـذاجح طـرا … وبكيـل وحاشـد الانيـاب

وبني كنـدة الملوك ولخـم … وجـذام وحمـير الاربـاب

ومـراد وخثـعم وزبيـد .. … وبني الحارث الطوال الـرغاب

وحشـدنا الصميم نرجو نهابـا … فلقينـا البـوار دون النهـاب

لقينـا اسـود سـعد وسـعد … خلقت في الحروب سـوط عذاب

تركوني مســهدا في وثـاق … ارقب النجم مـا اسيغ شـرابي

خائفـا للـردى ولـولا دفاعـي … بمئين عـن مهجتي كالهضـاب

للقيت الـــردى وكنت كقـومي … فـي ضريح مغيبا فـي الـتراب

تذرف الدمع بالعويل نسـائي … كنسـاء بكـت قتيـل الـرباب

كيف ابغي الحياة بعـد رجـال … قتلوا كالاسـود قتـل الكـلاب

منهم الحـارثي عبـد يغـوث … ويزيـد الفتيـان وابن شـهاب

في مئـين نعـدها ومئـين … بعـد الف منـوا بقـوم غضـاب

برجـال مـن العـرانين شـم … اسد حرب ممحوضـة الانساب

ويأتي الدكتور حسين بامثلة اخرى من هذا القبيل تغلب عليها صبغة النحل بيد اننا نعود لنقول بانه ان وفق في توخية الامثلة الشعرية المنحولة فانه لـم يكن كـذلك في تعميمه هذه الصورة على شعر الايام ومن ثم على الشعر الجـاهلي بأكمله ، فحتى في امثلته التي ذكرها كنماذج للنحل فقد يأتي خلالها بشعر يمكن اعتباره غير منحول لملاءمته المناسبة التي قيل فيها، من ذلك قصيدة عبد يغوث التي أنكرها الدكتور حسين والتي قالها عبد يغوث في يوم الكلاب الثاني عندما اسرته تميم وقطعت له عرقا فأخذ ينوح على نفسه الى ان مات ، والحق ان سرد القصة يوحي

---

٣٧٠ ــ في الادب الجاهلي ص ١٨٧ وما بعدها .

بانها موضوعة من قبل الرواة ولكن هذا لايعني اننا يجب ان نشك في شعر قاله شاعر وقد احس باقتراب منيته فجاشت نفسه بابيات سجل فيها اللحظات الاخيرة من حياته . وفي الشعر العربي وغيره أمثلة كثيرة في هذا المجال لا اظن الدكتور طه حسين غافلا عنها ، واخال ان انكاره للقصيدة قد اوحاه اليه انكاره للايام اصلاً.
واليك قصيدة عبد يغوث(٣٧١) :

الا لا تلوماني كفى اللوم ما بيــا ... فما لكما في اللوم خير ولا ليــا
الم تعلما ان الملامــة نفعهــا .. ... قليل وما لــومي اخي من شماليــا
فيــا راكبا امــا عرضت فبلغن .. ... نداماى مــن نجران الا تلاقيــا
ابــا كــرب والايهمين كلاهمــا ... وقيسا باعلى حضرموت اليمانيــا
جزى الله قومي بالكــلاب مــلامة ... صــريحهم والاخرين المــواليا
ولــو شئت نجتني من الخيل نهده ... ترى خلفها الحو الجياد تواليــا
ولكنني احمي ذمــار ابيكم .. ... وكان الــرماح يختطفن المحاميــا
اقول وقد شدوا لســاني بنســعة ... امعشر تيم اطلقوا ـــي لسانيا
امعشر تيم قــد ملكتم فاســجحوا ... فأن اخــاكم لم يكن مــن بوائيــا
فان تقتلوني تقتلوا بي ســـيدا ... وان تطلقوني تحــربوني بماليــا
احقــا عبــاد الله ان لست سـامعا ... نشــيد الــرعاء المعزبين المتاليــا
وتضحك مني شــيخة عبشــمية ... كأن لم تر قبلي اســيرا يمانيــا
وظل نســاء الحي حــولي ركدا ... يراودن مني ما تريــد نســائيا
وقــد علمت عرسي مليكــة انني ... انا الليث معــديا عليــه وعاديــا
وقد كنت نحار الجزور ومعمل ال ... ــمطي وامضي حيث الا حي ماضيا
وانحر للشرب الكرام مطيتي .. ... واصرع بــين القينتين ردائيــا
وكنت اذا ما الخيل شمصها القنا ... لبيقــا بتصريف القنــاة بنــانيا
وعادية ســوم الجــراد وزعتهــا ... بكفي وقد انحوا الي العواليــا

---

٣٧١ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٨٤/٨٥ المفضليات ص ١٥٧/١٥٨ .

كأني لم اركب جوادا ولم اقــل لخيلي كري نفسي عن رجاليــا

ولم اسبأ الــزق الروى ولم اقــل لايســـار صدق اعظموا ضوء ناريا

ويلاحظ ان ما اورده عبد يغوب في قصيدته قد طرق في الشعر الجاهلي غير مرة ، فهو يتأسى على نفسه ويلوم قومه لتخاذلهم في المعركة وذلك ما تقدم فــي موضوع هجاء الشاعر لقبيلته عند عدم حفاظها في الحرب ، وفي ظني ان ذلك هو الذي اوحى للدكتور حسين بان القصيدة منحولة برغم ما فيها مــن تعريض ببني تميم ، ففي احد ابياتها يصور عبد يغوث نساء تميم وقد تجمعن حوله وهن يراودنه عن نفسه ، وليس من تميمي يرضى لنفسه بهذا العار :

وظل نساء الحي حولي ركــدا يراودن مني ما تريــد نســـائيا

واجمالا يمكننا القول بان في شعر الايام صورا بارزة للنحل بيــد ان ذلك لا يجيز لنا ان نعممها على سائر شعر الايام فنزعم انه منحول بمجموعه .

الفصل الرابع

معاني شعر الايام وخصائصه :

بعد ان قدمنا فيما مر من البحث خلاصة عن اغراض شعر الايام تضمنت امثلة وافية للجوانب التي طرقها الشاعر الجاهلي وهو يعرض لايام قومه في مجالات الانتصار والهزيمة ورثاء القتلى وما عدا ذلك من الاغراض التي طرقها متأثرا بداعي الحرب يجب علينا استكمالا للبحث التعريف بمعاني شعر الايام وخصائص هذا الشعر • وقد عنيت بالمعاني هنا الصور الشعرية التي اختارها الشاعر الجاهلي لابراز فكرته ومدى تمكن خياله من رسمها ، وبالخصائص الاسلوب الذي صب فيه افكاره وما استعمله من صور بلاغية خلاله ومدى اجادته وهو يعبر عن خواطره • وبالنسبة لمعاني شعر الايام فاننا نجد الشاعر الجاهلي متأثرا ببيئته اشد التأثير ، فقد استمد منها هذه المعاني وصورها باسلوب حسي مستوحى من الاشياء المادية التي حفلت بها بيئته ، بينما ابتعد عن المعاني الفكرية التي يوحيها خيال خصب يعكس الاحاسيس بصور غير مرئية • اما بالنسبة لخصائص هذا الشعر فقد التزم الشاعر الجاهلي بعدة نواح سنقف عندابرزها: وأولها ما دعاه النقاد بالجزالة وقد قصدوا بها متانة التركيب وفخامته وذلك باختيار الشاعر للالفاظ الملائمة مع الموقف الذي يعرض له بغية التأثير في السامع وخاصة في مجلات الفخر والمدح والهجاء والتهديد • يقول ابن الاثير[٣٧٢] في هذا المعنى وهو يعرف الجزالة «الالفاظ تنقسم في الاستعمال الى جزلة ورقيقة ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه فالجزل منها يستعمل في وصف مواقع الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف واشباه ذلك واما الرقيق منها فانه يستعمل في وصف الاشواق وذكر ايام البعاد وفي استجلاب المودات وملاينات الاستعطاف واشباه ذلك ولست اعنى بالجزل من الالفاظ ان يكون وحشيا متوعرا عليه عنجهية البداوة بل اعني به ان يكون متينا على عذوبة في الفم ولذاذة

---

٣٧٢ ـ المثل السائر ص ٥

في السمع» • فتصوير الموقف الحربي اذن ـ كما يذهب ابن الاثير ـ يتطلب من الشاعر الجاهلي الجزالة في استعمال الالفاظ والتراكيب ، لذا فقد توخاها عند تعرضه للايام وذلك في انتصاره لقومة وبعث روح الكبرياء فيهم وحثهم على مقارعة الاعداء ومدح الابطال منهم وكذلك عند الحط من معنويات الاعداء والتصغير من شأنهم وتهديدهم ، وقد وفق في كل ذلك لاختياره الجزل من الكلام • :

واضافة لتميز اسلوب الشاعر الجاهلي بهذه الصفة التي جعلت من شعره متين البناء فان اسلوبه يتميز بخواص اخرى منها الابانة والبساطة وعدم التعقيد وذلك تأثرا ببساطة البيئة الصحراوية التي عاش فيها ، واذا كان من الشعراء الجاهليين من اهتم بتنقيح قصائده وظل يشذبها زمنا طويلا حتى دعيت بالحـــوليات[٣٧٣] فان سائر الشعراء الجاهليين كانوا يقولون قصائدهم وخاصة في مجال الحروب دون ان يعنوا بها هذه العناية ، فقد كانت تمثل صرخات يطلقونها وهم خارجون من حرب او داخلون فيها ، ويصورون اللحظات الحاسمة التي توحيها مرارة القتال وتنتهي القصيدة عندهم عند انتهاء المناسبة التي قيلت فيها دون ان يعودوا لتفحصها تارة اخرى ، فكانت والحال هذه تأتي على اسجية لا يحس السامع فيها باثر للصنعة والتكلف ، واذا ما بدت في شعرهم بعض الالفاظ الغربية علينا فان هذا لا يعني انهم كانوا يتقصدون الغريب من اللفظ ابتغاء التعقيد بل ان ذلك راجع الى اختلاف الذوق اللغوي بيننا وبينهم بفعل التباين في الزمن • ومن مظاهر البساطةفي اسلوبهم عدم التكلف في ايراد الصور البلاغيـــة ، اذ كانوا كثيرا مـــا يستعملون الالفاظ في معانيها الحقيقية وهم ان طرقوا اسلوب المجاز فبغير اغراق ولا افتعال ، ففي شعرهم تشبيه وكناية واستعارة وجناس وطباق بيد انهم ظلوا معتدلين فيهـــا بعكس ما فعل كثير من شعراء العصور الاسلامية الذين تركوا المعنى جانبا وعنوا بتزويق شعرهم بالمحسنات البديعية حتى ثقل على الاسماع • وسليقة الشاعر الجاهلي سليمة قلما خالطها شيء من اللحن او الالفاظ الدخيلة لتحصن باديـــة الجزيرة العربية ضد الغرباء مما وفر على ابنائها الصفاء في لغتهم • واذا كانت

---

٣٧٣ ـ من هؤلاء زهير بن ابي سلمى •

هذه المميزات قد خلدت الشعر الجاهلي فبدا أثرا فنيا يغالب تتالي العصور فان النقاد قد وقفوا على بعض الهفوات التي وقع فيها الشاعر الجاهلي ، وهي على اية حال نادرة لم يسلم منها اى فن اصيل • وابرز ما عابوه عليه عدم تمكنه من ابراز فكرته بصورة جلية وانتقاله المفاجيء من غرض الى آخر دون توطئة يأنس اليها السامع ، وهو ما دعوه بالاستطراد • وقد يكون مرد ذلك الى ان الشاعر الجاهلي كان يطرق عدة اغراض في قصيدة واحدة ، فتراه يفتتح قصيدته بالوقوف على الاطلال وبالتغزل بحبيبته ثم يتسلسل في الاغراض التقليدية من فخر ومـدح وهجاء ووصف وما الى ذلك مما اشتهر به الشعر الجاهلي ، حتى ليخيل لمـن يقرأ هـذا الشعر بان كل غرض من هذه الاغراض يشكل قصيدة قائمة بذاتها نظرا لاخفاق الشاعر الجاهلي عند تنقله بينها ، ومنهم من يرى ان ذلك عائد الى الرواة الذين دونوا الشعر الجاهلي عن طريق المشافهة ، فعجزوا عـن ترتيب القصيدة بحيث تبدو منسجمة في اغراضها • وثمة امور اخرى عابها النقاد عـلى الشاعر الجاهلي منها وقوعه في بعض الاخطاء النحوية والعروضية والتي تأتت على الارجح من اعتماده على السليقة دون القواعد التي لم تكن معروفة آنذاك • ومع ذلك فان مثل هـذه الاخطاء نادرة في شعره حتى انه لا يمكننا ان ننتقصه مـن اجلها • بيد انه مما لا يمكن نكرانه على النقاد اخذهم على الشاعر الجاهلي عدم اتساع خياله وانحباس معانيـه في المنظور مما تحفل به بيئته ، وعدم قدرتـه على تصوير هذه المعاني بصور فكرية معبرة توحي بالابتكار • يقول الدكتـور علي الجندى وهو يعرض لهذه الناحية[٣٧٤] «الخيال هنا نوع من الخيال الحضوري فنرى مثلا الحرب تستعيد صور الرحى التي تطحن الحب لانها تهلك الناس وتفتتهم فكأنها تطحنهم ، وصورة السوق التي يتبادل الناس فيها السلع ، وذلك لتبادل المتحاربين الطعنات والضربات ، وصورة الانسان المشمر والحيوان المكشر عن انيابه والناقة الضروس ، ونرى البطل في قوته ورهبته يجعلهم يستحضرون

---

٣٧٤ ـ شعر الحرب ج١ ص ٣٥٦/٣٥٧ •

في ذواكرهم صورة الاسد ، وفي ثباته ورزانته يمثل لهم صورة الجبل ، وهو في شدة هجومه يوحي اليهم بمنظر الصقر المنقض ، وهكذا في جميع الصور • اما الخيال الابتكارى وهو الذي يحور ويغير ويبدل في الصور التي في الذاكرة بحيث يبرزها كأنها شيء جديد فذلك غير موجود هنا» •

وعلى هذا الاساس فان الشعر الجاهلي برغم ما يتمتع به من متانة في الاسلوب فان معانيه بدت سهلة مطروقة لتوخي الشاعر الجاهلي عند تصويرها الاشياء المحسوسة وعدم ارتقائه في افاق من الخيال تبدو من خلالها هذه المعاني باطار من الصور الرمزية المعبرة • وقد تأتى ذلك على الاغلب من انحباس الجاهلي في صحرائه وعدم تأثره بثقافات الامم الاخرى مما دفعه الى ان يستمد صوره الشعرية مما تحفل به بيئته من مشاهد ، وهو على كل حال مجيد فيما يصوره كل الاجادة • وسنقف فيما يلي من البحث على شواهد من شعر الايام تتمثل فيها ابرز الظواهر المتقدمة •

ا ـ الشعر ابان المعركة :

كنا قد ذكرنا في الفصل السابق بان الشعر في ابان المعركة يختلف عنه فيما بعدها لاسباب تقدمت في حينها وابرزها ان الشاعر وهو في حومة الوغى والموت يتربص به من كل جانب قد جعله يعرض عن الاطالة والعناية بالجوانب الفنية ، اذ كان كل همه منصرفا لبعث العزيمة في نفسه وفي نفوس المحتاربين من قومه • لذا فقد اختار وهو في مثل هذا الموقف الحربي الصاخب الرجز من بحور الشعر نظرا لخفة وزنه وسهولة تناوله وقربه من النثر المسجوع حتى انه اعتبر مرحلة ابتدائية في الشعر بحيث عده البعض دون القصيدة • قال ابن قتيبة في هذا المعنى وهو يتحدث عن الاغلب العجلي ، احد الرجاز المشهورين[٣٧٥] «وهو اول من شبه الرجز بالقصيدة واطاله وكان الرجز قبله انما يقول الرجل منه البيتين او الثلاثة اذا خاصم او شاتم او فاخر» • لذا فاننا سوف لن نجد في هذا الضرب من

---

٣٧٥ ـ الشعر والشعراء ص ٣٨٩ •

الشعر الذي قاله الشاعر الجاهلي في ابان المعركة من الصور الفنية ما يستوجب اطالة الوقوف عندها اذ كل ما هنالك دعوة للحرب وفخر بخوضها وتحمس عند لقاء الاعداء ضمن مقطعات من الرجز لاتعدو ابيات قليلة اوحتها للشاعر مرارة الحرب فصورها باسلوب خطابي جزل طارقا ذات المعاني الحسية التي الفها في شعره •

وشعر الايام حافل بامثلة لهذا الضرب من الشعر الصاخب • قال حرملة العكلي في يوم جبلة متحمسا وقد كر عليه نفر من الاعداء[٣٧٦] :

لأي يوم يخبأ المرء السعه   مودع ولا ترى فيه الدعه

وقال عبدالله بن جذل في يوم برزة وهو لبني فراس من كنانة على بني سليم من قيس ، وكان عبدالله قائدا لبني فراس في المعركة ، ويلاحظ ان الشاعر قد شبه خصومه بما يتخلف من شوائب اللبن عند صبه في القمع نكاية بهم ، فجاء بصورة حسية مستوحاة من بيئته[٣٧٧] :

ادنوا بني قرف القمع   اني اذا الموت كنع

لا استغيث بالجزع

وفي يوم الكلاب الاول الذي تقدم في موضع سابق قال السفاح التغلبي[٣٧٨] مهددا الاعداء دون ان يبرز في بيته اى معنى مجازى :

ان الكلاب ماؤنا فخلوه   وساجرا[٣٧٩] والله لن تحلوه

وممن اجاد في هذا الضرب من الشعر وان لم يخرج عن الخصائص والمعاني التي طرقها غيره من شعراء الايام ، الحارث بن ظالم المرى نظرا لتمرسه في المعارك اثر تخفيه عن طالبي دمه لقتله خالد بن جعفر الكلابي •

---

٣٧٦ – نقائض ابي عبيدة ج٢ ص ٦٧٤ .

٣٧٧ – العقد الفريد ج٦ ص ٣٩ – والقرف فى الاصل الوسخ الذى ينتج عن اللبن والقمع ما يوضع فى فم السقاء والزق •

٣٧٨ – نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٤٥٤ .

٣٧٩ – ساجر ، اسم لموضع .

قال الحارث وهو يخوض معركة افتك اثرها ابلا كان اعداؤه قد اغتصبوها من احدى جاراته ، وقد فخر بابياته بحفاظه وانتصاره لمن يستجير به [380] :

انا ابو ليلى وسيفي المعلوب كم قد اجرنا من حريب محروب
وكم رددنا من سليب مسلوب وطعنة طعنتها بالمنصوب
ذاك جهيز الموت عند المكروب

وله ايضا في موقف مشابه[381] :

اذا سمعت حنة اللفاع فادعي ابا ايلى ولا تراعي
ذلك راعيك فنعم الراعي يجبك رحب الباع والذراع
منطقاً بصارم قطاع

وقد تتالى الارجاز خلال اليوم الواحد ـ واكثر مايحدث ذلك في الايام الكبيرة ـ فيتبارى الفرسان بالشعر كما يتبارون بادوات القتال ، فكل يفخر بشجاعته ويهون من شأن خصمه او يهدده او يدعوه لمنازلته ، وقد يتناظرون فترى كل فارس يدحض ما يقوله قرينه في المعركة كما تقدم في الارجاز التي قيلت في يوم جبلة • وهم في كل ما قالوه في هذا الشأن محافظون على ذات الخط الذي ميز اسلوبهم ومعانيهم كما سيتضح من الامثلة التالية :

قال فارس من مذحج عندما انتهبت قبيلته نعم تميم في يوم الكلاب الثاني[382] :

في كل عام نعم ننتابه على الكلاب غيب اصحابه
يسقط في آثاره غلابه

---

٣٨٠ ـ الاغاني ج١١ ص ٩٩ •
٣٨١ ـ المصدر السابق ص ١٠٢ •
٣٨٢ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ١٥٠ وما بعدها •

فاجابه قيس بن عاصم المنقرى وهو زعيم تميم في المعركة :

عما قليل تلحق اربابه مثل النجوم حسر اصحابه
ليمنعن النعم اغتصابه سعد وفرسان الوغى اربابه

وحمل على مذحج وهو يرتجز :

في كل عام نعم تحوونه يلقحه قوم وتنتجونه
اربابه نوكى فلا يحمونه ولا يلاقون طعانا دونه
انعم الابناء تحسبونه هيهات هيهات لما ترجونه

ولما انكسرت مذحج تتبعهم قيس وهو ينادي « يا آل تميم لاتقتلوا الا فارسا فان الرجالة لكم ثم جعل يرتجز ويقول» :

لما تولوا عصبا شوازبا اقسمت لا اطعن الا راكبا

اني وجدت الطعن فيهم صائبا

وفي يوم الكديد ـ وهو من ايام سليم وكنانة ـ تصدى دريدبن الصمة وفوارس كانوا معه لربيعة بن مكدم ، وكان ربيعة يسوق ظعينة له ، فارسل دريد احد فرسانه لاغتصاب الظعينة فاردى ربيعة الفارس ومضى وهو يرتجز فخرا[٣٨٣] :

سيرى على رسلك سير الآمن سير رداح ذات جأش ساكن
ان انثنائي دون قرني شائني ابلي بلائي واخبري وعايني

وبعث دريد ابنه بفارس آخر فصرعه ربيعة وارتجز :

خل سبيل الحرة المنيعه انك لاق دونها ربيعة
في كفه خطية[٣٨٤] مطيعه اولا فخذها طعنة سريعة

فالطعن مني في الوغى شريعه

---

٣٨٣ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٣٤ ، نهاية الارب للنويرى ج١٥ ص ٣٧٠ والمراة العجزاء ، الثقيلة الاوراك التامة الخلق .
٣٨٤ ـ الرماح الخطية تنسب الى الخط وهو مرفا في بلاد البحرين .

وعندها ارسل دريد بفارس ثالث فكان حظه من ربيعة كحظ الآخرين بينما ظل ربيعة يردد فخرا :

ماذا تريد من شتيم[385] عابس ألم تر الفــارس بعد الفـارس

ارداهما عامل رمح يابس

وفي مناسبة اخرى من هذا اليوم توهمت نســاء كنانة بأن ربيعة قد فر من المعركة ، فلما تناهى اليه هذا الظن عطف على الاعداء وهو يرتجز :

لقد علمن انني غير فـرق[386] لاطعــنن طعنـــة واعتنــق

أصبحهم صــاح بمحمر الحدق عضبا[387] حساما وسنانا يأتلق

وقال مخاطبا أمه وكانت تعصب جراحه اثر اصابته في المعركة :

شــدي علي العصب أم ســيار فقد رزيت فارســا كالدينــار

يطعن بالرمح أمــام الادبـار

وقد يستنهض الفرســان من أبناء القبيـلة الواحدة أو من أبنـاء القبـائل المتحالفة همم بعضهم بمثــل هذه المقطعات فتراهم يتجاوبون بها وخاصــة عنـدما يحســون بخطر الاعـداء ، وكثيراً ما اشتركت نســـاء القبيلة في ذلك فيدفعن المقاتلين للاستبسال لما في قولهن من وقع بليغ في نفوسهم ، وقد تمثل ذلك في يوم ذي قار عندما صمدت بكر ومن معها في وجه الفرس ، قال حنظلة بن ثعلبة وهو يحرض الفرسان على القتال[388] :

قد جــد أشـياعكم فجـــدوا ماعــلتي وأنا مود جلــد

والقــوس فيهـا وتــر عــردّ مثـل ذراع البكــر أو أشــد

قد جعلت أخبـــار قومي تبدو ان المنـايا ليس منهـا بـد

---

٣٨٥ ـ الشتيم ، الاسد .

٣٨٦ ـ الفرق ، الخائف .

٣٨٧ ـ العضب ، السيف .

٣٨٨ ـ نقائض ابي عبيدة ج٦ ص ٦٤٢ .

هـذا عمير حيـة ألـد يقـدمه ليس له مـرد
حتى يعـود كالكميت الورد خلوا بني شيبان فاستبدوا
نفسي فداكم وأبي والجـد

وله أيضاً في الموقف ذاته :

يا قـوم طيبـوا بالقتـال نفسـا أجـدر يوم أن تفلوا الفرسـا

وقال يزيد بن حنظلة بن ثعلبة يحذر القوم من الفرار ويدعوهم للحفاظ على النساء وقد اكتملت جموع الفرس :

من فـر منكم فـر عن حريمـه وجـاره وفـر عن نديمـه
أنا ابن سيار على شكيمه ان الشراك قد من اديمـه
وكلهـم يجـري على قديمـه من قـارح الهجنـة أو صميمـه

ولما ارتفعت رايات الفرس مؤذنة بالحرب قال عمرو بن جبلة اليشكري مهوناً من شأن الفرس وحاثاً قومه على الثبات :

يا قوم لا تغرركم هـذي الخرق ولا وميض البيض في الشمس برق
من لم يقـاتل منكم هـذا العنـق فجنبوه الراح واسقوه المـرق

ولم يخل هـذا اليوم من صـوت للمرأة يدعو المقاتلين لمناهضة الاعـداء ويحذرهم من عار الهزيمة ويمني المنتصرين منهم بحسن الجزاء • قالت امرأة من بني شيبان : (٣٨٩)

ويها بني شـيبان صفا بعد صف ان تهزموا يصبغوا منـا القلف

وقال اخرى : (٣٩٠)

ان تَهْزُموا نعانـق ونفـرش النمـارق
او تُهـزَمُوا نفـارق فـراق غير وامـق

٣٨٩ ـ المصدر السابق ص ٦٤٣ •
٣٩٠ ـ المصدر السابق ص ٦٤١ •

ومما تقدم من الامثلة يبدو لنا هذا الضرب من الشعر خالياً من الصور الفنية الموحية ، يطغي عليه الاسلوب الخطابي المحض وليس له حظ من المعاني المبتكرة ، وذلك بفعل استحواذ رهبة هذه الحرب على الشاعر مما حدا به الى أن يرتجل هذه المقطعات قاصداً منها ايقاظ عزيمته وعزيمة قومه غير مبال بالجوانب الفنية لانصراف ذهنه عنها .

ب - الشعر فيما بعد المعركة :

تجلت مقدرة الشاعر الجاهلي في الشعر الذى قاله فيما بعد المعركة بعدة جوانب ، أبرزها اطالته القصيدة وتنويعه في اغراضها. واظهار مقدرته الفنية فيها بعكس ما رأيناه في الارجاز التي ارتجلها في ابان المعركة وذلك لاسباب تقدمت خلال البحث غير مرة . بيد انه ظل في هذا الضرب من الشعر وذاك مشدوداً في خياله الى الصور الحسية التي تتمثل في بيئته ، غير قادر على تجاوزها كما يتضح من المعاني التي طرقها عند تعرضه لايام قومه . وقد تقدمت بنا صور عديدة لهذه المعاني في الفصل السابق وخاصة في مجالات الفخر والحماسة والمدح والرثاء والهجاء ، ففي مجال الفخر والحماسة أضفى الشاعر الجاهلي على نفسه أو على أبناء قبيلته كل معاني البطولة كالاستبسال عند جد القتال ومطاعنة للاعداء والاستهانة بالموت طلباً للظفر ، والمعاني ذاتها أضفاها على ممدوحيه فهم يبدون خلال قصائده أبطالا مغاوير حماة للديار يرهبهم الاعداء ، وجسد هذه المعاني فيمن رثاهم من قتلى قبيلته ، فقد نعتهم بما نعت ممدوحيه ولكن باسلوب تتجلى فيه اللوعة والاسى . وبعكس الصور التي رسمها وهو يفخر ويتحمس ويمدح ويرثي ، فانه رسم صوراً مزرية للذين هجاهم من أبناء القبائل المعادية ، فهم جبناء ترعبهم صرخة الحرب ، يلتمسون الفرار عند اللقاء ، واتى الشاعر الجاهلي بمعان اخرى للاغراض التي طرقها وهو يتغنى بأيام قومه تقدمت مفصلة في مظانها من البحث ، والذى يهمنا هنا هو مدى اجادة الشاعر الجاهلي وقدرته على رسم هذه المعاني بصور شعرية تبرز حظه من الخيال المؤثر . ونعود لنقول بأنه قد اعتمد الجزالة في الاسلوب اكثر من اعتماده على الخيال الموحي ،

فقد كان كل همه منصباً على ابراز فكرته بأسلوب خطابي تقريري يهز السامع وذلك باستخدامه الالفاظ في معانيها الحقيقية وانصرافه عن الاسلوب المجازى الذى يسلك بالفكرة طريقاً يمتزج فيه الخيال بالواقع ليبرزها بصور بالغة التأثير • وسيتضح هذا الامر من تحليل لبعض النماذج الشعرية التي قيلت في مجال الايام •

قال زيد الخيل[٣٩١] في بني أسد أثر خوضه معركة معهم ، ولم تبد في أبياته ــ كما سنلاحظ ــ أية صورة مجازية سوى ما يصخب به اسلوبه من الفاظ ميزتها الجزالة •

ضجت بنو الصيداء من حربنا والحرب من تحلل به يضجر
بتنا نزجي نحوهم ضمرا ••• معروفة الانساب من منسر
حتى صبحناهم بها غدوة ••• نقتلهم قسراً على الضمر
ضرب يزيل الهام ذي مصدق يعلو على البيضة والمغفر

فالشاعر هنا يتحمس ويفخر بقومه وببلائهم عند لقاء الاعداء مستخدماً الالفاظ بمعانيها الحقيقية ، بيد ان الذى جعل أبياته مستساغة ومؤثرة ــ وقد تقدمت مثيلات لها في الفصل السابق ــ هو توخيه الالفاظ الفخمة وبراعته في الملاءمة بينها بحيث بدا البيت منها ومن ثم المقطوعة كلها ذات نسيج محكم مؤثر • واكثر ما يتضح هذا الجانب عند تطلعنا الى التشبيهات التي أوردها الشاعر الجاهلي ، فهي تشبيهات مطروقة تتسم بالوضوح والبساطة ومنتزعة من الاشياء المادية التي تحفل بها بيئته ، اذ قلما استعمل عند ايرادها الاسلوب المجازى الموحى عدا بعض الكنايات والاستعارات التي وردت بصورة عفوية خلال شعره ، من ذلك تكنيته عن الحرب بكشف الساق : [٣٩٢]

كشفت لهم عن ساقها وبدا من الشر الصراح

---

٣٩١ ــ الاغاني ج ١٧ ص ١٧٤ •

٣٩٢ ــ الحماسة لابي تمام ج١ ص ٢٧٨ ، والبيت من قصيدة لسعد بن مالك بن ضبيعة وهو من بكر وقد قالها في هجاء الحارث بن عباد الذى اعتزل حرب البسوس كما تقدم •

أو بدوران الرحى : [٣٩٣]

واستدارت رحى المنـــايا عليهم   بليـــوث من عـــامر وجنـــاب

وكقوله الآخر : [٣٩٤]

دارت رحاهـم قليلا ثم واجههـم   ضرب تصـدع منه جلدة الهـام

ومن ذلك أيضاً استعارة صورة الاسد للانسان : [٣٩٥]

يطوف بكم من النجـار أســد   كأسـد الغيل مسكنها العـــرين

يظـل الليث فيهـا مستكيناً   لـه في كل ملتفت أنـــين

واستعارة صورة السحاب للمهاجمين : [٣٩٦]

فاذا رأيتـم عارضـاً متهـللا   منـا فانـا لا نحـاول مـــالا

وهو فيما عدا ذلك يورد تشبيهاته بصورها الحقيقيـــة دون أن يسترسل في الخيال بعيداً ، وهذه التشبيهـات ـ كما مر بنا ـ تعكس ما يتواجد في بيئتـه من مظاهر • فمشي الابطال عنده وهم متوجهون للحرب كارقال الابل : [٣٩٧]

اذا استنزلوا عنهن للطعن ارقلوا   الى الموت ارقال الجمال المصاعب

أو ان هؤلاء الابطال كالاسد في شجاعتهم : [٣٩٨]

فتيـــان حـــرب في الحـــديد   وشـــامرين كأســـد غابـــه

---

٣٩٣ ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٠٥ ، والبيت من قصيدة لزهير بن جناب الكلبي في هجائه لبكر وتغلب اثر انتصاره عليهما في احدى المعارك •

٣٩٤ ـ العقد الفريد ج ٦ ص ٨٧ ، والبيت من قصيدة قالها محرزبن المكعبر الضبي في يوم الكلاب الثاني يمدح بني تميم لبلائهم في المعركة ويزرى بمذحج لفرارها •

٣٩٥ ـ الكامل لابن الاثير ج ١ ص ٦٧٧ والبيتان من قصيدة لحسان بن ثابت قالها في احد ايام الاوس والخزرج وقد سماه ابن الاثير بيوم معبس ومضرس وهما جداران •

٣٩٦ ـ نهاية الارب للنويري ج ١٥ ص ٤٤٩ ، والبيت لعبدالله بن جعده من قصيدة يرثي خالد بن جعفر الكلابي الذى قتل في يوم بطن عاقل

٣٩٧ ـ البيت للنابغة الذبياني من قصيدة يمدح بها عمرو بن الحارث الغساني ، الديوان ص ١١ •

٣٩٨ ـ ايام العرب في الجاهلية ص ٦٩ والبيت لاحيحة بن الجلاح الاوسى من قصيدة قالها وهو يتهدد عاصم بن عمرو الخزرجي في حرب كعب بن عمرو وهي من حروب الاوس والخزرج •

ومثله قول الآخر : (٣٩٩)

عتـاة قراة في الشتـاء مسـاعر　　حماة كماة كالليوث الضـراغم

أما جموع المقاتلين ـ الجيش ـ فقد شبهها الشاعر الجاهلي بالجبل :(٤٠٠)

يـوم سرنا الى قبـائل عـوف　　بجمـوع زهاؤهـا كالجبـال

وبالابل : (٤٠١)

وقد رجعت دودان تبغي لثأرهـا　　وجاشت تميـم كالفحول تخاطر

وبالقطـا : (٤٠٢)

وواردة كأنهـا عصـب القطـا　　تثـير عجاجاً بالسـنابك أكـدرا

وبالعقبـان : (٤٠٣)

لهـا فرط يحوى النهـاب كأنـه　　لوامع عقبـان مروع طريدهـا

وبالطير والكلاب : (٤٠٤)

ومشعـلة كالطير نهنهت وردهـا　　اذا ما الجبـان يدعي وهو عـائد
عليها الكماة والحديد فمنهم ..　　مصيد لاطراف الحـديد وصائد
شماطيط تهوى للسوام كأنها ..　　اذا هبطت غوطـاً كلاب طـوارد

ولتنوع السلاح الذى استعمل في المعارك فقد شـبه الشاعر الجاهلي آلاته بما يناسبها من أشياء . فالسيف عنده يشبه الملح : (٤٠٥)

منعنـا على رغم القبـائل ضيمنـا　　بمرهفة كالملح مخلصـة الصقل

---

٣٩٩ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٦٠ والبيت لحاجب بن دينار المازني ي يوم السلي .
٤٠٠ ـ شعراء النصرانية ص ٢٧٤ ، والبيت للحارث بن عباد .
٤٠١ ـ العقد الفريد ج٦ ص ١٢ ، والبيت للمعقر البارقي من قصيدة طويلة يفخر بها بإنتصـار عامر على بني تميم في يوم شعب جبلة .
٤٠٢ ـ المفضليات ص ٣٧٦ ، والبيت لربيعة بن مقروم الضبي من قصيدة طويلة .
٤٠٣ ـ المصدر السابق ص ١٥٢ ، والبيت للمثقب العبدى من قصيدة طويلة .
٤٠٤ ـ المصدر السابق ص ٣٢٥ ، والابيات من قصيدة لضمرة بن ضمرة النهشلي .
٤٠٥ ـ البيت لحسان بن ثابت من احدى قصائده ـ الديوان ـ

أو هو كالبرق : (٤٠٦)

تلوح بأيدينـا كمـا لاح بـارق　　　تلألأ في داج من الليـل حالـك

أو هو كالمخراق : (٤٠٧)

كـأن سـيوفنا فينـا وفيهـم　　　مخـاريق بأيـدى لاعبينـا

وشبه وقعه على هامات الرجال بوقع المطر :(٤٠٨)

وحسبت وقع سيوفنا برؤوسهم　　　وقع السحاب على الطراف المشرج

أما الدروع فقد شبهها بالمبرد تارة : (٤٠٩)

ومشـدودة السـك موضـونة　　　تضـاءل بالطـي كالمبـرد

وبالسيل اخرى : (٤١٠)

تفيض على المـرء اردانهـا　　　كفيض الأتـي على الجـدجد

وشبه ما تحدثه من صوت بصوت الحصـاد اليابس وقد حركته الرياح : (٤١١)

تخشخش ابدان الحديد عليهم　　　كما خشخشت يبس الحصاد جنوب

أما الرماح فقد شبهها بالاشطان ـ الحبال ـ لطولها : (٤١٢)

يدعون عنتر والرمـاح كأنهـا　　　اشطان بئر في لبـان الادهـم

---

٤٠ ـ نهاية الارب للنويري ج ١٥ ص ٣٧٥ ، والبيت للعباس بن مرداس من قصيدة قالها في يوم انفيفاء وهو لسليم على كنانة .

٤٠ ـ البيت لعمرو بن كلثوم من معلقته .

٤٠ ـ المفضليات ص ٢٥٦ ، والبيت من قصيدة للحارث بن حلزة اليشكرى ، والطراف البيت من الجلد والمشرج صفة للبيت ، يقول شارح المفضليات « الشرج بفتحتين : عرى الخباء ونحوه ، وشرجها واشرجها : ادخل بعض عراها في بعض وداخل بين اشراجها . شبه تدارك الضرب وسرعته بوقع المطر فجعل المطر سحابا اذ كان منه » .

٤٠ ـ شعراء النصرانية ص ٤١ ، والبيت من قصيدة لامروء القيس .

٤١ ـ المصدر السابق ، والبيت لذات الشاعر من نفس القصيدة .

٤١ ـ المفضليات ص ٣٩٥ ، والبيت من قصيدة طويلة لعلقمة بن عبدة وقد تقدمت في موضع اخر من البحث .

٤١ ـ البيت لعنترة العبسي من معلقتة .

وبالثعابين للسبب ذاته : (٤١٣)

أصـم اذا ما هـز مارت سـراته　　كما مار ثعبـان الرمـال الموائـل

وشبه اسنتها بالجمر او بمنقار النسر : (٤١٤)

فلم أنكـل ولم أجـبن ولكـن　　يممت بها أبـا صـخر بن عمرو

شككت مجامع الاوصـال منه　　بنافـذة على دهـش وذعـر

تركت الرمح يبرق في صـلاه　　كـأن سنانه خرطـوم نسـر

أما القتلى فقد شبه ارجلهم بالخشب : (٤١٥)

حتى تركناهـم لدى معـرك　　ارجلهـم كالخشب الشـائل

وكقول الآخر : (٤١٦)

فأقررت عيني يوم ظلـوا كأنهـم　　ببطن غبيـط خشب اثـل مسـند

وشبه أجسادهم بالهشيم : (٤١٧)

أضحت بتيمـن أجسادهـم　　يشبهـا من رآهـا الهشيمـا

وشبه الفارين بالنعام : (٤١٨)

وهـم هاربون في كل فـج　　كشريد النعـام فوق الروابي

---

٤١٣ ـ المفضليات ص ٩٩ والبيت للمزرد من قصيدة طويلة وفي شرحه يقول شارح المفضليات « اصم : ليس باجوف • مارت : اضطربت • سراته : اعلاه • الموائل : المحاذر الـذى يلتمس الملجأ ويطلب النجاة » •

٤١٤ ـ المصدر السابق ص ٧١ ، والابيات من قصيدة لرجل من عبد القيس كما ورد في المفضليات والصلا وسط الظهر ، واراد بخرطوم النسر منقاره •

٤١٥ ـ امروء القيس ، ديوانه •

٤١٦ ـ العقد الفريد ج ٦ ص ٥٧ والبيت لمالك بن نويرة من قصيدة له ي يوم مخطط كما تقـدم فى موضع سابق •

٤١٧ ـ المفضليات ، والبيت لربيعة بن مقروم من قصيدة طويلة • وتيمن اسم الموضع •

٤١٨ ـ الكامل لابن الاثير ج١ ص ٥٠٥ والبيت من قصيدة لزهير بن جناب الكلبي وقد تقدمت الاشارة اليها قبل حين

وبالعقاب : (٤١٩)

نجوت نجـاء ليس فيه وتـيرة ... كأني عقـاب عند تيمـاء كاسـر

وشبه الطعن بالحريق : (٤٢٠)

نحبو الكتيبـة حين يفترش القنـا ... طعنـاً كألهاب الحـريق المضرم

واتى الشاعر الجاهلي في تشبيهاته اضافة لما تقدم منها على كل ما حفلت به المعركة من مظاهر ، كالجرحى والاسرى والسبايا والخيل والابل وما الى ذلك.

وقد تقدم بنا بان الشعر الجاهلي قد حفل بالالفاظ الغريبة التي لا تتناسب وذوقنا ، وكما ذكرنا من قبل فن الشاعر الجاهلي لم يكن متعمداً في ايراد هذه الالفاظ بقصد التعقيد بل انه قد أوردها لتوافقها وذوق العصر الذى عاش فيه ، اذ كانت هذه الالفاظ تمثل لدى أبناء ذلك العصر الذروة في القـدرة اللغوية ، ومن هذه الالفـاظ على سبيل المثـال لا الحصـر « الاذى ، الز ، آض ، تامك ، جثل » وقد وردت هذه الالفاظ واضرابا بكثرة في اشعار الجاهليين من ذلك :

* ولا أنت أكرم من خليج مفعـم ... متراكم الاذى ذي دفـاع (٤٢١)
* ألز اذ خرجت سـلته •• ... وهلا نمسـحه ما يسـتقر (٤٢٢)
* فآض بها جذلان ينفض راسـه ... كما آب بالنهب الكمي المحاسر (٤٢٣)
* لهـا قـرد تامـك نيـه ••• ... تزل الوليـة عنه زليـلا (٤٢٤)

---

٤١٩ ـ العقد الفريد ج٦ ص ٨٦ وهو بيت من قصيدة منسوبة لوعلة الجرمي وقد تقدم امرهـا في موضع سابق من البحث .

٤٢٠ ـ المفضليات ص ٣٤٩ ، والبيت من مقطوعة لسنان بن [illegible] حارثة المرى .

٤٢١ ـ المفضليات ص ٦٣ ، والبيت من قصيدة للمسيب بن علس ، ومعنى الاذى الموج او السيل و[illegible] الماء يدفع بعضه بعضا لكثرته .

٤٢٢ ـ المصدر السابق ص ٨٤ ، والمعنى كما يذكره شارح المفضليات هو « الزء مجتمع بعضـه الى بعض . خرجت سلته : السلة ارتداد الربو في جوف الفرس من كبوة يكبوها ، فاذا انتفخ منه قيل اخرج سلته ، فيركض ركضا شديدا يعرق ويلقى عليه الجلال ، فيخرج ذلك الربو . والسلة الدفعة في السباق خروجها ان يسبق غيره . وهـلا : من الوهـل بفتح الهاء وهو الفزع ، يريد كأن به فزع من نشاطه » .

٤٢٣ ـ المصدر السابق ص ٢٢٦ ، آض : رجع . الجذلان : الفرح النشيط . النهب : الغنيمة . الكمي : الشجاع الذي يكمي شجاعته أي يسترها لوقت الحاجة . المحاسر : الشديد الـذي لا يبرح مكانه في الحرب .

٤٢٤ ـ المصدر السابق ص ٥٧ ، قرد : التقرد ، وهو التجمع ، عني به السنام يريدانه مكتنز . النى : الشحم . والتامك : المرتفع العالى . تزل : تنزلق . الولية ، بفتح الواو : حلس يكون تحت الرحل يقي الظهر . والشاعر هنا يصف ناقته .

★ تسـد بدائم الخطـران جثـل خواية فرج مقلات دهين [٤٢٥]

أما أخطاء الشاعرالجاهلي العروضية واللغوية فهي يسيرة وقد تأتت ـ كما قدمنا ـ من اعتماده على السليقة دون القواعد التي لم تكن معروفة آنذاك • قال قيس بن زهير في رثائه لحمل بن بدر اثر مقتله في يوم الهباءة وهو أحد أيـام داحس والغبراء ، وقد اختلفت حركة الروى في أبيـاته من رفع لجر وهو أمر أنكره العرضـيون بالرغـم من أن أبيـات زهير تعد غاية في التأثـير لما حوته من حكم بليغة : [٤٢٦]

تعـلم ان خـير النـاس ميت ... على جفـر الهبـاءة ما يريـم

ولـولا ظلمـه ما زلت أبكـي ... عليه الدهـر ما طلع النجـوم

ولكن الفـتى حمـل بن بـدر ... بغى والبغي مرتعـه وخيـم

اظن الحـلم دل علي قومـي ... وقد يستجهل الرجـل الحـليم

فلا تغش المظـالم ان تـراه ... يمتع بالغنى الرجـل الظلـوم

ولا تعجـل بأمرك واسـتدمه ... فمـا صـلى عليـك كمسـتديم

الاقي من رجـال منكـرات ... فأنكرهـا وما أنـاب بالغشـوم

ولا يعييـك عرقـوب لـلاى ... اذا لم يعطـك النصف الخصيـم

ومارسـت الرجـال ومارسـوني ... فمعـوج علي ومسـتقيم •••

وبرغم ما تقدم فان شعر الايام ظل أثراً خالداً لا يسع المرء الا أن يعجب به وذلك لمتانة اسلوبه وجزالة الفاظه ووضـوح معانيه ، وهي أمور عوضت عن الجوانب الفنية التي فشل الشاعر الجاهلي في ابرازها •

---

٤٢٥ ـ المصدر السابق ص ٢٩١ ، دائم الخطران : يعني ذنبها وخطرانه حركته • الجثل : الكثير الشعر • الخواية • الفرجة • المقلات : التي لايبقى لها ولد • الدهين : الناقة القليلة اللبن• والشاعر يصف ناقته هنا ايضا •

٤٢٦ ـ نقائض ابي عبيدة ج١ ص ٩٦/٩٧ •

المصادر والمراجع

١ ـ الكتاب المقدس ـ العهد القديم والعهد الجديد ـ طبعة جمعيات الكتاب المقدس المتحدة / بيروت ١٩٦١ .

٢ ـ نقائض جرير والفرزدق لابي عبيدة ـ طبعة ليدن التي اعادتها بالاوفست مكتبة المثنى في بغداد .

٣ ـ نقائض جرير والاخطل لابي تمام ـ تحقيق الاب انطوان صالحيان اليسوعي ـ نشر المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين ـ بيروت ١٩٢٢ .

٤ ـ لسان العرب لابن منظور ـ طبعة دار صادر ـ بيروت ١٩٥٦ .

٥ ـ معجم ما استعجم للبكري ـ تحقيق مصطفى السقا ـ لجنة التأليف والنشر ـ القاهرة ١٩٤٥ .

٦ ـ الفهرست لابن النديم ـ مكتبة خياط ـ بيروت .

٧ ـ تهذيب اللغة لابي منصور محمد بن احمد الازهري ـ تحقيق محمد علي النجار ـ القاهرة .

٨ ـ تاريخ الرسل و[illegible] ـ لابي جعفر محمد بن جرير الطبري ـ طبعة بيروت ـ طبعة القاهرة .

٩ ـ تاريخ ابن خلدون ـ ج ١ ـ طبعة القاهرة

١٠ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر لابي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٠ .

١١ـ مقدمة ابن خلدون ـ المكتبة التجارية ـ القاهرة .

١٢ـ الكامل في التاريخ لابن الاثير ـ دار صادر ـ بيروت ١٩٦٥ .

١٣ـ المختصر في اخبار البشر لابي الفداء ـ دار الفكر ، دار البحار ـ بيروت ١٩٥٦ .

١٤ـ الاغاني لابي الفرج الاصفهاني ـ طبعة دار الثقافة ـ بيروت ١٩٥٧ .

١٥- العقد الفريد لابن عبد ربه الاندلسي - تحقيق محمد سعيد العريان - ط ١ - القاهرة ١٩٤٠ •

١٦- مجمع الامثال للميداني - ط ٢ - نشر المكتبة التجارية - القاهرة ١٩٥٩ •

١٧- نهاية الارب في فنون الادب - لشهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب انويري - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٤٩ •

١٨- المثل السائر - لابن الاثير - القاهرة •

١٩- العمدة - لابن رشيق - تحقيق محي الدين عبدالحميد - القاهرة ط ١/ ١٩٣٤ •

٢٠- انساب الاشراف - لاحمد بن يحيى البلاذرى - تحقيق الدكتور محمد حميدالله - دار المعارف بمصر •

٢١- جمهرة انساب العرب - لابي محمد علي بن احمد بن سعيد بن حزم الاندلسي - تحقيق عبدالسلام محمد هارون - دار المعارف بمصر ١٩٦٢ •

٢٢- نهاية الارب في معرفة انساب العرب - لابي العباس احمد القلقشندي - تحقيق ابراهيم الابياري - القاهرة ١٩٥٩ •

٢٣- الانساب للسمعاني - ط ١ - الهند ١٩٦٢ •

٢٤- الاكليل في اخبار اليمن وانساب حمير لابي محمد الحسن بن احمد بن يعقوب الهمداني - تحقيق محب الدين الخطيب - القاهرة ١٣٦٨ هـ •

٢٥- المخصص لابن سيدة - المطبعة الكبرى ببولاق - القاهرة ١٣١٦ هـ •

٢٦- صبح الاعشى في صناعة الانشا - لابي العباس احمد بن علي القلقشندي - نشر المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة - القاهرة •

٢٧- المعارف - لابن قتيبة - تحقيق ثروت عكاشة - مطبعة دارالكتب - ١٩٦٠ •

٢٨- تاريخ سني ملوك الارض والانبياء لحمزة الاصفهاني - منشورات مكتبة الحياة / بيروت •

٢٩- طبقات الشعراء - لابن سلام - تحقيق محمود محمد شاكر - دارالمعارف •

٣٠ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ـ طبعة ليدن ١٩٠٢ التي اعادتها بالاوفست دار صادر ـ بيروت •

٣١ـ جمهرة اشعار العرب ـ لابي زيد محمد بن الخطاب القرشي ـ القاهرة ١٩٢٦ •

٣٢ـ الاصمعيات ـ دار المعارف بمصر •

٣٣ ـ المفضليات ـ تحقيق احمد محمد شاكر وعبدالسلام محمد هارون ـ دار المعارف ١٩٦٤ •

٣٤ـ ديوان الحماسة لابي تمام ـ مختصر من شرح التبريزي بمراجعة محمد عبدالمنعم خفاجي ١٩٥٥ •

٣٥ـ ديوان قيس بن الخطيم ـ تحقيق الدكتورين ابراهيم السامرائي واحمد مطلوب ـ بغداد ١٩٦٢ •

٣٦ـ ديوان النابغة الذبياني ـ دار صادر ـ بيروت •

٣٧ـ ديوان الخنساء ـ دار صادر ـ بيروت •

٣٨ـ ديوان طرفة ـ دار صادر ـ بيروت •

٣٩ـ ديوان لبيد ـ طبعة الكويت •

٤٠ـ ديوان حاتم الطائي ـ دار صادر ـ بيروت •

٤١ـ ديوان زهير بن أبي سلمى ـ نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب ١٩٤٤، نشرتها الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة ١٩٦٤ •

٤٢ـ ديوان عنترة ـ دار صادر ـ بيروت •

٤٣ـ ديوان امرىء القيس ـ القاهرة

٤٤ـ ديوان عامر بن الطفيل ـ دار صادر ـ بيروت •

٤٥ـ ديوان عمرو بن معد يكرب ـ تحقيق هاشم الطعان ـ نشر وزارة الثقافة والاعلام ـ بغداد •

٤٦ـ شرح المعلقات السبع ـ للزوزني ـ دار الفكر ـ بيروت •

٤٧ـ شعراء النصرانية قبل الاسلام ـ للويس شيخو ـ القسم الاول شعراء اليمن من كندة ومذحج وطيء •

٤٨ـ الادب العربي وتاريخه لهاشم عطية ـ مطبعة مصطفى البابي ـ القاهرة ١٩٣٦ •

٤٩ـ الشعر الجاهلي ـ منهج في دراسته وتقويمه ـ جزءان ـ للدكتور محمد النويهي ـ الدار القومية للطباعة والنشر ـ القاهرة •

٥٠ـ الجاهلية ـ مقدمة لدراسة الادب الجاهلي ـ للدكتور يحيى الجبوري ـ بغداد ـ ١٩٦٨ •

٥١ـ شعر الحرب ـ ج ١ ـ في العصر الجاهلي ـ للدكتور علي الجندي نشر مكتبة الانجلو المصرية •

٥٢ ـتاريخ الادب العربي ـ ج ١ ـ في العصر الجاهلي ـ للدكتور السباعي بيومي ـ نشر مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩ •

٥٣ـ تاريخ الادب العربي ـ للدكتور عمر فروخ ـ ج ١ ـ دار العلم للملايين ـ بيروت ١٩٦٥ •

٥٤ـ تاريخ النقائض في الشعر العربي ـ لاحمد الشايب ـ نشر مكتبة النهضة مصر ١٩٥٤ •

٥٥ـ في الادب الجاهلي ـ للدكتور طه حسين ـ نشر دارالمعارف بمصر ١٩٦٤ •

٥٦ـ تاريخ آداب اللغة العربية ـ لجرجي زيدان ـ ج ١ ـ دار الهلال ١٩٥٧ ـ مراجعة الدكتور شوقي ضيف •

٥٧ـ المختصر في تاريخ آداب اللغة العربية ـ دار الهلال ١٩٤٧ •

٥٨ـ اللغة العربية كائن حي ـ لجرجي زيدان ـ دار الهلال ـ القاهرة •

٥٩ـ العصر الجاهلي ـ لشوقي ضيف ـ دار المعارف بمصر ط ٣ •

٦٠ـ نقائض جرير والفرزدق ـ للدكتور محمود غناوي الزهيري ـ مطبعة دار المعرفة ـ بغداد ١٩٥٤ •

٦١- أيام العرب في الجاهلية - محمد أحمد جاد المولى ، علي محمد البجاوى ، محمد أبو الفضل ابراهيم - ط ٣ - القاهرة

٦٢- ادباء العرب في الجاهلية وصدر الاسلام - لبطرس البستاني - ط ٢ - مكتبة صادر - بيروت •

٦٣- المفصل في تاريخ العرب قبل الاسلام - للدكتور جواد علي - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٨ •

٦٤- تاريخ العرب قبل الاسلام - للدكتور جواد علي - بغداد

٦٥- تاريخ العرب - لفيليب حتي - ط ٣ ج ١ - بيروت ١٩٥٨ •

٦٦- محاضرات في تاريخ العرب قبل الاسلام - للدكتور احمد صالح العلي - ط ٣ - مطبعة الارشاد - بغداد ١٩٥٤ •

٦٧- بلوغ الارب في معرفة احوال العرب - لمحمود شكرى الآلوسي - ط ٣ ج١ -مطبعة دار الكتاب العربي بمصر ١٩٤٢ •

٦٨- العرب قبل الاسلام - لجرجي زيدان - المكتبة الاهلية - بيروت •

٦٩- تاريخ الجاهلية - للدكتور عمر فروخ - دار العلم للملايين - بيروت ١٩٦٤•

٧٠- تاريخ التمدن الاسلامي - لجرجي زيدان - طبعة دار الهلال - القاهرة ١٩٢٢ •

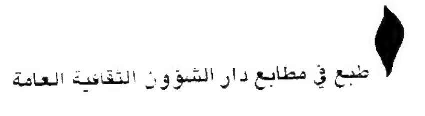
٧١- فجر الاسلام - لاحمد امين - القاهرة •

٧٢- مقدمة في تاريخ الحضارات - لطه باقر - ج ١ - بغداد •

٧٣- دائرة المعارف الاسلامية - ترجمة عباس محمود وجماعته •

٧٤- دائرة المعارف - محمد فريد وجدى - المجلد السادس •

الفهرست



طبع في مطابع دار الشؤون الثقافية العامة

أيام العرب
وأثرها في الشعر الجاهلي

إنسان الصحراء، ذلك العربي الذي «جالد الشح حتى امتهن الكبرياء» كان مبتلى بحرفة الحرب لأنها الشرعة والوسيلة لاستمرار البقاء، ولم يكن داعية من دعاتها لابل هو خلاف ذلك حتى ان يتهيا له القليل...

هذه الحروب «كانت عاملاً مؤثراً في شحذ القرائح وحمل الشعراء على قول الشعر وإنشاده إبان المعركة وبعدها او في حومتها.

هذا الكتاب يتحدث عن كل ذلك فضاً على دراسة الجوانب الفنية للآثار التي خلفتها هذه الحروب.



السعر: دينار وسبعمئة وخمسون فلساً ١٩٨٦